المقنـــع

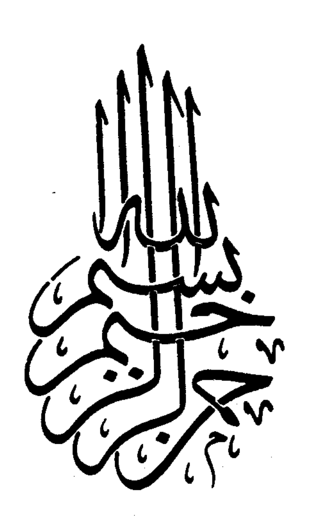
في أن " هدى كامل المبرد " ليس " الممتع "

تأليف

دكتور عبده عبد العزيز قلقيلة
الأستاذ في كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م


دار الرياض للنشر والتوزيع
ص. ب. ١٧٢١٤ تلفون : ٤٠٢٥٧٧٤





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



الإهـــداء

إلى

ابني

وأخي

وصديقي

الدكتور محمد عبده قلقيله

عرفانًا بالجميل

ورد فعل قليل

لأكثر من عمل

جليـــل

نـبيـــل

قــام به

لي

وعنّي.

الأبّ والأخ والصّديق

عبده عبدالعزيز قلقيـله

الرياض ١/٥/١٤٠٣ هـ
١٤/٢/١٩٨٣ م



« إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ؛ ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

العماد الأصفهاني

هذي كامل المبرد

ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود ... ثم وقفه على ... وكتبه محمد محمود بقسنطينة ...

عام ١٢٩١

وجه الورقة الاولى

أعدت هذه المخطوطة بأمر وعلى رسم الدكتور عبد العزيز قليله وفي مكتبة ... القاهرة أصلها المصور على الميكروفيلم قسنطينة - الجزائر ١٩٧١/٩/٥



بسم الله الرحمن الرحيم

باب ما جاء في الخضوع من الادب

روى ان اعرابيا كانت له ابنت عم له ذات حسن وجمال
فتزوج بها وكان ابن ام الحكم عاملا لمعاويه ابن ابي سفيان
وبلغ ابن ام الحكم حسنها وجمالها فارسل للاعرابي وقال له
يا اعرابي هل لك ان تسلوا من زوجتك وترغبه في طلاقها فقال الا
عرابي لا والله ما اسلوا عنها ولا افارقها الا اذا فارقت روحي
من جسدي فحبسه ابن ام الحكم وضيق عليه وكان له ابل وغنم
واستخرج ليها حتى غلب ما عنده وسلق به الجبال فطلقها على جهد جهيد
ووصل الى عند معاويه فلما مثل بين يديه ووقف عليه انشد

معاويه ذا الفضل والجود والبذل | وذا العطف والاحسان والبر والفضل
فخذ لي هداك الله حقي من الذي | رماني بسهم كان اهونه قتل

وقال [illegible] ما خبرك يا اعرابي وما شانك فوصف له الاعرابي القصه وانشد

والحب ذو نقص | فيه الطبيب يحار
ما يستبين سبيله | ولا يجاري فيها نار

[illegible]

فكتب معاويه الى ابن ام الحكم ووبخه وزجره ويهدده عن [illegible] وقال في [illegible]

اوركبت امرا حراما يا ابن غاويه | استغفر الله من جور امرئ [illegible]

فلما ورد الكتاب الى ابن ام الحكم وقراه [illegible] واستغفر الا ان يبرها الى معاويه [illegible]

وما ركبت حراما حين اعجبني | فكيف سميت باسم الجابر الرب
وسوف ياتيك [illegible] | انها العربيه من انس ومن جاب

فلما دخلت بين يدي معاويه فاذا هي احسن الناس [illegible] وكلمها فاذا هي افصح [illegible]
[illegible] الاعرابي [illegible] معاويه [illegible] الاعرابي وام الحكم
[illegible] الاعرابي [illegible] الاعرابي [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في ظلها هماً يؤرقه

بل روح عز وريا كل مكرمة ووجه رشد بلا افة تيوبقه

وقال منصور بن عمار الفقيه وكان حلو المقطعات

قد قلت لما استقلوا بالدين مُيّا وراحوا

لا هم فدوه ولا هم بكوا عليه وناحوا

كانما فارقوا منه ظالما فاستراحوا

لو كان للدين اهل سقوا عليه وصاحوا

وقال محمد بن عبد الملك الزيات الوزير لما قدم للقتل في تنور نار

سل ديار الحي ما غيرها وعفاها ومحا منظرها

وهي الدنيا اذا ما ادبرت صيرت معروفها منكرها

من ها هنا ابتدا منتخب الممتع من اوله ٥

افضل كلام واعزه واكرمه واعظمه بركة واعوده نفعا لحيٍّ كتاب الله العزيز الذي عجزت عنه خطباء العرب في عنفوانها وشعراؤها في ابانها فهو خال عن تسجيع المتكلمين ويعظم عن وزن المتكلفين من الخطباء والشاعرين واية معجزة باقية لاكرم انبياء الله وخيرته من خليقته صلى الله عليه وسلم ورحم وكرم ثم خير كلام العرب واشرفه عندها هذا الشعر الذي ترتاح له القلوب وتجذل به النفوس وتصغي

تقديم

نحن هنا أمام عمل مكرر، قام به أولاً الدكتور/ **منجي الكعبي**، وقام به ثانياً الدكتور/ **محمد زغلول سلام**.

والعمل الذي أقصده هو تحقيق كتاب **[هدى كامل المبرد]** ونشره على أنه كتاب **[الممتع في علم الشعر وعمله] لعبد الكريم بن إبراهيم النهشلي**.

ولا يشفع للدكتور/ **الكعبي** أنه جعل فوق رأس هذا العنوان عبارة **«اختيار من كتاب»** مكتوبة بخط أصغر، وعلى مساحة أقل من المساحة التي شغلتها كلمة **[الممتع]**. أجل. لايشفع له ذلك؛ فهو في تعريفه بالنهشلي ــ وقد جاء كتاباً مستقلاً في أربع وتسعين ومائة صفحة ــ يسميه في الأعم الأغلب **«الممتع»** وأكاد أقول: إنه لايسميه إلا **[الممتع]**.

أما في **[اختيار من كتاب الممتع...]** فلم ترد كلمة **[اختيار]** هذه إلا على صدر الكتاب، وفوق صفحة عنوانه، ونلجه، فنجده ابتداءً من صفحة ١٢ إلى ٥٠٠ متوج الصفحات اليمنى بعبارة **[الممتع في علم الشعر وعمله]**.

وقد تصور الدكتور/ **الكعبي** أنه بعد هذا العدد الكبير من تسمية الكتاب باسم **[الممتع في علم الشعر وعمله]** قد حصل لنا مثلما حصل له الاقتناع التام بأن الكتاب هو **[الممتع]** وليس اختياراً منه، بل ولا قطعة من هذا الاختيار، فضلاً عن ألا يكون شيئاً من ذلك كله، ووصلت به الجرأة إلى أن جعل فهارس الكتاب تحت عنوان كبير هكذا

فهارس كتاب الممتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم النهشلي، وهو خطأ فادح، بل هو تناقض صارخ بين داخل هذا العمل الباطل وخارجه.

* * *

ولنرجيء مناقشة الدكتور/ **سلام** ريثما نفرغ من مناقشة الدكتور/ **الكعبي**؛ فهو الأصل في هذه القضية والدكتور/ **سلام** فرع، أو هو المتبوع والدكتور/ **سلام** تابع. أجل؛ فقد صدر الكتاب الذي حققه الدكتور/ **الكعبي** في تونس سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

وصدر الكتاب الذي حققه الدكتور/**سلام** في الإسكندرية سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

وأراني لذلك منطقياً وأنا أتقدم لمصافحة الدكتور/ **الكعبي** أولاً ومناقشته ثانياً.

ثم أراني منطقياً وأنا أؤجل مصافحة الدكتور/**سلام** ومناقشته إلى مابعد ذلك.

ولن أبطيء به بمثل ماأبطأ هو في تبعيته للدكتور/ **الكعبي**، ولن تكون المناقشات فوضى، بل إن المنهجية العلمية تضبطها، وتضع خطة لها نلتزم بها فيما يجري به قلمنا هنا.

وبناءً على ذلك فإنني أتصور أن تتكون هذه الدراسة التي اخترت لها عنواناً (كلاسيكياً) هو :

[«المقنع» في أن «هدي كامل المبرد» ليس «الممتع»]

من بابين :

باب أتحرك فيه وبه في اتجاه الدكتور/ **الكعبي**.

وباب آخر أتحرك فيه وبه في اتجاه الدكتور/ **سلام**.

وكل من البابين سيشتمل على فصول، لكن هذه الفصول بحكم وحدة الدراسة، وثبات موضوعها، وتشابه أجزائها ستتكرر.

وتفادياً لذلك فإنني سأستغني بفصول في الباب الأول عن فصول مشابهة لها؛ لأنها تعالج نفس موضوعها في الباب الثاني(١).

فالفصل الأول من الباب الأول وهو :

[بين الكامل للمبرد، وهدي كامل المبرد] موضوعه بيان السمات والملامح المشتركة بين الكتابين، وهي السمات والملامح التي جعلت مؤلف الكتاب الثاني ــ وهو مجهول ــ يسميه **[هدي كامل المبرد]**.

هذا الفصل محله الباب الأول، ولاينبغي أن يتكرر في الباب الثاني.

والفصل الثاني من الباب الأول وهو **[بين العمدة وما سموه الممتع]**.

موضوعه شرح انطباق اسم العمدة في محاسن الشعر وآدابه على مسماه، مع توضيح المفارقة في هذا بينه وبين ماحقق ونشر تحت اسم **[الممتع في علم الشعر وعمله]**.

هذا الفصل ــ كسابقه ــ مكانه الباب الأول، وهو ــ كسابقه أيضاً ــ لاينبغي أن يتكرر في الباب الثاني.

---

(١) [نفس موضوعها] و[موضوعها نفسه]. التعبيران صحيحان. صرحت بذلك المعاجم، واستشهدتْ بقول العرب :«نفس الجبل مقابلي» وانظر كتاب [أخطاء لغوية] لعبد الحق فاضل ص ٨٢ طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٧٩م.

أما الفصل الثالث والأخير في الباب الأول، فهو وقفات ومناقشات مع الدكتور/ **الكعبي**؛ بغية تصحيح مساره، وإقناعه بأن ماحققه ونشره تحت اسم الممتع، ليس الممتع، ولا اختياراً من كتاب الممتع، ولا جزءاً من هذا الاختيار، وإنما هو **[هدي كامل المبرد]**.

وهذا الفصل لابد له من فصل مثله في الباب الثاني أناقش فيه الدكتور/سلاماً مناقشات نتعرف بها ومن خلالها على وجهة نظره فيما أقدم عليه من تحقيقه ونشره كتاب **[هدى كامل المبرد]** تحت اسم **[الممتع في صنعة الشعر]**.

أجل فلن تغني مناقشة الدكتور/ **الكعبي** فيما ذهب إليه عن مناقشة الدكتور/ **سلام** فيما ذهب إليه، اللهم إلا أن تكون ثمة وجهة نظر واحدة نستبين منها أن الأخير قد انتفع بالأول وأخذ منه نبه على ذلك أم لم ينبه.

ولن يستغنى الباب الثاني عن فصل ثان نوازن فيه بين وجهتي نظر الرجلين، وبين التحقيقين، إن كانت هناك فروق بينهما في هذا الصدد المزدوج.

ولابد أيضاً من فصل ثالث نزن به المسألة برمتها، ونقول فيه الكلمة النهائية أو شبه النهائية في هذه القضية.

وأعد بأن تكون موضوعية أصدر فيها عن العقل، وأنحاز بها إلى الحق.

إن أُريد إلاَّ الإصْلاحَ ما اسْتطعْت، وَمَا تَوْفيقِي إلاَّ باللهِ عَليْه تَوكَّلْت وإليه أُنيب،،

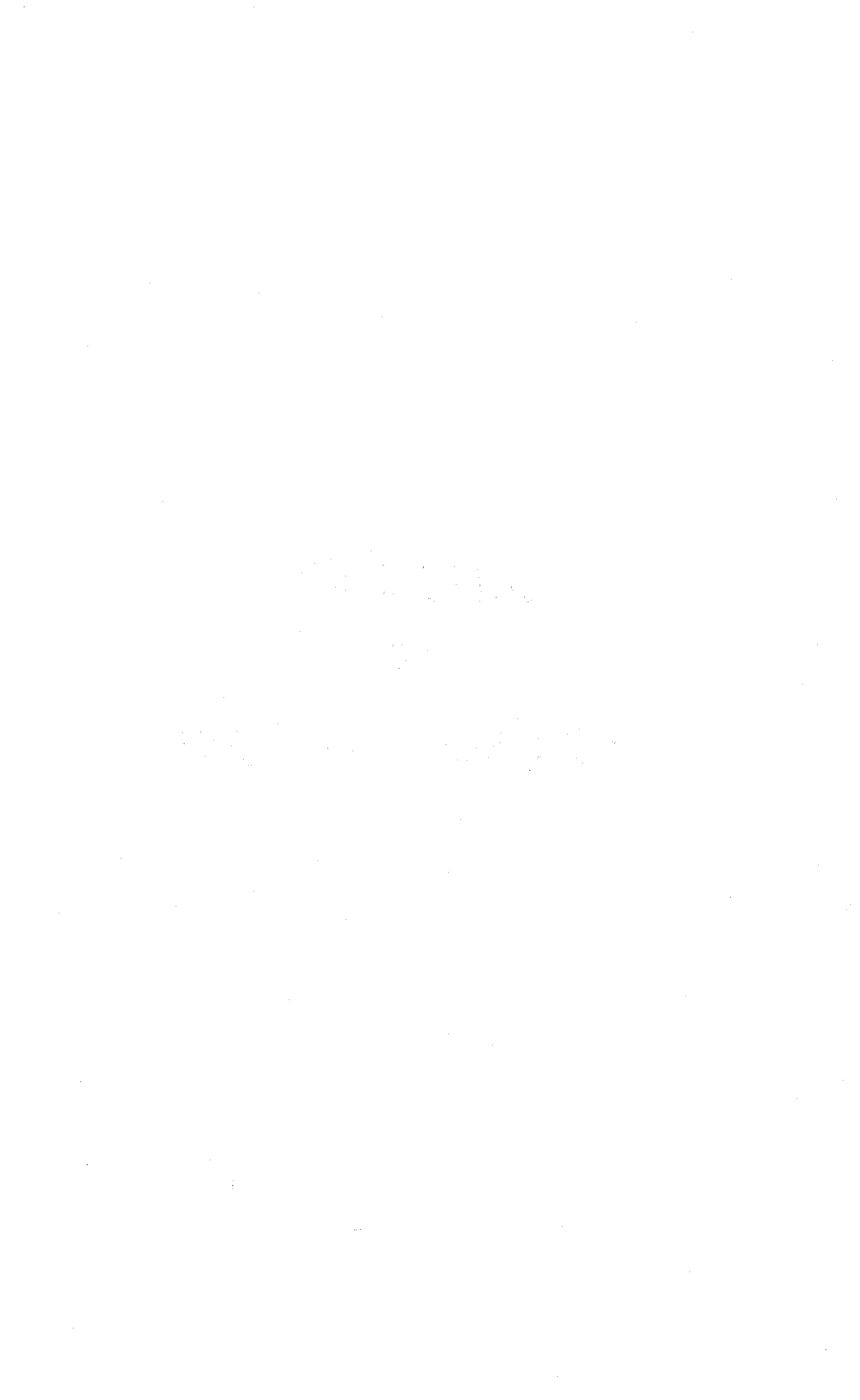
الرياض ١٥/٦/١٤٠٢هـ
٩/٤/١٩٨٢م.

عبده عبد العزيز قلقيله

الباب الأول



الفصل الأول
بين
"الكامل" للمبرد و"هدي كامل المبرد"



الكامل في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان المعروف بالمبرد.

الكتاب ومؤلفه معروفان، بل مشهوران، وأي كلام عنهما يكون من المعاد المكرر.

ونكتفي – لهذا – في بيان قيمة الكامل بقول أبي الفرج المعافي ابن زكريا بن يحيى بن داود المتوفى سنة ٣٩٠هـ في مقدمة كتابه **[الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي]** وهو مخطوط بدار الكتب المصرية قال: «وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه الكامل، وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها أودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي به مثله لسعة علمه وقوة فهمه ولطيف فكرته وصفاء قريحته، ومن جليّ النحو والإعراب وغامضها مايقل وجود من يسد فيه مسده» (١).

ويقول ابن خلدون: «سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي: كتاب الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عليها».

وقد صارت هذه العبارة – بسيرورتها – غنية عن التوثيق، ونجدها على صدر هذه الكتب التي جاء الكامل أولها.

---

(١) مقدمة كتاب المقتضب للمبرد. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ ص٥٤، وكتاب الجليس الصالح قد طبع بتحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي رحمه الله.

كما نكتفي في التعريف به وبمنهجه بما سطره المبرد في صدره قال: «هذا الكتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب مابين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ماوقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح مايعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وأن يُرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً وبالله التوفيق».

* * *

ومع أن المبرد قد وفي بما وعد به، وعقد النية عليه من شرح غريب كتابه وتفسير مستغلقه حتى جاء مكتفياً بنفسه، ومستغنياً عن أن يرجع فيه إلى غيره، نجد أن الناس بعده قد استغلق عليهم فهمه فشرحه بعض العلماء لهم، وممن شرحه :

١ ــ ابن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٤٤٤هـ.
٢ ــ هشام بن أحمد أبو الوليد الوقشي المتوفى سنة ٤٨٩هـ.
وقد سمي شرحه «نكت الكامل» (١) .
٣ ــ محمد بن يوسف السرقسطي المتوفي سنة ٥٣٨هـ.
٤ ــ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمٰن المعروف بابن مضاء المتوفي سنة ٥٩٢هـ. أخذ عن سابقه وقال : «اعتمدت عليه في تفسير الكامل للمبرد؛ لرسوخه في اللغة والأدب».

ومنهم من عارضه أو احتذاه.

فمن عارضه إبراهيم بن ماهويه الفارسي اللغوي، قالوا: «له كتاب عارض به كتاب الكامل للمبرد».

---

(١) بغية الوعاة ص ٤٠٩ ومقدمة المقتضب ص٥٥.

وممن احتذاه محمد بن جعفر أبو الفتح المراغي المتوفى سنة ٣٧١هـ في كتاب له سماه «البهجة على نمط الكامل»[١] .

و يروى عن أبي محمد بن حزم قوله : «كتاب نوادر أبي علي مبارٍ للكامل الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبرا، إن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعرا»[٢] .

* * *

وكذلك ممن احتذاه واهتدى به في تأليف كتاب على منواله ذلك المؤلف المجهول صاحب كتاب «هدي كامل المبرد»، فهذا الكتاب ليس معارضة للكامل، وإنما هو مضيٌّ في سبيله واهتداء به كما هو مفهوم اسمه ومنطوقه.

في أساس البلاغة مادة (هـ. د. ي.) : «وهَدَى هَدْيَ فلان أي سار سيرته، وفي الحديث: «واهدوا هدْيَ عمار» وما أحسن هَدْيَه، ورأى هَدْي أمره وهِدْيةَ أمره: جهته، واستَهْدَيتُه فهداني، وهو لايَتَهَدَّى لذلك، وتركه على مُهْدِيته : على جهته وحالته التي كان عليها»[٣] .

وما ذكرناه معناه أن ذلك المؤلف الذي فقد اسمه ففقد كتابه كان قد نظر في كتاب الكامل للمبرد، وأعجب به، فألف على هديه كتاباً من كتب الجاميع الأدبية المستقلة، لم يعارض به الكامل، ولم يجعله ذيلاً له ولم يختصره، ولم يختر منه، وإنما احتذاه، وتوخَّى فيه ماتوخاه المبرد في الكامل، فجاء كالكامل الذي جمعه المبرد مشتملاً على ضروب من الآداب مابين كلام منثور وشعر مرصوف، ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة...

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ص٤٨٢ طبعة سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

وتسميةُ الكتاب بهدي كامل المبرد تعني أنه قد جاء على نمط الكامل وهديه أي أنه مثله و يشبهه.

لكن فيم يشبه كتاب [هدي كامل المبرد] كتاب [الكامل] للمبرد؟ بادىء ذي بدء نقرر أن المشبه لا يأخذ كل صفات المشبه به، ففي التشبيه يكفي لإلحاق المشبه بالمشبه به اشتراكهما في صفة واحدة بارزة فيهما تجعل الجمع بينهما وإلحاق أحدهما [المشبه] بالآخر [المشبه به] عملاً مشروعاً وغير منكر على صاحبه.

والصفة البارزة في الكتابيْن : [الكامل] و[هدي كامل المبرد] إنما هي اشتمالها على مجموعة كبيرة من النصوص الأدبية مشروحة هنا مثلما هي مشروحة هناك، ومبطنة هنا مثلما هي مبطنة هناك بذكر أصحابها مع التعريف بهم، وتسليط الضوء على حياتهم، وخاصة ما يتعلق منها بهذه النصوص المنسوبة إليهم كسبب قولهم لها، والاستطراد منها إلى غيرها مما قيل في معناها أو في موضوعها، والمفاضلة بينها...إلخ.

وصفة أخرى بارزة في الكتابين هي مجيء كل منهما في أبواب محددة وقائمة بنفسها كأنها ذات وحدة موضوعية.

أقول [كأنها] وأعنيها؛ فليست كل الأبواب في [الكامل] للمبرد وفي [هدي كامل المبرد] ذات وحدة موضوعية، بل إن أكثر أبواب الكتابيْن لايلتزم المؤلف فيه بهذه الوحدة، وإن نبه عليها ونوه بها.

فالباب الثاني والثلاثون من كتاب [الكامل] يستهله المبرد بقوله: «هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يُحتاج إليها للتمثل بها؛ لأنها أشكل بالدهر، و يستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب».

هو باب في الأشعار أولاً، ومن أشعار المولدين ثانياً، والأشعار حكيمة مستحسنة يُحتاج إليها للتمثل بها لأنها أشكل بالدهر ثالثاً، ومع هذا نجد فيه نصوصاً نثرية كثيرة منها أحاديث نبوية شريفة، وكلام لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومنها قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرجل قال له : لأشتمنك شتماً يدخل معك في قبرك قال : معك والله يدخل لا معي، وقول ابن مسعود : إن الرجل ليظلمني فأرحمه، وردّ الشعبي على رجل قال له كلاماً أقذع فيه فقال له الشعبي: «إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك».

* * *

وإذا كانت هذه الأقوال حكيمة مستحسنة، فإنها نثر لا شعر أولاً، وليست كلها للمولدين ثانياً [1] .

وفي شعر هذا الباب من أشعار غير المولدين شعر لحسان بن ثابت وشعر غير حكيم ولامستحسن بل مستهجن وموضوع في غير موضعه [2] .

* * *

واستدراكاً على مامضى أقول : إن أبواب [هدي كامل المبرد] ربما كانت أضبط وأدق من أبواب [الكامل] للمبرد، بحكم استفادة اللاحق من السابق، وبحكم تطور التأليف وتقدمه كلما مضينا في الزمن من القديم إلى الحديث.

---

(١) الكامل جـ١ ص٢٣٤ وص٢٤٠ وانظر صفحات ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩ ــ طبعة المكتبة التجارية د.ت.

(٢) المرجع السابق ص٢٤٣ وص٢٤٤.

دليـل ذلك ماكنا فيه قبل الآن من الكلام عن الوحدة الموضوعية أو مايشبه الوحدة الموضوعية، فهي متحققة في [هدي كامل المبرد] أكثر مما هي متحققة في الكامل للمبرد؛ ذلك أن أبوابه كلها معنونة أي محددة بعناوين تنطبق عليها أو على معظم ما جاء فيها، لانستثني من ذلك إلا بابين لاينطبق عنوانها على أكثر مافيهما وهما باب ماجاء في العفو عمن أذنب وباب استحسان الشعراء انتصارها بألسنتها.

أما أبواب الكامل فهي مرسلة تأخذ أوضاعها في الكتاب من أرقامها المسلسلة هكذا:

(١) باب (٢) باب (٣) باب (٤) باب (٥) باب ...... ويستمر ذلك حتى نصل إلى الباب ٤١ فنجد المبرد يعنونه بقوله :

«باب ما يجوز فيه يَفْعَل فيما ماضيه فَعَل مفتوح العين» وإلى الباب ٤٦ الذي يبتدئه المبرد بقوله : «نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارىء وانتقال ينفى الملل لحسن موقع الاستطراف، ونخلط مافيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس».

وإلى الباب ٤٧ الذي يقصره المبرد تقريبا على بعض مامر للعرب والمحدثين بعدهم من التشبيه المصيب [ج٢ ص ٣٥].

وإلى الباب ٤٨ وهو باب تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار [ج٢ ص ١٠١]

ويشبه الباب ٤٩ الأبواب ٤١، ٤٦، ٤٧، ٤٨ في أن المبرد قد جعل لكل منها عنواناً خارجياً، وعنوان الباب ٤٩ هو [باب من أخبار الخوارج] وهو باب لم يخلص للخوارج، فهو يستطرد عنهم ثم يعود إليهم

بقوله [«عاد الحديث إلى أمر الخوارج»][1] والباب ٥٠ يشبه الباب ٤٩ في أن له عنوانا هو «هذا باب اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة» [ج٢ ص١٦٣].

وكذلك الباب ٥١ وعنوانه [باب فُعَل] وهو أقل من صفحة [ج٢ ص١٨٤] والباب ٥٢ وعنوانه [باب النسب إلى المضاف] ج٢ ص ١٨٥، والباب ٥٣ وعنوانه [باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ] ج٢ ص ٢٥١، والباب ٥٥ وعنوانه [وهذا باب طريف من أشعار المحدثين] ج٢ ص٣٠٧، والباب ٥٦ وعنوانه [ذكر الأذواء من اليمن في الإسلام] ج٢ ص ٣١٣، والباب ٥٧ وعنوانه [وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه] ج٢ ص ٣١٥.

ويظهر أن المبرد قد استدرك على نفسه في الأبواب الأخيرة من كتابه فذكر لها عناوين وكان إلى الباب ٤١ لايفعل ذلك.

ولن تخدعنا عناوين الأبواب في الكامل وفي هدي كامل المبرد عن نفسها، فنها مايمكن إحلال غيرها محلها بسبب تعدد موضوعات هذه الأبواب في كل من الكتابين، أو بسبب الاستطراد الذي هو طابعهما.

يقول المبرد في الباب ٤٧ من الكامل «ثم نرجع إلى التشبيه، وربما عرض الشيء والمقصود غيره فيذكر للفائدة تقع فيه، ثم يعاد إلى أصل الباب[2].

* * *

أما هدي كامل المبرد فالباب الخامس منه عنوانه [باب يذكر فيه

---

(١) الكامل جـ٢ ص١٤٩.

(٢) الكامل جـ ٢ ص٤٢.

ماقيل في الجمال وحسن الوجوه] وهو عنوان لايصدق على ماجاء بعده إلا بشيء قليل في أوله، وبشيء قليل في آخره معنون بقوله : «عود إلى ذكر حسن الوجوه».

أما مابينهما فلا صلة بينه وبين الباب عنواناً ومضموناً كهاتين الفقرتين :

١ ــ «سبق السيف العذل».

هذا مثل قاله ضبة بن أد، وكان له ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فكان ضبة كلما رأى شخصاً مقبلاً قال : أسعد أم سُعَيْد. فذهبتْ مثلاً. وبينا ضبة يسير ومعه الحارث ابن كعب في الشهر الحرام إذ أتيا على مكان فقال الحارث : أترى هذا الموضع فإني لقيت به فتى من صفته كذا وكذا فقتلته وأخذت هذا السيف منه، فإذا هي صفة سعيد، فقال له ضبة : أرني السيف أنظر إليه فناوله فعرفه ضبة، فقال عند هذا : إن الحديث ذو شجون وفتنة، فذهبت مثلاً فضربه بالسيف فقتله فلامه الناس وقالوا : قتل رجلاً في الشهر الحرام فقال : سبق السيف العذل وفيه يقول الفرزدق :

فلا تأمنن الحرب إن اقتحامها
كضبة إذ قال : الحديث شجون

* * *

٢ ــ قال جرير يعيب بني شيبان بإنكاحهم الفرزدق :

غاب المثنى فلم يشهد نجيكم
والحوفزان ولم يشهدك معروق

يارب قائلة بعد البناء بها
لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

المثنى هو المثنى بن حارثة من بني ذهل بن شيبان أجمعت عليه بكرة فغزا سواد الكوفة، فكان عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ يسميه مؤمر نفسه، ومعروق من بني شيبان أيضاً، أما الحوفزان فهو الحارث بن شريك من بني همام بن مرة، وجده الصلت بن عمرو، أجمعت على تقديمه بكر. ولوالده شريك يقال:

يـاشـريـك بـن عـمير ... هـل مـن المـوت محـالـهْ

يـا أخـا كـل مـصـاف ... يـا أخـا مـن لا أخـالـهْ

وإنما قيل له الحوفزان؛ لأن قيس بن عاصم المنقري حفزه بالرمح في وركه فعرج منها.

وهذا التوضيح للنص يؤكد ماسبق قوله من أنه من السمات المشتركة بين الكامل وهديه، فيظهر أن مؤلف هدي كامل المبرد قد جاري المبرد في ذلك، وهذا مما يقوي اهتداءه به وتمثله له و يؤكد أن الكتاب الذي بين أيدينا إنما هو هدي كامل المبرد وليس شيئاً آخر.

* * *

بقى أن أبواب [هدي كامل المبرد] عشرون، وأن أبواب الكامل سبعة وخمسون.

ولا يقدح هذا فيما ذهبنا إليه من أن (هدي كامل المبرد) كتاب أُلف على غرار الكامل للمبرد؛ فلا يستلزم ذلك تطابق الكتابين كماً

وكيفاً، ولو تم التطابق بين الكتابين في إحدى هاتين الناحيتين أو في كلتيهما لكان (هدي كامل المبرد) معارضة لكامل المبرد أكثر منه تقليداً له واهتداءً به.

* * *

وبعد هذا نسأل :

ألا توجد نصوص أدبية أو حكايات تاريخية مشتركة بين الكتابين؟

ننبه أولاً إلى أنه ليس من شرط الاقتداء بل ولا من حسنه أن ينقل المقتدي كلام المقتدى به، ولو أن ذلك ليس على إطلاقه، فقد يتوارد المؤلفان على الإعجاب بقصيدة أو مقطوعة أو حكاية أو مثل ونحوه، وفي هذه الحالة يكون مشروعاً للاحق أن يأخذ عن السابق بشتى وجوه الأخذ.

ومع ذلك فبقراءة الكتابين التقطتْ الذاكرة التقاءهما في ثمانية وأربعين موضعاً تواردا فيها على نصوص مختلفة كلها أو بعضها بنصها أو مع اختلاف في رواياتها، وقد جاء ذلك عرضاً لاقصداً، فلم يصرح صاحب هدي كامل المبرد بالأخذ عن المبرد إلا في مرات قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.

وها هي ذات أرقام اللقاءات وصفحاتها في الكتابين:

مسلسل	« هدي كامل المبرد » الذي طبع تحت اسم: «اختيار من كتاب الممتع تحقيق الدكتور الكعبي	مسلسل	«الكامل في اللغة والأدب» طبعة دار نهضة مصر. تحقيق المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم بالاشتراك د. ت.
١	ص ٣٨	١	ج٤ ص ٦٨
٢	ص ٤٠	٢	ج٣ ص ٢٨٨

٣	ص ٥٧	٣	ج٣ ص ١٧٩
٤	ص ٧٤	٤	ج١ ص ١٦٣
٥	ص ٩٨	٥	ج١ ص ٢٧٣
٦	ص ٩٨	٦	ج١ ص ٣٤٨
٧	ص ١٠١	٧	ج٣ ص ١٩٢
٨	ص ١٢٥	٨	ج١ ص ٤٩
٩	ص ١٢٨	٩	ج٢ ص ٦٧
١٠	ص ١٦١	١٠	ج٢ ص ٥٧
١١	ص ١٦٨	١١	ج٢ ص ١٢٧
١٢	ص ١٧٦	١٢	ج١ ص ٢١٦
١٣	ص ١٧٦	١٣	ج١ ص ٢١٨
١٤	ص ١٧٧	١٤	ج١ ص ٢١٨
١٥	ص ١٨١	١٥	ج٣ ص ٨٨
١٦	ص ١٨٢	١٦	ج٢ ص ١٦٥
١٧	ص ١٨٦	١٧	ج٢ ص ٣١
١٨	ص ١٩٣	١٨	ج٣ ص ٢١٩
١٩	وأنشد أبو العباس بن يزيد المبرد لبعض العرب ص ٢٠٤	١٩	ج١ ص ١٠٦
٢٠	قال المبرد ص ٢٠٨	٢٠	ج٢ ص ٣٠
٢١	ص ٢٠٩	٢١	ج٢ ص ٣٦
٢٢	ص ٢٢٧	٢٢	ج٣ ص ١٩٨
٢٣	ص ٢٣٠	٢٣	ج١ ص ٤٦
٢٤	قال المبرد ص ٢٤٢	٢٤	ج٢ ص ٦٣
٢٥	ص ٢٦٥	٢٥	ج١ ص ٤٨
٢٦	وأنشد المبرد لرجل من عبدالقيس يهجو ناهلة ص ٢٦٦	٢٦	ج٣ ص ١١
٢٧	ص ٢٦٧	٢٧	ج٣ ص ٩

٢٨	قال المبرد : حدثنى رجل من أهل الكوفة ص ٢٦٧	٢٨	ج٣ ص ٩
٢٩	ص ٢٦٩	٢٩	ج٣ ص ٩
٣٠	ص ٢٦٩	٣٠	ج١ ص ٩٨
٣١	ص ٢٨٤	٣١	ج١ ص ٣٥٤
٣٢	ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧	٣٢	ج١ ص ١٧١
٣٣	ص ٢٩٣	٣٣	ج٢ ص ١٠٠
٣٤	ص ٢٩٤	٣٤	ج٢ ص ١٠٠
٣٥	ص ٣٠٥	٣٥	ج١ ص ١١٩
٣٦	ص ٣٠٦	٣٦	ج٢ ص ٧١
٣٧	ص ٣١٣	٣٧	ج٢ ص ٤٨
٣٨	ص ٣٥٨	٣٨	ج١ ص ٤٨
٣٩	ص ٣٥٩	٣٩	ج١ ص ١٩٠
٤٠	ص ٣٦١	٤٠	ج٤ ص ٦٠
٤١	ص ٣٦١	٤١	ج٤ ص٦١
٤٢	ص ٣٦٢	٤٢	ج٤ ص ٤٧
٤٣	ص ٣٧٧	٤٣	ج١ ص ٨٨
٤٤	ص ٣٩٣	٤٤	جـ٣ ص ٣٤٥
٤٥	ص ٤٠٩	٤٥	جـ٢ ص ٣٢
٤٦	ص ٤١٥	٤٦	جـ١ ص ١٧٣
٤٧	ص ٤٤٧	٤٧	جـ٢ ص٧٤
٤٨	ص ٤٧٠	٤٨	جـ١ ص ٣٥٧

ولاننسى أن صاحب (هدي كامل المبرد) كان ممتلئاً بالمبرد في كتابه (الكامل) وفي غيره من كتبه، فقد وجدنا في كتابه نصوصاً من (الفاضل) ومن (نسب عدنان وقحطان) وهما كتابان من كتب المبرد[١]

---

(١) انظر صفحات ١٦، ٢٤٣، ٢٥١ من تحقيق الكعبي.

كما وجدناه يقول : قال المبرد : كان يقال :

إن عليّ بن عبد الله بن عباس كان إلى منكب عبد الله بن العباس وعبد الله إلى منكب العباس، وأن العباس كان إلى منكب عبد المطلب قال: فطاف علي بن عبد الله بالبيت فرأته عجوز وعليٌّ قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة، فقالت: لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون، عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض»(١) .

وهذا القول ليس في الكامل ولا في الفاضل ولا في نسب عدنان وقحطان.

* * *

والآن :

مع نصوص مما التقى عليه الكتابان (الكامل) للمبرد، و(هدي كامل المبرد)؛ فقد يساعد ذلك على تصور حقيقة الصلة بين الكتابين وعلى تأكيد حقيقة أن الكتاب الذي حُقق ونُشر باسم الممتع إنما هو (هدي كامل المبرد).

وسنكتفي بثلاثة نصوص، ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتابين وبين يديه ماقدمناه له من أماكن وجود النصوص المشتركة بتحديد صفحاتها في كل من الكامل وما دعاه الكعبي (اختيار من كتاب الممتع).

ـ ١ ـ

في الكامل للمبرد جـ١ ص١٠٦ نقرأ هذا النص :

---

(١) تحقيق الكعبي ص١٧٩.

قال أعرابي من بني الحارث بن كعب :

رئمت لسلمى بوَّضيم وإنني
قديماً لآبى الضيم وابن أباة

فقد وقفتني بين شك وشبهة
وما كنت وقّافاً على الشبهات

فيا بعل سلمى كم وكم بأذاتها
عدمتك من بعل تطيل أذاتي

بنفسي حبيب حال بابك دونه
تقطع نفسي دونه حسرات

ووالله لولا أن تساء لرعته
بما ليس بالمأمون من فتكاتي

قوله : [رئمت لسلمى بوَّضيم] فإنما هذا مثل، وأصله أن الناقة إذا ألقت سقبها فخيف انقطاع لبنها، أخذوا جلد حوار ـ والحوار ولد الناقة من حين تضعه إلى أن ينفطم ـ فحشوه تبناً، ولطخوه بشيء من سلاها، ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك كرباً و يقال للخرقة التي تُجعل في أنفها الغمامة، ثم تُسل تلك الخرقة من أنفها فتجد روحاً وترى ذلك البوَّ تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه، فإن درَّتْ عليه قيل: ناقة درور، وترأمه: تشمه، و يقال في هذا المعنى: ناقة ظئور، فينتفع بلبنها، و يقال: ناقة رائم ورءوم إذا كانت ترأم ولدها أو بوَّها، فإن رئمت ولم تدر عليه فتلك العلوق.

* * *

وفي هدي كامل المبرد المطبوع بتحقيق الكعبي نجد الشعر نفسه في ص٢٠٤ مسبوقاً بقول المؤلف: وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لبعض العرب، ويورد خمسة الأبيات السابقة، ثم ــ كالمبرد ــ يشرح ما يحتاج منها إلى شرح بقوله:

البوُّ : أن يخاف انقطاع لبن الناقة إذا مات سقبها، فيؤخذ جلد حوارها فيحشى تبناً ويلطخ بشيء من سلاها فتعطف عليه بعد أن يغمر أنفها بالغمامة حتى تكرب، ثم تسل الخرقة فتجد روحاً وترى ذلك البوَّ تحتها فترأمه أي تشمه فيدر لبنها.

ــ ٢ ــ

في الكامل للمبرد جـ٢ ص٦٣ ــ ٦٤ نقرأ هذا النص :

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لعائشة رحمها الله، وقد كانت نذرت أن تعتق قوماً من ولد إسماعيل، فسُبي قوم من بني العنبر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن سرك أن تعتقي الصميم من ولد إسماعيل فأعتقي من هؤلاء» فقال النسابون: فبهراء من قضاعة، وقد قيل: قضاعة من بني معد، فقد رجعوا إلى إسماعيل.

ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير ــ وهو الحق ــ قال: فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق.

وقول المبرزين من العلماء : إنما العرب المتقدمة من أولاد عابَرَ، ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق، فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الْهَمَيْسَع بن تيمن بن بَنْت بن قيذر بن إسماعيل صلوات الله عليه، فقد رجعوا إلى إسماعيل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة، وقيل من الأنصار :

«ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً».

* * *

وفي هدي كامل المبرد المطبوع تحت اسم الممتع نجد النص كما سبق لكنه ينتهي بعد [بن قيذر بن إسماعيل] وقبل [صلوات الله عليه] ص٢٤٢.

— ٣ —

في الكامل جـ١ ص١٩١، جـ٤ ص٥١ :

«وقال صخر بن عمرو بن الشريد ينعي معاوية أخاه، وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان، فقيل لصخر: اهجهم، فقال: مابيني وبينهم أقذع من الهجاء، ولو لم أمسك عن هجائهم إلا صوناً لنفسي عن الخنا لفعلت ثم خاف أن يظن به عيٌّ فقال :

وعاذلة هبت بليل تلومني
ألا لاتلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول : ألا تهجو فوارس هاشم
ومالي أن أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي
وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية
فحياك رب الناس عني معاويا

وهوّن وجدي أنني لم أقل له
كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة : فلما أصاب دريداً زاد فيها.

وذي إخوة قطعت أرحام بينهم
كما تركوني واحداً لا أخا ليا

* * *

وفي هدى كامل المبرد نجد الشعر غير مسبوق بنثر، وإنمابدأه هكذا: قال صخر بن عمرو بن الشريد، وختمه بشرح كلمة [شماليا] فقال: الشمال واحدة الشمائل، وهي الخلائق، ثم ذكر قصة مقتل معاوية بن عمرو أخيه، وسعى صخر في الأخذ بثأره، وسأم زوجة صخر منه لما طعن في الحرب ونبا من جرحه مثل اليد، وقتله إياها.

* * *

والقصة طويلة ومتداخلة وهي من الأدب الإنساني في الدرجة العالية وبحسبنا هنا نهايتها قالوا: لما هم صخر بقتل زوجته سليمى أخذ السيف فلم يستقل به ساعده، وضعف عن الضرب به، فتركها حتى وجد راحة فعلقها بيدها إلى عمود الخباء حتى ماتت، ثم قطع ما نتأ من جنبه فيئس من نفسه فقال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب
وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب (١)

* * *

(١) تحقيق الكعبي صص٣٥٩ ـ ٣٦١ وتحقيق سلام صص٢٦١ ـ ٢٦٣

ونستنطق هذه النصوص فلا نجد عندها إلا أن الكامل للمبرد كان أحد المراجع، بل أهم المراجع التي رجع إليها صاحب [هدي كامل المبرد] وهو يؤلفه، وأنه في بعض الأحيان كان يجمع شتات (الكامل) كما هنا؛ فهو قد كمَّل الخبر المذكور في جـ١ ص١٩١ بما جاء في جـ٤ ص٥١ وما بعدها.

* * *

وعن طريقته وتوزيعه الكتاب على أبواب، وجعله ذلك الكتاب ـ كالكامل ـ مكتفياً بنفسه ومستغنياً عن أن يُرجع فيه إلى غيره؛ فهذه أمور ثابتة في الهدي مثلما هي ثابتة في الكامل، وهي تسمح لنا مثلما تسمح لأي باحث منصف بأن يصدق ذلك المؤلف المجهول فيما ذهب إليه من أن كتابه إنما هو ـ كما سماه بحق ـ : [هدي كامل المبرد].

الفصل الثاني

بين العمدة والكتاب المحقَّق



مدخل

نوازن في هذا الفصل بين [العمدة] وما حقق ونشر تحت اسم «اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله» مرة، و«الممتع في صنعة الشعر» مرة؛ لنرى مدى التوافق بين اسم كل منهما ومسماه.

وواضح أن هذا الفصل قسمان :

القسم الأول :

نشرح فيه وبه انطباق اسم الكتاب الأول على مسماه، وتحقيق هذا المسمى لاسمه، وبعبارة أخرى وربما أوضح: نبين أن عنوان الكتاب الأول إجمال يفصله الكتاب نفسه، وأن الكتاب نفسه تفصيل يجمله عنوانه الذي هو [العمدةفي محاسن الشعر وآدابه ونقده] عند محققه المرحوم محمد محيى الدين عبد الحميد، و[العمدة في صناعة الشعر ونقده وعيوبه] كما سماه صاحب الحلل السندسية الأمير شكيب أرسلان[1] .

والقسم الثاني :

نوضح فيه وبه عدم انطباق اسم الكتاب الثاني على مسماه، وعدم تحقيق المسمى لاسمه.

وإذا كان القسم الأول مهماً لنا بإيجابيته، فلعل القسم الثاني أن يكون هو الأهم على الرغم من سلبيته، ومن مخالفته للقسم الأول في نتيجته، ولست سعيداً بذلك قطعاً، لكنه الامتثال للحق ولو كان مراً.

---

(١) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية تأليف الأمير شكيب أرسلان طبعة بيروت دار مكتبة الحياة. في بطاقته بمكتبة كلية التربية جامعة الملك سعود بالرياض أنه مطبوع سنة ١٣٥٥هـ، وبالرجوع إلى الكتاب لم أجد به تاريخ طبعه.

القسم الأول

العمدة

يقع هذا الكتاب في ثمانية ومائة باب موزعة على جزئين مكونين من خمسين وستمائة صفحة(١) .

أما موضوعه فيتضح من قول ابن رشيق في مقدمته «وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته وتمتثل إرادته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر لحكمة»، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعم ماتعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم و يستعطف بها اللئيم مع ماللشعر من عظيم المزية، وشرف الأبية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه، يقدمون و يؤخرون، و يقلون و يكثرون، قد بوبوه أبواباً مبهمة ولقبوه ألقاباً متهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه؛ ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله تعالى(٢) .

انتهى كلام ابن رشيق، وفحواه أن من تعرضوا للشعر ممن سبقوه أو عاصروه، قد اختلفوا فيه، وتخلفوا عن كثير منه، منهم من لم يستقم منهجه، فقدم ما حقه التأخير، وأخَّر ما حقه التقديم، ومنهم من أفرط فأطنب حتى أمل، أو فرَّط فأوجز حتى أخل، ثم منهم من لم تتضح

(١) الطبعة الثانية تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد،شوال ١٣٧٤هـ ــ يونية ١٩٥٥م.

(٢) العمدة جـ١ ص١٦.

رؤيته لموضوعه فجاءت أبوابه غامضة مبهمة، ومن لم يتجرد عن هواه، فجاءت أحكامه حائدة متهمة، ولما كان هذا تقصيراً منهم، وإهداراً لحق الموضوعية عليهم، فإنه قد ندب نفسه للقيام بالمهمة على وجهها الصحيح، معولاً على قريحة نفسه، ونتيجة خاطره، وها هو ذا يغربل كلامهم، ويختار أحسن ما عندهم ثم يشفعه بما عنَّ له، و يودعه كتابه الذي سماه [العمدة] وقد جاء [عمدةً] بحق في علم الشعر وعمله وأدواته، وفي نقده و بلاغته وثقافته، واستحق بهذا كله و بغيره تقريظ ابن خلدون له بقوله: «إنه الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة ــ صناعة الشعر ــ وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»، و بقوله: «فهذه الصناعة وتعلمها مستوفىً في كتاب العمدة لابن رشيق. ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب؛ ففيه البغية» [1] .

أجل ففيه البغية، وإنه ليمكن أن نوزع أبوابه على المحاور الآتية :

(أ) علم الشعر وعمله وأدواته.

(ب) نقد الشعر.

(جـ) ثقافة الشاعر.

(د) بلاغة الأدب.

---

(١) المقدمة ص٦٧٠ ــ ٦٧١ المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧هـ.

علم الشعر وعمله وأدواته

أولاً : في الجزء الأول :

١ ــ باب في حد الشعر وبنيته ص١١٩.

٢ ــ باب في الأوزان ص١٣٤.

٣ ــ باب في القوافي ص١٥١.

٤ ــ باب في التقفية والتصريع ص١٧٣

٥ ــ باب في الرجز والقصيد ص١٨٢.

٦ ــ باب في القطع والطوال ص١٨٦.

٧ ــ باب في البديهة والارتجال ص١٨٩.

٨ ــ باب في آداب الشاعر ص١٩٦.

٩ ــ باب في عمل الشعر وشحذ القريحة له ص٢٠٤.

١٠ ــ باب في المقاطع والمطالع ص ٢١٥.

١١ ــ باب في الإشارة ص٣٠٢.

١٢ ــ باب في التتبيع ص٣١٣.

وثانياً : في الجزء الثاني :

١٣ ــ باب التفسير ص٣٥.

١٤ ــ باب الاستطراد ص٣٩.

١٥ ــ باب التفريع ص٤٢.

١٦ ــ باب الاطراد ص٨٢.

١٧ ــ باب التضمين والإجازة ص٨٤.

١٨ ــ باب التغاير ص١٠٠.

١٩ ــ باب أغراض الشعر وصنوفه ص١١٣.

٢٠ ــ باب النسيب ص١١٦.
٢١ ــ باب المديح ص١٢٨.

٢٢ ــ باب الافتخار ص١٤٣.

٢٣ ــ باب الرثاء ص ١٤٧.

٢٤ ــ باب الاقتضاء والاستنجاز ص١٥٨.

٢٥ ــ باب العتاب ص١٦٠.

٢٦ ــ باب الوعيد والإنذار ص ١٦٧.

٢٧ ــ باب الهجاء ص ١٧٠.

٢٨ ــ باب الاعتذار ص ١٧٦.

٢٩ ــ باب في الرخص في الشعر ص٢٦٩.
٣٠ ــ باب في الوصف ص٢٩٤.
٣١ ــ باب في الشطور وبقية الزحاف ص٣٠١.
٣٢ ــ باب أحكام القوافي في الخط ص٣٠٤.
٣٣ ــ باب الإنشاد وما ناسبه ص٣١٠.

نقد الشعر

أولاً : في الجزء الأول :

١ ـ باب في فضل الشعر ص١٩.

٢ ـ باب في الرد على من يكره الشعر ص٢٧.

٣ ـ باب في القدماء والمحدثين ص٩٠.

٤ ـ باب في الشعراء والشعر ص١١٣.

٥ ـ باب في اللفظ والمعنى ص١٢٤.

٦ ـ باب في المطبوع والمصنوع ص١٢٩.

٧ ـ باب في المبدأ والخروج والنهاية ص٢١٧.

٨ ـ باب في النظم ص٢٥٧.

٩ ـ باب في المخترع والبديع ص٢٦٢.

١٠ ـ باب في المثل السائر ص٢٨٠.

وثانياً : في الجزء الثاني :

١١ ـ باب في المبالغة ص٥٣.

١٢ ـ باب في الإيغال ص٥٧.

١٣ ـ باب في الغلو ص٦٠.

١٤ ــ باب في التشكيك ص٦٦.

١٥ ــ باب في الحشو وفضول الكلام ص٦٩.

١٦ ــ باب التكرار ص٧٣.

١٧ ــ باب نفي الشيء بإيجابه ص٨٠.

١٨ ــ باب الاتساع ص٩٣.

١٩ ــ باب الاشتراك ص٩٦.

٢٠ ــ باب في التصرف ونقد الشعر ص١٠٠.

٢١ ــ باب في أشعار الكتاب ص١٠٦.

٢٢ ــ باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح ص١٨١.

٢٣ ــ باب ما أشكل من المدح والهجاء ص١٨٦.

٢٤ ــ باب من المعاني المحدثة ص٢٣٧.

٢٥ ــ باب من أغاليط الشعراء والرواة ص٢٤٥.

٢٦ ــ باب ذكر المعاظلة والتشبيج ص٢٦٤.

٢٧ ــ باب الوحشي المتكلف والركيك المستضعف ص٢٦٥.

٢٨ ــ باب الإحالة والتغيير ص٢٦٧.

٢٩ ــ باب السرقات وما شاكلها ص٢٨٠.

ثقافة الشاعر

أولاً : في الجزء الأول :

١ ــ باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ص ٣٢

٢ ــ باب من رفعه الشعر ومن وضعه ص ٤٠

٣ ــ باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه ص ٥٣

٤ ــ باب شفاعات الشعراء وتحريضهم ص ٥٦

٥ ــ باب احتماء القبائل بشعرائها ص ٦٥

٦ ــ باب من فأل الشعر وطيرته ص ٦٧

٧ ــ باب في منافع الشعر ومضاره ص ٦٩

٨ ــ باب في تعرض الشعراء ص ٧٦

٩ ــ باب التكسب بالشعر والأنفة منه ص ٨٠

١٠ ــ باب تنقل الشعر في القبائل ص ٨٦

١١ ــ باب المشاهير من الشعراء ص ٩٤

١٢ ــ باب المقلين من الشعراء والمغلبين ص ١٠٢

١٣ ــ باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء ص ١٠٩

وثانياً : في الجزء الثاني.

١٤ ــ باب في أصول النسب و بيوتات العرب ص ١٩٠

١٥ ــ باب مما يتعلق بالأنساب ص ١٩٣

١٦ ــ باب في ذكر الوقائع والأيام ص ١٩٨

١٧ ــ باب في معرفة ملوك العرب ص٢٢٥.

١٨ ــ باب من النسبة ص٢٣٠.

١٩ ــ باب العتاق من الخيل ومذكوراتها ص٢٣٤.

٢٠ ــ باب في ذكر منازل القمر ص٢٥٢.

٢١ ــ باب في معرفة الأماكن والبلدان ص٢٥٨.

٢٢ ــ باب الزجر والعيافة ص٢٩٥.

٢٣ ــ باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه ص٣٠٦.

٢٤ ــ باب حكم البسملة قبل الشعر ص٣٠٩.

٢٥ ــ باب النسبة إلى الروى ص٣١٠.

٢٦ ــ باب الجوائز والصلات ص٣١٥.

بلاغة الأدب

أولاً : في الجزء الأول :

١ ــ باب البلاغة ص٢٤٠.
٢ ــ باب الإيجاز ص٢٥١.
٣ ــ باب البيان ص٢٥٤.
٤ ــ باب المجاز ص٢٦٥.
٥ ــ باب الاستعارة ص٢٦٩.
٦ ــ باب التمثيل ص٢٧٧.
٧ ــ باب التشبيه ص٢٨٦.
٨ ــ باب التجنيس ص٣٢١.
٩ ــ باب الترديد ص٣٢٣.

وثانياً : في الجزء الثاني :

١٠ ــ باب التصدير ص٣.
١١ ــ باب المطابقة ص٥.
١٢ ــ باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة ص١٢.
١٣ ــ باب المقابلة ص١٥.
١٤ ــ باب التقسيم ص٢٠.
١٥ ــ باب التسهيم ص٣١.
١٦ ــ باب الالتفات ص٤٥.
١٧ ــ باب الاستثناء [تأكيد المدح بما يشبه الذم] ص٤٨.
١٨ ــ باب التتميم ص٥٠.
١٩ ــ باب من التكرار [المذهب الكلامي] ص٧٨ (١).
٢٠ ــ باب التغاير ص١٠٠.

(١) لم يأخذ هذا الباب رقماً مسلسلاً في الكتاب، وهو من البلاغة كما نرى، أما [باب التكرار] فهو رقم ٧٣ في المسلسل، وقد أدرجناه في نقد الشعر؛ لأنه أقرب إليه وأشبه به.

هذا كان توزيع أبواب العمدة على محاوره الرئيسية، وقد نجحتْ هذه الأبواب في توضيح موضوعات الكتاب بدرجة كافية.

ويجدر التنبيه إلى أنه لا حدود قائمة ــ ولاينبغي أن تكون ــ بين الجزئيات في التقسيمات الأربعة، ولا بين التقسيمات نفسها، فَعِلْمُ الشعر وعمله وأدواته متلازمة تقريباً، وهي لذلك متداخلة أو شبه متداخلة، وثقافة الشاعر يمكن أن تكون من العلم بالشعر بل إنها لكذلك فعلاً، ثم إن إقامة الشعر على وجهه الصحيح ضرب من بلاغة الأدب، وبلاغة الأدب كلها تجب مراعاتها في عمل الشعر، أما النقد والبلاغة فلا فرق بينهما في العمدة إلا أن النقد قد اقتصر على الشعر، وأن البلاغة قد شملت الشعر والنثر، ولقد كان هذا هو السبب في أننى أضفت النقد إلى الشعر، والبلاغة إلى الأدب وأنا أوزع أبواب الكتاب على أضلاع المربع الذي تحرك فيه ابن رشيق وهو يؤلف كتاب العمدة.

* * *

ولما كانت الأبواب السابقة هي كل أبواب كتاب العمدة فإننا نسأل هل حققت هذه الأبواب اسم الكتاب؟

وبعبارة أخرى : هل وَفَتْ باسمه وكشفت عن رسمه ووفَّتْ موضوعه ــ وهو الشعر ــ حقه من البحث والدراسة، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بمحاسن الشعر وآدابه أم فيما يتعلق بعيوبه، أم فيما يتعلق بمعرفة صناعته؟

يستشرف التوزيع السابق لهذه الأبواب على محاورها الأربعة، الإجابة عن هذا السؤال، ولو اقتصرنا عليه لجاء إجابةً مجملةً، وهي كافية إذا كان متلقيها واعياً، ولم يكن له رأي مسبق ولا سلوك محدد.

أما والأمر ليس كذلك، فإن المنهجيه العلمية تحتم علينا أن نلقى بعض الضوء على موضوعات كتاب العمدة، ولما كنا سنعول في ذلك على كتاب العمدة نفسه، فإن من الأجدى لنا، ومن الإنصاف لكتاب العمدة أن نكل إلى مؤلفه القيام بهذه المهمة.

ونظراً إلى أن ابن رشيق قد قرن في كتابه كل شكل بشكله، وردَّ كل فرع إلى أصله كما قال في مقدمته، فقد جار يناه في ذلك حين وزعنا أبواب الكتاب على محاوره.

وهذه نماذج من معالجة ابن رشيق لبعضها، نقدم لها، ونعقب عليها بما يؤكد التلاحم القائم بين الاسم ومسماه طرداً، أو بين المسمى واسمه الذي عنون به عكساً.

علم الشعر وعمله وأدواته

لم يكن بد وابن رشيق يؤلف العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أن يدلى بدلوه في تعريف الشعر، وفي تحليل نسجه، وفي تأسيسه على قواعده وفي شرح دوافعه وأغراضه، وفي بيان فضله ومنافعه ومضاره وسيرورته، وفي كيفية التصرف في فنونه، ثم في طريقة كتابته وإنشاده، وما إلى ذلك مما يتعلق بعلمه وعمله وأدواته، نجد ذلك كله وغيره في كثير من أبواب كتاب العمدة، لكننا سنقتصر في التمثيل لبعضه بما قاله من عند نفسه، أو نقله عمن سماه باسمه في ثلاثة أبواب من الأبواب التي أدرجناها تحت ماعنوناه [علم الشعر وعمله وأدواته]

وهذه الأبواب هي :

١ – باب حد الشعر وبنيته ج١ ص ١١٩

٢ – باب في آداب الشاعر ج١ ص ١٩٦

٣ – باب في عمل الشعر وشحذ القريحة له ج١ ص٢٠٤

* * *

(أ) من باب حد الشعر وبنيته

الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزنا مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية كأشياء أنزلت من القرآن ومن كلام النبى صلىٰ الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر.

والمتزن : ما عرض على الوزن فقبله، فكأن الفعل صار له، ولهذه العلة سمى ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة، هذا هو الصحيح، وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لا فاعل لهما نحو شويت اللحم فهو منشو ومشتو، وبنيت الحائط فهو منبن، ووزنت الدينار فهو متزن، وهذا محال لايصح مثله في العقول، وهو يؤدى إلى ما لاحاجة لنا به، ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك إلا المجاز والاتساع، وإلا فليس هذا مما يغلط فيه من رق ذهنه وصفا خاطره، وإنما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على من زعم أن المتزن غير داخل في الموزون، وإذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن؟ وكيف يقع عليه هذا الاسم؟

والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع، وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخيّ والأوتاد للأخبية، فأما ماسوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفه، ولو لم تكن لاستغنى عنها.

قال الرمانى علىّ بن عيس :

أكثر ماتجرى عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب، والمدح والهجاء والفخر والوصف، و يدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف.

وقال عبدالملك بن مروان لأرطاة بن سهية : أتقول الشعر اليوم؟ فقال : والله ما أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن.

قال أبو علي البصير :

مدحت الأمير الفتح أطلب عرفه
وهل يستزاد قائل وهو راغب

فأفنى فنون الشعر وهي كثيرة
وما فنيت آثاره والمناقب

فجعل الرغبة غاية لامزيد عليها.

وقال عبدالكريم : يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرغ من كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المديح المراثى والافتخار والشكر، و يكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، و يكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، و يكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والخمور

* * *

(٢) من باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيء الأكناف، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس، و يزينه في عيونهم، و يقربه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عزوف الهمة، نظيف البزة، أنفا؛ لتهابه العامة، و يدخل في جملة الخاصة، فلا تمجه أبصارهم، سمح اليدين، والإفهو كما قال ابن فنن واسمه أحمد :

وإن أحق الناس باللوم شاعر
يلوم على البخل الرجال و يبخل.

والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة، لاتساع الشعر، واحتماله كل ماحمل من نحو ولغة وفقه وخبر، وحساب وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه، ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار، وصاحبه الذي يذم ويحمد، ويهجو ويمدح، و يعرف مايأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه، فهو على نفسه شاهد، وبحجته مأخوذ.

وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب، ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم، و يقوى بقوة طباعهم، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار،

والتلمذة لمن فوقه من الشعراء، فيقولون : شاعر راوية، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الكلام، ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية، ضل واهتدى من حيث لايعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه، لضعف آلته كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة، وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء، فقال : هو الراوية، يريد أنه إذا روى استفحل.

قال يونس بن حبيب : وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة.

وقال رؤبة في صفة شاعر :

لقد خشيت أن تكون ساحراً
راوية مرًّا ومرًّا شاعراً

فاستعظم حاله حتى قرنها بالسحر، وقال الأصمعي : لايصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض، ليكون ميزاناً له على قوله.

والنحو ليصلح به لسانه، وليقيم به إعرابه.

والنسب وأيام الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب، وذكرها بمدح أو ذم.

ولا يستغني المولد عن تصفح أشعار المولدين، لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ، وإشارات الملح ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل، وإن كانوا هم فتحوا بابه، وفتقوا جلبابه، وللمتعقب

زيادات وافتنان، لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ما ذكرته آخر كلامي هذا دون ما قدمته، فإنه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة، وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع جادته، وإذا أعانته فصاحة المتقدم، وحلاوة المتأخر اشتد ساعده، وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض، وعسى أن يكون أرشق سهاماً وأحسن موقعاً ممن لوعول عليه من المحدثين لقصر عنه، ووقع دونه، وليجعل طلبه أولاً للسلامة فإذا صحت له طلب التجويد حينئذ، وليرغب في الحلاوة والطلاوة رغبته في الجزالة والفخامة، وليجتنب السوقي القريب، والحوشي الغريب، حتى يكون شعره حالاً بين حالين كما قال بعض الشعراء :

عليك بأوساط الأمور فإنها
نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

فأول ما يحتاج إليه الشاعر ـ بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية ـ حسن التأتي والسياسة وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خبَّ ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنَّ ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سرُّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا، وقد قيل : لكل مقام مقال، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته ـ من مزح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك ـ غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين، يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه، ومالم يتكلف له بالاً ولا ألقى به، ولايقبل منه في هذه إلا ما كان محككاً معاودًا فيه النظر، جيداً لاغث فيه، ولا ساقط ولا قلق، وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ماتقدم من هذه الأنواع،

وسيأتى هذا في موضعه من هذا الكتاب مفصلاً إن شاء الله تعالى، والمتأخر من الشعراء في الزمان لايضره تأخره إذا أجاد، كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر، وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير، كما أن للمتأخر فضل الإجادة أو الزيادة، ولايكون الشاعر حاذقاً مجودًا حتى يتفقد شعره، و يعيد فيه نظره، فيسقط رديه، و يثبت جيده، و يكون سمحاً بالركيك منه، مطَّرحاً له، راغباً عنه، فإن بيتا جيداً يقاوم ألفى ردىء، و يقال إن أبا نواس كان يفعل هذا الفعل، فينفى الدنى، و يبقى الجيد، وليلتمس له من الكلام ماسهل، ومن القصد ماعدل، ومن المعنى ما كان واضحاً جليا، يُعرف بديا، فقد قال بعض المتقدمين : شر الشعر ماسئل عن معناه، وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولى المحكك، أخذ في ذلك بمذهب زهير وأوس وطفيل.

(٣) من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له

لابد للشاعر ـــ وإن كان فحلاً حاذقاً مبرزاً مقدماً ـــ من فترة تعرض له في بعض الأوقات إما لِشغل يسير، أو موت قريحة، أو نبوٍّ طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين، وقد كان الفرزدق ـــ وهو فحل مضر في زمانه ـــ يقول : تمر عليَّ الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون عليَّ من عمل بيت من الشعر، فإذا تمادى ذلك على الشاعر قيل : أصفى، وإِفصى، كما يقال : أفصت الدجاجة إذا انقطع بيضها، وكذلك يقال : أجبل، كما يقال لحافر البئر إذا بلغ جبلاً تحت الأرض لايعمل فيه شيء: أجبل.

ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشحذ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام، وتسهل طريق المعنى، كل امرىء على تركيب طبعه، واطراد عادته، وسيأتى ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى.

قال بكر بن النطاح الحنفى : الشعر مثل عين الماء إن تركتها اندفعت، وإن استهتنتها هتنت.

وليس مراد بكر أن تُستهتن بالعمل وحده، لأنا نجد الشاعر تكل قريحته مع كثرة العمل مراراً، وتنزف مادته، وتنفد معانيه، فإذا أجمَّ طبعه أياماً ـــ وربما زمناً طويلاً ـــ ثم صنع الشعر، جاء بكل آبدة، وانهمر في كل قافية شاردة، وانفتح له من المعانى مالو رامه من قبل

لاستغلق عليه وأبهم دونه، لكن بالمذاكرة مرة، فإنها تقدح زناد الخاطر، وتفجر عيون المعانى، وتوقظ أبصار الفطنة، وبمطالعة الأشعار كرة، فإنها تبعث الجد، وتولد الشهوة.

وكان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً : يشعل سراجه و يعتزل، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه، رغبةً في الخلو بنفسه.

وروى أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال و بطون الأودية، والأماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده، حكى ذلك عن نفسه في قصيدته الفائية :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف

قال ابن قتيبة : وللشعر أوقات يسرع فيها أتيه، و يسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير.

ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل، وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ليعلق الأعجاز بالصدور، وذلك هو التصدير، ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه، والصواب ألا يصنع الشاعر بيتاً لايعرف قافيته، غير أني لاأجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه، بل أصنع القسيم الأول على ما أر يده، ثم ألتمس في نفسي مايليق به من القوافي بعد ذلك فأبنى عليه القسيم الثاني، أفعل ذلك فيه كما يفعل من بنى البيت كله على القافية، ولم أر ذلك بمخلٍ عليَّ، ولا يزيحنى عن مرادى، ولا يغيرِّ عليَّ شيئاً من لفظ القسيم الأول إلا في الندرة التي لايعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحه، كالمتعجب من شعره فقال :

كيف تقول الشعر؟! قال : أنظر في ذلك ثم أقول.

ومن الشعراء من يسبق إليه بيت واثنان وخاطره في غيرهما، يجب أن يكونا بعد ذلك بأبيات، أو قبله بأبيات، وذلك لقوة طبعه وانبعاث مادته، ومنهم من ينصب قافيةً بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لايعدو بها ذلك الموضع إلا انحل عنه نظم أبياته، وذلك عيب في الصنعة شديد، ونقص بيِّن، لأنه ـ أعنى الشاعر ـ يصير محصوراً على شيء واحد بعينه، مضيقاً عليه، وداخلاً تحت حكم القافيه، وكانوا يقولون : ليكن الشعر تحت حكمك، ولا تكن تحت حكمه. ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافى مايصلح لذلك الوزن الذي هو فيه، ثم أخذ مستعملها وشريفها، ومساعد معانيه، وما وافقها، واطرح ماسوى ذلك، إلا أنه لابد أن يجمعها ليكرر فيها نظره، و يعيد عليها تخيره في حين العمل.

هذا الذي عليه حذاق القوم، ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفواً أثبته، ثم رجع إليه فنقحه وصفاه من كدره، وذلك أسرع له، وأخف عليه، وأصح لنظره، وأرخى لباله، وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه، وتثقيفه من جميع جهاته، وذلك أشرف للهمة، وأدل على القدرة، وأبعد من السرقة.

* * *

و بعد. فلم يكن ما اجتزأت به ـ على طوله ـ كل ما جاء في الأبواب الثلاثة السابقة بل بعضه، وهو كاف في توثيق الصلة بين عنوان كتاب [العمدة] وكتاب العمدة نفسه، ثم هو صادق الدلالة على نجاح ابن رشيق في مهمته التي أخذ على عاتقه تنفيذها وهي تأليف كتاب يكون في محاسن الشعر وآدابه ونقده العمدة.

ولأن هذا ليس موضع خلاف بيننا وبين غيرنا، فإننا نكتفي بما أثبتناه هنا، وعلى من يريد المزيد من ذلك أن يرجع إلى كتاب العمدة نفسه.



القسم الثاني
الكتاب المحقق

سبق القول بأنني سأوضح في هذا القسم وبه عدم التطابق بين

[اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله] أو [الممتع في صنعة الشعر] وما حقق ونشر مرتين تحت هذين الاسمين.

وأداءً مني لذلك على وجهه الصحيح، فإنني أبدأ بسرد أبوابه كما جاءت في مخطوطتي الموجودة في مكتبتي الخاصة بالقاهرة، والمصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، راجياً أن يساعد ذلك على تصور الكتاب ولمح مباحثه، ثم أعود فأعرف بكل باب على حدة. وضماناً لحيدتي وموضوعيتي، فإنني سأريش نفسي بنصوص من بعض أبواب الكتاب، أستبطنها، وأنفذ منها ــ على مشهد من قارئي ــ إلى ما أرى أنه الحق، وليس إلا الحق في هذه القضية التراثية.

أبواب الكتاب على حسب ورودها في المخطوطة

وهي قد وردت فيها مرتين :

مرة مجملة على وجه الورقة الأولى من المخطوطة وتحت عنوانها، فهرساً لها أو كالفهرس.

ومرة في داخل المخطوطة موزعة على أماكنها من أولها إلى آخرها وهذه هي :

١ ــ باب في العفو عمن أذنب.
٢ ــ باب والمنة لله عزَّ وجل في هذا البيان الذي جعل اللسان دليلاً عليه.
٣ ــ باب في ذكر بيوتات العرب.
٤ ــ باب في ذكر اللباس والطيب.
٥ ــ باب يذكر فيه ماقيل في الجمال وحسن الوجوه.
٦ ــ باب ومن حكماء قريش في الجاهلية عتبة بن ربيعة.
٧ ــ باب في ذكر الهيبة.
٨ ــ باب في الجهارة وخلافها.
٩ ــ باب في احتمائهم بالشعر وذبهم به عن الأعراض.
١٠ ــ باب في الأنفة من السؤال بالشعر.
١١ ــ باب فيمن رفعه المدح وحطه الهجاء، وأنف من اللقب، ورغب عن الاسم إلى اللقب.
١٢ ــ باب في النهى عن تعرض الشعراء.
١٣ ــ باب في ذكر المهيرات والسرارى.
١٤ ــ باب في أنفة السادات عن قول الهجاء والمناقضات.
١٥ ــ باب والشعرا تستحسن انتصارها بألسنتها، ويقيم ذلك أحدهم مقام سيفه ويده
١٦ ــ باب وفي الشعر التياط بالقلوب ومدخل لطيف إلى النفوس.
١٧ ــ باب في دعا بعضهم على بعض.
١٨ ــ باب في دفاع الشر بالشر.
١٩ ــ باب في التعيير والتوبيخ.
٢٠ ــ باب فيما قالوه في التحذير والتخويف من شر عاقبة الظلم.

تلك هي أبواب المخطوط الذي شُطب اسمه، ووُضع مكانه اسم آخر على أساس أنه بعض كتاب الممتع في علم الشعر وعمله أو في صنعة الشعر لعبد الكريم النهشلي.

وبإلقاء نظرة عليها لا نجد منها ماهو نص في [علم الشعر وعمله] أو في [صنعة الشعر]، ثم لانجد مما يتصل بالشعر اتصالاً ما إلا الأبواب [٢] ومن : [٩ — ١٢] ثم من : [١٤ — ١٦]

(١) باب في العفو عمن أذنب

هذا الباب جعله المحققان آخر الكتاب، وهو في الحقيقة أول المخطوطة، وسأناقش كلاً منهما على حدة فيما فعله.

أما الآن فمع الباب نفسه وهو يأتي في تحقيق الكعبى من ص ٤٦٥ إلى ٥٠٠ وفي تحقيق سلام من ص ٣٣١ إلى ٣٥٥، وقد لاحظ الكعبى أن عنوانه لاينطبق على كل مابعده من فقرات، وهي ملاحظة صائبة لكنه قصرها على هذا الباب، ولم يسحبها على معظم أبواب الكتاب حتى يصل بها عكساً إلى عنوانه فيقول الكلام نفسه.

يبدأ باب العفو عمن أذنب بحكاية غير معقولة ولا مقبولة، هي إلى الخرافة أقرب منها إلى الرواية التاريخية، ثم إن سردها ركيك ومتناقض، ونستبعد لهذا وقوعها، كما نستبعد حملها على النهشلي وهو العالم الناقد :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. باب ماجاء في العفو عمن أذنب. روى أن أعرابياً كانت له ابنة عم له (كذا بتكرار له!!) ذات حسن وجمال، فتزوج بها، وكان ابن أم الحكم عاملاً لمعاوية بن أبى سفيان (على ماذا؟) وبلغ ابن أم الحكم حسنها وجمالها، فأرسل للأعرابى وقال له : يا أعرابى. هل لك سلو عن زوجتك، ورغبة في طلاقها؟ فقال الأعرابى: لا. والله ما أسلو عنها، ولا أفارقها إلا إذا فارقت روحى من جسدى (كذا!!)[ولعله ضمّن (فارقت) معنى : خرجت]، فحبسه ابن

أم الحكم وضيق عليه، وكان له إبل وشويهات، فأنفقهن حتى نفد ما معه، وشق به الحال فطلقها على جهد جهيد، ووصل إلى عند معاوية (كذا!!) فلما مثل بين يديه ووقف عليه أنشد :

معاوى ذا الفضل والجود والبذل
وذا العطف والإحسان والبر والعقل

فخذ لى هداك الله حقى من الذي
رمانى بسهم كان أهونه قتلى[1]

فقال معاوية : ما خبرك يا أعرابى؟ وما شأنك؟ فوصف له الأعرابى القصة وأنشد :

والحب داء عسير
فيه الطبيب يحار

فليس ليلى بليل
ولا نهارى نهار

(١) كذا في اللوحة رقم ١ من المخطوط، وفي ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي :

معاوى ياذا الفضل...... بزيادة ياء النداء وهو الصحيح؛ لأن البيت من بحر المطويل، وتفاعيله فيه كاملة.

وبعده :

أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي
وأُنكرتُ مما قد أصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عني فإنني
لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي

وخذ لي هداك الله حقي ....

ذم الهوى ص٣٣٨ ــ ٣٣٩ الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

فكتب معاوية إلى ابن أم الحكم ووبخه وزجره ونهاه عن هذى وقال في آخر الكتاب أبياتاً منها :

لقد ركبت حراماً يا ابن غاوية
أستغفر الله من جور امرىء زان.

فلما وصل الكتاب إلى ابن أم الحكم وقرأه، فما وسعه إلا أن يسيرها إلى معاوية وكتب الجواب :

وما ركبت حراما حين أعجبني
فكيف سميت باسم الجائر الزاني؟!

وسوف تأتيك شمس لاخفاء بها
أبهى البرية من إنس ومن جان

فلما مثلت بين يدى معاوية، فإذا هى أحسن الناس جمالاً وكمالاً، فقال : يا أعرابى. هل لك سلو عنها؟ فقال : إذا فرقت بين رأسى وجسدى، فقال معاوية :

اختارى الأعرابى أو ابن أم الحكم أو أنا. فقالت : الأعرابى، فأخذها الأعرابى وهو يقول :

المستغيث بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار .

* * *

انتهى النص الأول من نصوص (باب في العفو عمن أذنب) وهو نص مثقل بذنوب كثيرة وكبيرة من قِبَل ابن أم الحكم، وأيضاً من قبَل معاوية، وإذا كانت هذه الذنوب قد نجحت في أن تؤهل القصة نصف

تأهيل للدخول في باب العفو عمن أذنب، فإنها تبقى معلقة ومتطلعة إلى ما ينقصها وهو العفو عنها لتستكمل تأهيلها وتظفر بحق المواطنة في بابها.

أما التناقض فنجده عند ثلاثة الرجال أبطال القصة، وعند المرأة.

فالأعرابى محبوس، وهو في الوقت نفسه ينفق على زوجه حتى ينفد ماله، ثم هو يطلق ويشتكى. لماذا لم يشتك أولا؟!! بل لماذا طلق أصلاً؟

ويطلق الأعرابى زوجته فيحوزها ابن أم الحكم، دليلنا أنه هو الذي سيرها إلى معاوية، وأن معاوية قد رماه بالزنا.

ويدفع ابن أم الحكم التهمة عن نفسه، فيزيد الطين بلةً بقوله :

وماركبت حراماً حين أعجبنى.

ماذا؟!

إنه يستحل كل ما اشتهى مادام قد أعجبه، ولو لم يكن حلالاً له.

لم يزن عامل معاوية بزوجة الأعرابى، لكنه أرغم زوجها على طلاقها وواقَعها، هذا كل ما هنالك. أعجبته فتزوجها بعد أن أزال زوجها السابق من طريقه، فكيف بعد هذا الاستحلال المكثف يُسمى باسم الجائر الزانى؟!!

إن معاوية قد ظلم ابن أم الحكم، ولم يسكت ابن أم الحكم على ظلم معاوية له، بدليل أنه لما وصل إليه كتاب معاوية، لم يسعه إلا أن يرميه بزوجته أو زوجة الأعرابى متحدياً.

والمرأة : أزوجة كانت لابن عمها أم أمة عنده؟!! إنها تحته اليوم،

وعند ابن أم الحكم غدا، وفي حضرة معاوية بعد ذلك. ما هذه العجلة، ومتى العدة؟؟!!

* * *

ويؤخذ معاوية بجمالها فيخرج عن وقاره الرفيع جداً، وعن أقطاره الدينية المترامية، وهو الصحابى خليفة المسلمين، والعهد قريب بالإسلام وبعصر النبوة، ولم يكن المسلمون قد خلعوا بعد لباس التقوى، فما هذا السقوط الدينى؟! وما هذا الإسفاف الخلقى؟!!

* * *

والحقيقة أنه لاسقوط ولا إسفاف، فالقصة مختلقة، وهي خالية من الصدقين : التاريخي والفني، ثم إنها فجة تنقصها الحبكة وجدل الحوادث جدلاً يسمح بتصورها.

وإذا كانت قد جاءت بآخرة مفصلة في كتاب ذم الهوى لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ، فإن هذا لا يشفع لمجيئها هنا، إن مجيئها هناك مفهوم، فمن هذه القصة وأمثالها يتكون الغذاء العقلى لبعض المتصوفة، وإنه ليستمرئه أكثر إذا كان واعظاً كصاحبنا.

* * *

ولا يسعنى ــ ولم أبدأ ــ إلا أن أدق ناقوس الخطر متسائلاً : أيصلح هذا النص أن يكون مدخلاً لكتاب الممتع أو من كتاب الممتع الذي هو في علم الشعر وعمله أو في صنعته؟!!

وبعد هذه القصة قصة ثانية فيها ذنب قديم من عطاء ابن أبى رباح، وعفو جديد من أبى مسلم الخراسانى.

وقصة ثالثة هي قصة أبى المطراب العنبرى، طلبه جعفر بن سليمان الهاشمى لجناية فهرب من بين يديه إلى البادية، وظل مع الوحش حتى أضرَّ به البرد والجوع.

ثم لايكون هناك ذنب ولا عفو عن ذنب، ويكون اسم الباب عبثا أو تكون الفقرات المندرجة تحته عبئاً عليه، لأنها مخالفة له وغير منسجمة معه.

* * *

(٢) باب والمنة لله عز وجل
في هذا البيان الذي جعل اللسان دليلا عليه

سماه الدكتور الكعبي [باب في البيان] وهو يقع في تحقيقه من ص ٤٤ إلى ص ١٠٣.

وسماه الدكتور سلام [باب البيان] وقد جاء في تحقيقه من ص ٣٣ إلى ٧٥.

وبقراءة هذا الباب نجد أن البيان لم يشغل منه سوى صفحة وبعض الصفحة، قال: «والمنة لله عز وجل في هذا البيان الذي جعل اللسان دليلاً عليه، وهادياً إليه، ومعرباً عن المعرفة به، خادماً للقلوب ومترجماً عن نتائج العقول، ومظهراً للحكم، قالت الفلاسفة: اللسان خادم للقلب، وقالت العرب: لسان المرء كاتب قلبه، إذا أملى عليه شيئاً أبانه. وقال حبيب:

ومما كانت العلماء قالت
لسان المرء من خدم الفؤاد

وقال ضمرة بن ضمرة للنعمان بن المنذر: المرء بأصغريه: فؤاده ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن صال صال بجنان.

وقال أبو يعقوب إسحق الخريمي:

وخلجة ظن يسبق الطرف حزمها
تشيف على غنم وتمكن من ذحل

صدعت بها والقوم فوضى كأنهم
بكارة مرباع تبصبص للفحل[1]

وقال العتابي : إن اللسان رسول العقل إلى السامعين، وأداته التي يجمع بها بين متفرق الحكمة، ويفرق بين قرائن الشبهات. وأفضل بيان العرب وأفصحه ما أداه عنها الشعر الجارى على ألسنتها بالبلاغة المحكمة، والحكمة المتقنة الباقية، مضمنا حكمها وسائر أمثالها، شاهداً على أحسابها وكريم أفعالها، مخبراً عن مروءاتهم في سالف أيامهم، وعن محمود خلائقهم وجميل وفائهم، ليتأدب غابرهم بفعل فارطهم، وليقتدى متعلمهم من الأبناء بسالف من تقدمهم من الآباء، ولذلك قال الأعشى لشريح بن عمران بن السموءل بن عادياء يذكره وفاء أبيه ليتأول ذلك فيه، وقد أسره بعض الملوك من قضاعة، ونزل ضيفاً على شريح بن السموءل :

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به   الأبيات

[وقد تقدمت قبل هذا في ذكر من وفي لجاره»]

ولنعض بالنواجذ على [وقد تقدمت قبل هذا في ذكر من وفي لجاره]

(١) خلجة ظن : جذبة ظن كأنه يجذب صواب الرأي جذباً. تشيف: تشرف. الذحل: الحقد والعداوة أو التباعد والتنحي. بكارة المرباع : النوق الفتايا، وبصبص الكلب: حرك ذنبه.

لكن لماذا نعض على هذه العبارة بالنواجذ؟

أجيب مؤقتاً، وباختصار : لأنها الدليل الذي لايضحض ولاينقض على أن المخطوط متماسك ووحدة واحدة، ولم يكن الشتات الذي رزّأه المحققان به إلا خطأً في خطأ، فما تقدم قبل هذا في ذكر من وفى لجاره إنما تقدم في باب العفو عمن أذنب، وهو أول المخطوط أي أول الكتاب.

وها هو ذا المؤلف يحيل عليه كما نرى، ولكن المحققيْن الفاضليْن تحت فهم مسبق وخاطىء قد قذفا به إلى آخره عند تحقيقه على أنه اختيار من كتاب الممتع، وستأتي مناقشتها، بل مؤاخذتهما على ما اقترفا في حق هذا المخطوط التعس.

أما الآن فمع بقية باب البيان، وهذه هي الموضوعات التي جاءت فيه بعدما مرَّ، مرتبةً هنا على حسب ورودها هناك :

• في الغنى والحث على كنز المال.

قال أحيحة بن الجلاح وكان سيداً يصلح المال و يستعين به علىماينوبه من الحق :

إني مقيم على الزوراء أعمرها
إن الكريم على الإخوان ذو المال

استغن أومت ولا يغررك ذو حسب
من ابن عم ولا عم ولا خال

* * *

وكان يقول التمرة إلى التمرة تمر، كما يقال: الذود إلى الذود إبل وهو الذي يقول:

أطعت العرس في الشهوات حتى
أصارتني عسيفاً عبد عبد

إذا ما جئتها قد بعت غدقا
تعانق أو تقبل أو تفدى

فمن وجد الغنى فليصطنعه
ذخيرته ويجهد كل جهد

وقال بعض الحكماء : لأن يجمع الرجل مالاً فيخلفه بعد موته لأعدائه خير من الحاجة في حياته إلى أصدقائه.

وانظر ص٤٦ ومابعدها من تحقيق الكعبي.

- **حق الأخ وحق الجار ص٤٩ ــ ٥٧ :**
- **ذم الخمر وذكر من حرمها على نفسه مع ذكر سبب التحريم :**

وقيس بن عاصم أول من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وذلك أنه دُعي إلى الرأي يوم الكلاب، فالفوه نائماً، فلما أفاق عُرِّف فحرم الخمر على نفسه ص٥٨.

ومن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون وقال:

لا أشرب شراباً يُذهب عقلي، ويُضحك بي من هو أدنى مني وأزوج كريمتي من لا أريد ص٦١.

* * *

- قصة قتل بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين سيد شيبان ص٦٤.
- مورد المثل «اليوم ظَلَم» ومعناه أن اليوم ظلمني حين وضع الشيء في غير موضعه ص٦٨.
- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على مضر ومؤازرة حاجب بن زرارة لهم ص٦٩ ــ ٧٠
- قصة عطارد بن حاجب مع كسرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٧٠
- لقاء حاجب بن زرارة بكسرى، ثم وقوعه في أسر أبي اليقظان مالك بن سلمة الخير ص٧٠.

فضل الشعر :

وفي السطرين الأخيرين من صفحة ٧٠ نقرأ هذا الكلام في فضل الشعر.

قال : فلولا الشعر لم يقم لهذه الأفعال عَلَم، ولا رفع لها منار، ولدرست آثارها كما درس كثيرٌ لم يقيده الشعر، كالذي نُسي من أفعال بني حنيفة وعجل؛ إذ لم يكن فيهم شعر فدخلوا في جملة الخاملين عند كثير من الناس، هذا على ماكان لهم من الوقائع وفيهم من المكارم».

- نماذج من نظم المنثور ص ٧٣.
- خطأ عمرو بن هند وأمه في حق عمرو بن كلثوم وأمه ص٧٥ وما بعدها.
- سيرورة شعر زهير : ص٧٨

كانت قريش معجبة بشعر زهير، وهو جار بينهم وسار فيهم حتى

يضربوا به المثل في البلاغة، ويروى أن وفداً من قريش قالوا: يارسول الله: إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء، وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا لكلام نسمعه منك من أحد قط، وقالت بنت لسنان بن أبي حارثة لما رأت بنتاً لزهير في بعض مجامع النساء، وإذا لها شارة حسنة:

قد سرني ما أرى من هذه النعمة، فقالت بنت زهير : لعمري، إن أكثر ذلك من فضلكم وإحسانكم فقالت: بل والله لكم الفضل علينا؛ أعطيناكم ما يفنى وأعطيتمونا مايبقى ص٧٨ — ٧٩.

- **ممن ساد صغيراً ص ٨٥ :**
- **شعر في المدح لحسان بن ثابت رواية عبد الكريم النهشلي ص٨٩.**
- **أم تزوج بنتها في غياب أبيها ص٩١.**
- **موازنة بين شعر لحسان قد جمع وجوه المادح، وشعر للنابغة قد جمع وجوه المقابح ص٩٢ ص٩٣.**
- **في ذكر العمائم ص٩٨.**
- **من غلب عليه غير نسبه ص١٠٠.**
- **من عمي بعد عوره أو عشاه ص١٠١ ــ ص١٠٣.**

وممن عمي بعد عوره أو عشاه فبقي على مانسب إليه أولاً :

الأعشى الشاعر، والأخفش النحوي، وخريم الناعم المري من ولد خارجة بن سنان صاحب الحمالة بين عبس وذبيان.

قيل لخريم هذا ما النعمة؟ فقال : الأمن؛ فإنه ليس لخائف عيش، والصحة؛ فإنه ليس لسقيم عيش، والغنى؛ فإنه ليس لفقير عيش، ثم لامزيد بعد هذا.

وإنما سمي الناعم؛ لأنه كان يلبس الغالي في الصيف، والجديد في الشتاء.

أُتي الحجاج بأساري من الترك فأمر بقتلهم فقال له رجل منهم: أطلب إليك أيها الأمير حاجة ليس عليك فيها مؤنة. قال: ماهي؟ قال أن تأمر رجلاً من أصحابك شريفاً يقتلني؛ فإني رجل شريف، فسأل عنه أصحابه فقالوا: كذلك هو فأمر خريما الناعم المري بقتله، فلما أقبل نحوه وكان دميماً أسود أفطس، صرخ الرجل فقال الحجاج : سلوه ماله؟ قال: طلبت إليك أن تأمر بقتلي رجلاً شريفاً فأمرت هذا الخنفساء، فقال الحجاج: إنه لجاهل بما تبتغي غطفان يوم أضلت، أراد قول زهير في خارجة بن سنان:

إن الرزية لا رزية مثلها
ما تبتغي غطفان يوم أضلت

يقال عن خارجة إنه كبر، وأنه ضل بنخل فلم يُر بعد، وهو الذي رهن قوسه في دماء عبس وذبيان بألف ناقة، وأشرك معه أبوه ابن عمه الحارث بن عوف بن أبي حارثة، ففيهما يقول زهير :

فرحت بما خبرت عن سيديكم
وكانا امرأين كل أمرهما يعلو

تداركتما الأحلاف قد ثُل عرشها
وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

فأصبحتما منها على خير موطن
سبيلكما فيها وإن أحزنوا سهل

فأديا ألف ناقة هو وابن عمه، وأديا بعد ذلك مائتي ناقة في القتيلين اللذين قتلهما ابنا ضمضم بعد الصلح، ففي ذلك يقول شبيب بن البرصاء :

ونحن رهنا القوس في حرب داحس
بألف وزيدت بعدها مائتان

* * *

(٣)باب في ذكر بيوتات العرب

يشغل من ص١٠٤ إلى ص١١٠ عند الكعبي، ومن ص٧٧ إلى ص ٨٠ عند سلام.

ليس في هذا الباب ما يستحق الوقوف عنده، وعلى سبيل التمثيل له نورد صدره قال :

«بيوتات العرب ثلاثة» :

فبيت قيس في الجاهلية فزارة، ومركزه بنو بدر.
وبيت ربيعة بنو شيبان، ومركزه بنو ذي الجدين.

وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم، ومركزه بنو زرارة

هذا قول أبي عبيدة، وقال أبو عمرو بن العلاء، ثم يليه من بني دارم بنى (كذا!!!) نهشل آل خالد بن سلمى بن جندل ثم يليه بيت بني صعصعة من بني مجاشع..»

لعل أصل العبارة (بيت بني نهشل) قياساً على مابعدها وإلا لجاءت (بني) مرفوعة.

ولو كان هذا الكلام من الممتع أي لو كان النهشلي هو كاتبه لكان من المرجح أن يورد قول أبي عمرو هكذا أو نحوه:

ثم يليه من بني دارم بيت بني نهشل آل خالد بن سلمى بن جندل وآلي، أو: وهم آلي، أو : وهم آلي الذين إليهم أنسب، وما إلى ذلك مثلما يفعل الإنسان إذا جرى قلمه باسم مسقط رأسه أو باسم أسرته، فإنه يضيف تلقائياً: وهي مسقط رأسي أو وهي أسرتي، أما أن يكون جامداً هكذا فلا، خصوصاً وأن النهشلي ــ كما زعموا ــ كرر الكلام عن نفسه باسمه لابضمير المتكلم، وانظر صفحات ٨٩، ١٦٤، ١٩٢ من تحقيق الكعبي.

(٤)باب في ذكر اللباس والطيب

من ص١١١ إلى ص١١٥ الكعبي.

ومن ص٨١ إلى ص٨٣ سلام.

معظم ما في هذا الباب متلائم معه، لكن الباب كله غير متلائم مع الممتع، وما سنمثل له به يوضح ذلك و يؤكده.

مما جاء في اللباس والطيب معاً شعراً ما أنشده الطائي :

يمشون في حلل الملوك عليهم
والمسك في عطف لهم ومآزر

ونشراً قول المؤلف : «وكانت ملحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يلبس في أهله مورسة».

ومما جاء في اللباس وحده قول المؤلف : «وكان ابن الزبير قد كسا من كان بمكة ولم يكس أبا العباس الأعمى لقربه من بني أمية واتصاله بهم فقال :

كست أسد إخوانها ولو انني
بحضرة إخواني إذاً لكسيت

فبلغ قوله عبد الملك فأمر له بكسوة وأمر من كان من أهل بيته وبيت عمه ووجوه بني أمية أن يبعث إليه كل واحد منهم بكسوة ففعلوا.

ومما جاء في الطيب فقط قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير طيب الرجال ما ظهرت ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفيت ريحه».

وما حكي عن ابن عباس من أنه كان يطلي رأسه بالمسك، فإذا مر بالطريق قال الناس : مر ابن عباس أم مرَّ المسك؟!.

(٥) باب يذكر فيه
ماقيل في الجمال وحسن الوجوه

من ص١١٦ إلى ص١٤٩ الكعبي.

ومن ص٨٥ إلى ص١٠٧ سلام.

هذا الباب اسم على غير مسمى إلا بشيء قليل في أوله، وبمثل ذلك في آخره معنون بقول المؤلف: [عود إلى ذكر حسن الوجوه].

ومن أمثلة ما بينه وبين اسم الباب توافق قول الفرزدق في آل المهلب بن أبي صفرة برامكة الدولة الأموية :

إن المهالبة الكرام تحملوا
دفع المكاره عن ذوي المكروه

زانوا قديمهم بحسن حديثهم
وكريم أخلاق بحسن وجوه

وقول عمر بن لجأ فيهم أيضاً :

آل المهلب قوم خولوا شرفا
ما ناله عربي لا ولا كادا

لو قيل للمجد : حد عنهم وخلهم
بما احتكمت من الدنيا لما حادا

إن المـــكـــارم أرواح يـــكـــون لهـــا
آل المـــهـــلـــب دون الـــنـــاس أجـــسـادا

وقول أبي بكر رضي الله عنه للأنصار يوم السقيفة : «نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأوسطهم داراً، وأكرمهم أحساباً وأحسنهم وجوهاً...».

* * *

ومن أمثلة مالا توافق بينه وبين اسم الباب هذه الفقرات المتتاليات:

وصف عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير فقال:
كانت عنده عقيلتا قريش : سكينة وعائشة، ثم هو أكثر الناس مالاً، جعلت له الأمان، وضمنت له أن أوليه العراق، وعلم أني سأفي له بصداقة كانت بيني وبينه فأبى وحمى أنفاً، وقاتل حتى قتل، فقال له بعض من كان حاضراً: إنه كان يصيب الشراب. قال: ذلك قبل أن يطلب المروءة، وأما مذ طلبها فلو ظن أن الماء ينقص مروءته ماذاقه.

* * *

لما قتل عبد الملك مصعباً، وجه أخاه بشراً على الكوفة، وجعل معه روح بن زنباع وزيراً، وكان روح عالماً داهية، غير أنه من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة بخله، خافوا أن يفسد عليهم أميرهم، وقد كانوا عرفوا جبنه، فكتبوا على بابه ليلاً:

إن ابــن مــروان قــد حــانــت مــنــيــتــه
فــاحــتــل لــروحــك يــاروح بــن زنــبــاع

فلما أصبح رأى ذلك، فلم يشك في أنه مقتول، فاستأذن بشراً في الشخوص، فأذن له، فخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له: ما أقدمك؟! قال: ياأمير المؤمنين. تركت أخاك مقتولاً أو مخلوعاً قال: وكيف عرفت ذاك؟ فأخبره الخبر، فضحك عبد الملك وقال له: احتال عليك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

قال أبو بكر الصولي : كان ابن أبي دؤاد أظرف الناس لساناً، وأحضرهم جواباً في بلاغة وإيجاز، وأحسنهم نزوعاً ببيت في موضعه، أو آية في مكانها، وكان كريماً جواداً مشرفاً عند المعتصم والواثق.

قال أبو العيناء : قلت لابن أبي دؤاد في شأن قوم من أهل البصرة تألبوا عليّ : إنهم قد قدموا من البصرة إلى سر من رأى يداً عليّ فقال : يد الله فوق أيديهم، قلت: إن لهم مكراً فقال: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. قلت: إنهم كثير، فقال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

(٦) باب ومن حكماء قريش في الجاهلية عتبة بن ربيعة

من ص١٥٠ إلى ص١٥٦ الكعبي.

ومن ص١٠٩ إلى ص١١٤ سلام.

لم يكن الدكتور الكعبي محقاً في اختصار اسم هذا الباب بجعله عامّاً هكذا [باب ومن حكماء قريش في الجاهلية].

وهو في الأصل أي في المخطوط [باب ومن حكماء قريش في الجاهلية عتبة بن ربيعة].

واسم الباب في المخطوط هو الصواب، فليس فيه من حكماء قريش إلا عتبة بن ربيعة هذا، وهو مخضرم، قالوا: لم يعرف له قط كلمة رفث إلا كلمتان قالها يوم بدر، قال لأبي جهل بن هشام: ستعلم مامصفر استه !

وقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله، فقال عتبة: أنا أسد الحلفاء.

تلك كانت ثلاثة الأسطر التي جاءت عن عتبة بن ربيعة، وهو من انعقد الباب له وعنون به، أما ما عدا ذلك ففخر للفرزدق .

وحكاية قول الرواة عن شعره : «لولا شعر الفرزدق لذهب كثير من أخبار العرب وأيامها» ثم فخر لأوس بن حجر الأسدي في خمسة أبيات،

وموقفان للأعشى من عمرو بن عبد الله جعلاني أسأل هل عنوان الباب هو «ومن حكماء قريش». بالكاف من الحكمة، أو «ومن حلماء قريش» باللام من الحلم؟!!

أجل إن الحكمة والحلم متلازمان، وكيلا أكون وحدي في الفهم هذان هما الموقفان:

قال الأعشى لعمرو بن عبد الله :

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا
ولا لك حق الشرب في آل زمزم

فقال له عمرو : ولكنك ياأبا بصير وقومك منهم!!! يهزأ به، فقال الأعشى:

وما جعل الرحمٰن بيتك في العلا
بأجياد شرقى الصفا والمحرم

فقال له عمرو : ولكنك يا أبا بصير عريض المباهاة بها.

* * *

ومن الإفحام الذي هو إلى الحكمة أقرب منه إلى الحلم ما جاء في آخر هذا الباب على لسان مؤلف الكتاب قال:

رأى رجل من قريش رجلاً من بني تغلب له هيبة فوقف له وهو يطوف بالبيت فقال: أرى رِجْلَيْن قلما وطأتا البطحاء!!

فقال التغلبي : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لي دونك، وبطحاء ذي قار، وأنا أحق منك بها، وهذه البطحاء سواء العاكف فيها والبادي.

(٧) باب في ذكر الهيبة

من ص ١٥٧ إلى ص١٦٥ الكعبي.

ومن ص١١٥ إلى ص١٢٠ سلام.

فيما يشبه الصلة بين اللازم والملزوم أو العكس نستشعر الصلة بين الحكمة والهيبة، فلا يكون تحولنا من الأولى إلى الثانية غربةً بل نزهة في بستان متناسق الألوان.

* * *

شغل المؤلف باب الهيبة بشعر في الهيبة للبحتري ولذي الرمة ولمهلهل بن ربيعة ولكثير وللفرزدق وللأخطل ولأشجع السلمي ولعبد الكريم النهشلي على التوالي.

ومن مطابقة الكلام لمقتضى الحال أن نمثل لهذا الباب بما جاء منه منسوباً إلى النهشلي.

قال المؤلف : قال عبد الكريم : ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة ــ يقصد هيبة مجلس المنصور الصنهاجي ــ قال:

وبمجلس موفور الجلالة تنثني
عيون الورى عنه وينبو خطابها

ترى فيه رفع الطرف خفضاً كأنما
لحاظ الرجال ريبة يسترابها

نشرت به غر المعاني كأنها
قلائد در زان جيداً سخابها[1]

إذا حكتها ظلت نواسج عبقر
حواسد مدسوساً إليَّ عتابها

على ملك تُهدى إلى مكرماته
عقائل أشعار يرف شبابها

همام دعت كفاه قاصية العلى
فلباه منها صفوها ولبابها

وكيف بها إلا عليه طريقها
وأين بها إلا إليه ذهابها

إذا ورد المنصور أرضاً تهللتْ
وجوه رباها واستهل ربابها

إذا اغبرت الآفاق بلّت سماؤه
ثراها بأيد ما يجف رغابها

كأن الغوادي الزرق عنه مضاؤها
وخضر السحاب من نداه عبابها

فمن يوله سعداً ينله ومن يرد
به شقوة تخلع عليه ثيابها

يحل ثياباً حلها البر والتقى
ويخضر من بعد اصفرار جنابها

(١) السخاب : قلادة من قرنفل ومسك ومحلب لا جوهر فيه جمعه سُخُبٌ.

ومـا بـلـدة لم يـأت بـالـطـوع أهـلـهـا
بآمـنـة ألا تـدك هـضـابهـا

تحـط بهـا الأسـد الـضـواري خـواضـعـاً
لـديـك ولـو أن الـكـواكـب غـابهـا

ولـو أنهـا عـاصـتـك غير مجـيـبـة
أجـابـتـك مـن تحـت الـسـيـوف رقـابهـا

تهـابـك آفـات الخـطـوب فـتـنتهـي
ولا تـنتهـي عـن خـطـة فتهـابهـا

رمـاحـك أحـنـاء الـضـلـوع ثـقـافـهـا
وخـيـلـك تـامـور الـنـفـوس شـرابهـا

تـرى كـل نهـد أعـوجـي حـجـولـه
كما محـت الـزرق الـعـوالي حـجـابهـا

(٨) باب في الجهارة وخلافها

التزم الدكتور سلام بما جاء في المخطوط وهو أن [باب في الجهارة وخلافها] يبدأ بعد[باب في ذكر الهيبة] و ينتهي عند [باب في احتمائهم بالشعر وذبهم به عن الأعراض] وقد جاء في تحقيقه من ص١٢١ إلى ص١٥٣.

أما الدكتور الكعبي فقد جعل ذلك بابين هما :

- **باب في الجهارة وخلافها من ص١٦٦ إلى ص١٩١.**
- **باب في ألقاب الشعراء من ص١٩٢ إلى ص٢١٩.**

والجهارة كما جاء في أساس البلاغة هي الظهور والإعلان، تقول جهر بكذا: أعلنه، وقد جهر بكلامه وقراءته: رفع بها صوته، وجهرني فلان أي راعني بجماله وهيئته، قال أعرابي في الرشيد :

جهير الرواء جهير الكلام
جهير العطاس جهير النغم

ويخطو على الأين خطو الظليم
ويعلو الرجال بخلق عمم

والجهارة هنا لا تبعد عما في الأساس، لكن الأمثلة التي ساقها المؤلف كلها تنحاز بها في أكثر الأحوال إلى قوة البيان وفصاحة اللسان،

ولهذا لو قلنا في مكان [باب في الجهارة وخلافها] [باب في العى والبيان] أو [باب فيمن له وجه وليس له لسان] لما عدونا الصواب.

قال مؤلف الكتاب مستفتحاً هذا الباب :

العرب تستحسن أن يكون الرجل جهيراً بليغاً جميلاً.

وقال يونس ابن حبيب : ليس لعيي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ونظر عمر إلى جبلة بن سلمة فقال: ما أجود قناتك، فقال: سنانها أجود. يريد قلبه.

وقال كثير :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطرير إذا تراه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

وقيل لأبي دواد الإيادي، ونُظر إلى ابنته تسوس فرسه:
أهنتها يا أبا دواد، فقال : أهنتها بكرامتي، كما أكرمتها بهواني.
وجهارة أبي دواد عقلية، فيها الفحولة والجسارة على كسر التقاليد المرعية، ولا غرابة في هذا، فالتقاليد المرعية تكون مرعية من سواد الناس، وسواد الناس لايشرعون لأمثال أبي دواد بل العكس.

وقد تأتي الجهارة مهموسة، أو غير سافرة، أو ماشئت من معاني الخفوت والاحتشام، وتدثر العواطف بالأعراف والنظام.

من ذلك قول أبي عيينة لامرأة من قرابته كان يكنى عنها بدنيا :

دعــوتــك بــالــقــرابــة والجــوار
دعــاء مــصــرح بــادي الــســرار

لأني عــنــك مــشــغــول بــنــفــسي
ومحــتــرق عــلــيــك بــغير نــار

وأنــت تــوقــريــن ولــيــس عــنــدي
على نــار الــصــبــابــة مــن وقــار

فــأنــت لأن مــا بــك دون مــا بي
تــداريــن الــعــيــون ولا أداري

ولــو والله تــشــتــاقين شــوقــي
جمــحــتِ إلــيَّ خــالــعــة الــعــذار

* * *

ولنأت بمثال مما عنونه الكعبي [باب في ألقاب الشعراء]؛ لنتعرف على اتجاه المؤلف في هذا الحيز من [باب في الجهارة وخلافها] ونحمد الله على أن [باب في ألقاب الشعراء] منقول من كتاب عبد الكريم النهشلي، نص صاحب [هدي كامل المبرد] على ذلك بقوله:

قال عبد الكريم في كتابه : «وأكثر ألقاب الشعراء بالأبيات تقع لهم فيها شنعة[1] فيسمى الشاعر بها مثل النابغة والممزق والمثقب وذي

(١) حرفها الأول في المخطوط غير منقوط، وقد ملت إلى أن أقرأها (صنعة) ثم عدلت عن ذلك لما وجدت في أساس البلاغة: «...وشنَّعت عليه هذا الأمر: قبحته عليه، وله اسم شنيع وقوم شنع الأسامي»، وقد أبقاها الكعبي (سنعةً) بالسين وفسَّرها بالجمال تقول امرأة سنيعة أي جميلة.

الرمة ومسكين الدرامي والبعيث.... والمرقش والمتلمس إلى كثير من هؤلاء. فالنابغة بقوله:

«فقد نبغت لنا منهم شئون»

ويقال: سمي الجعدي بالنابغة؛ لأنه نبغ بالشعر بعدما نيف على الأربعين، والممزق بقوله:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزق

ومسكين بقوله:

أنا مسكين لمن أبصرني ولمن جاورني جد نطق

ويخرج المؤلف من ألقاب الشعراء ليدخل في أخبار النساء وبها يختم الباب.

(٩) باب في احتمائهم بالشعر وذبهم به عن الأعراض

من ص٢٢٠ إلى ص٢٢٧ الكعبي.
ومن ص١٥٥ إلى ص١٦٠ سلام.

نجد في هذا الباب احتماء العرب بالشعر لكنا لانتبين فيه ذبهم عن الأعراض به، ولا تقصير هناك، فالاحتماء بالشعر ضرب متقدم في الذب به عن الأعراض؛ لأنه وقاية لها من أن يشهر بها و يشنع عليها من لايستحي بل يخاف.

ومن الازدواج الوظيفي للشعر أنه لما هم الفرزدق بهجاء عبد القيس بلغ ذلك زياداً الأعجم، وهو من عبد القيس فبعث إليه: لا تعجل وأنا أهدي إليك هدية، فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده:

وما ترك الهاجون لي إن هجوته
مصحاً أراه في أديم الفرزدق

ولا تركوا عظماً يُرى تحت لحمه
أكاسر ما أبقوه للمتعرق

سأكسر ماأبقوا له من عظامه
وأنكت مخ الساق منه وأنتقي

فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا
لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال : ليس لي إلى هجاء هؤلاء سبيل مابقي هذا العبد، ولا عجب؛ فقد كان زياد هجّاءً شديد العارضة.

(١٠) بـاب في الأنـفـة عـن السـؤال بالشــعر

من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٤٢ الكعبى

ومن ص ١٦١ إلى ص ١٧٠ سلام

ليس من حق الدكتور الكعبى أن يختصر أسماء الأبواب، ولعله يراعى ذلك مستقبلاً، فأصول التحقيق معروفه، ومن بديهياته أن يثبت المحقق ما يجده أمامه فهمه أم لم يفهمه وله أن يعلق عليه بما يشاء.

أقول ذلك لأن الدكتور الكعبى حذف كلمة(بالشعر) من اسم الباب الذي معنا وأتى به هكذا [باب في الأنفة عن السؤال].

والأنفة عن السؤال غير الأنفة عن السؤال بالشعر، فكل الشعراء الذين تكسبوا بالشعر كانوا أو كان أكثرهم يأنف من السؤال مطلق السؤال، أما السؤال بالشعر أى المدح به والتكسب عن طريقه فهذا كان ديدنهم وعملهم الذي منه ارتزاقهم، وإذا كان لكل قاعدة استثناء، فإن من الشعراء من أنف عن التكسب بالشعر، أو كُره له أن يتكسب بالشعر.

كره الحجاج لمساور بن هند إذ كان شريفاً قول الشعر فسأله : لم تقول الشعر؟! قال : أسقى به الماء، وأرعى به الكلأ، وأقضى الحاجة، فإن كفيتنى ذلك تركته[1]

---

(١) تحقيق الكعبي ص٢٨.

وبعد هذه الوقفة مع المحقق نقول : بدأ المؤلف هذا الباب بقوله : الشاعر عند العرب أفضل من الخطيب، وكانت تهنأ بالشاعر إذا نبغ، إلا أن المحدثين أخرجوه عن حده وجعلوه مكسباً حتى قالوا : الشعر أدنى مروءة السري، وأسرى مروءة الدني، وكانت العرب تأنف عن الطلب بالشعر.

ويمضي فيدلك على هذه الأنفة بشعر كثير لشعراء كثيرين يقول أحدهم:

وإني امرؤ لا أسأل الناس مالهم
بشعري ولا تعيا عليَّ المكاسب

ويقول آخر :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ويبعث أبو عبيد الله الوزير إلى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير بألفي دينار صلةً وعشرين ثوباً، فلا يقبلها ويكتب إليه:

أصلحك الله وأمتع بك، مالسيبك وامتناحك أحببناك، ولا لاستقلال مابعثت به إلينا والسخط له كان ردنا إياه عليك ولكنا أحببناك وودناك وشكرناك لفضلك ونبلك، وقسم الله لك في رأيك ومعرفتك ورعايتك حق ذوي الحقوق.

* * *

تلك كانت مرحلة.

وقد تلتها مرحلة أخرى نجدها في قول المؤلف :

ومن جميل السؤال ولطيف التقاضي قول أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت له حاجة عند عبد الله بن جدعان فتقاضاه بقوله:

أأذكــر حــاجتي أم قــد كــفــاني
حــيــاؤك إن شــيــمــتــك الحــيــاء

وعــلــمــك بــالحــقــوق وأنــت فــرع
لــك الحــســب المــهــذب والــســنــاء

كــريم لا يــغــيــره صــبــاح
عــن الخــلــق الجــمــيــل ولا مــســاء

تــبــاري الــريــح مــكــرمــةً وجــوداً
إذا مــا الــكــلــب أجــحــره الــشــتــاء

يقول المؤلف معلقاً على هذه الأبيات :«وهذا ألطف تقاض وأشرف مدح» وصدق.

(١١) باب فيمن رفعه المدح وحطه الهجاء وأنف من اللقب ورغب عن الاسم إلى اللقب

من ص ٢٤٣ إلى ص ٢٧٧ الكعبى

ومن ص ١٧١ إلى ص ١٩٥ سلام

يعطى عنوان هذا الباب أربع حالات هي :ـ

١ ــ من رفعه المدح.

٢ ــ من حطه الهجاء.

٣ ــ من أنف من اللقب فرغب عنه إلى الاسم.

٤ ــ من أنف من الاسم فرغب عنه إلى اللقب.

وقد بدأ المؤلف بمن حطه الهجاء، وثنى بمن رفعه المدح فقال : قال أبو عبيد : كان الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل؟ قال : من بنى نمير بن عامر كما ترى، فما هو إلا أن قال جرير :

إذا جلست نساء بنى نمير
على تبراك خبثت الترابا[(١)]

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

---

(١) تبراك : ماء لبني نمير.

حتى صار الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل؟ قال : من بنى عامر.

وكان الرجل من بنى أنف الناقة إذا قيل له : ممن أنت؟ قال : من بنى قريع و يأنف من بنى أنف الناقة، فما هو إلا أن قال الحطيئة:

سيرى أمام فإن الأكر مين حصاً
والأطيبين إذا ما ينسبون أبا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوِّى بأنف الناقة الذنبا

حتى صار الرجل منهم إذا قيل له : ممن أنت؟ قال : من بنى أنف الناقة، واسم أنف الناقة جعفر بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

* * *

بعد هذا يضطرب الكلام في فم المؤلف وعلى أسلة قلمه، إذ ينتقل به إلى مالا ينسجم مع بابه قال :

«والعربى إذا نفى من نسب إلى نسب غيره مرضى معروف لم ينكر ذلك ورضى به ومدحه وحسنه».

و يستغرقه هذا المعنى فيمثل له بأمثلة كثيرة منها أن رهط الزبرقان ابن بدر كانوا يجلحون إلى بنى كعب بن يشكر فقال الزبرقان :

فإن أك من كعب بن سعد فإننى
رضيت بهم من حى صدق ووالد

فإن يك من كعب بن يشكر منصبي
فــإن أبــانــا عــامــر ذو المحــامــد

* * *

وبعد ست صفحات من بدء هذا الباب جاءت مزيجا مما سبق ذكره والتمثيل له يقول المؤلف :«فأما من وضعه الشعر من القبائل وقصر به حتى صار مثلاً، وإن كان فيهم خير كثير وشرف وفرسان.......».

ولا معنى لأن يقول المؤلف هذا الكلام، فهو هو ما بدأ به الباب، والفرق بينه وبين ما هنا أن الأول فيه تسليم من القبيله بما قاله الشاعر فيها من هجاء، أما هنا فلا. ويحسبنا هذا المثال :

الحبط هو الحارث بن عمرو بن تميم، لقب بالحبط لعظم بطنه، والحبطات هم أهله الذين قال فيهم الشاعر :

رأيــت الحــمــر مــن شر المــطــايــا
كما الحــبــطــات شــر بــنــي تــمــيم.

وروى أن الفرزدق بلغه أن رجلاً من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم فقال :

بــنــو دارم أكــفــاؤهــم آل مــســمــع
وتُــخــطــب فــي أكــفــائــهــا الحــبــطــات

فقال رجل من الحبطات يجيبه :

أمــا كــان عــبــاد كــفــيــئــاً لــدرام
بــلــى ولأبــيــات بهــا الحــجــرات.

عباد بن الحصين الحبطي كان شريفاً. وقال الحسن : ماظننت رجلاً يعد بألف فارس حتى رأيت عباداً ليلة كابل.

(١٢) باب في النهي عن تعرض الشعراء

من ص٢٧٩ إلى ص٣١٢ الكعبي.

ومن ص ١٩٧ إلى ص٢٢٥ سلام.

مجيء هذا الباب بعد الباب السابق منطقي؛ فهما من واد واحد، ويمكن التمثيل بهما لما يسمى بتداعي المعاني، ولو أن وحدة الموضوع لا تنتظمهما بل لا تنتظم واحداً منهما.

استهل المؤلف هذا الباب بقوله حكايةً عن غيره : قالوا: لاينبغي لعاقل أن يتعرض لشاعر؛ فربما جرت كلمة على لسانه فصارت مثلاً آخر الأبد، كالذي قال للأقيشر الأسدي:

ياأقيشر ــ وكان يغضب من ذلك ــ فنظر إليه طويلاً، وكان الرجل من بني عبس فقال:

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي
وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سرًّا
ورب الناس يعلم من تناجي

فسمي ذلك الرجل «ابن مطفئة السراج» و يعرف به ولده إلى اليوم.
وبعد أمثلة كثيرة شبيهة بالمثال السابق يلم بالبكاء و يقرر أن العرب لا ذل عندها أذل منه، وهم لذلك يمدحون الشدة والقساوة.

قال شاعرهم :

يُبْكى علينا ولا نبكى على أحد
لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

ويمضي فيستطرد إلى قوله : «ومن العرب من يرمي بخلة من خلال السوء، وثَم تصير لقباً؛ وقد رمى بها مثل بني كليب، قال الجاحظ: كانوا يرمون بإتيان الضأن، وكذلك بنو الأعرج، قال الفرزدق:

فلست مضحياً مادمت حياً
بشاة من جلوبة أعرجيّ

فما أدري إذا أنفقت مالي
لعل الشاة تبقر عن صبي

وقال شاعر في بني فقعس :

قبيلة شر خيرهم مثل شرهم
ترى منهم للضأن فحلاً وراعياً

إذا خليت منهم عروس وبعلها
ترى النعجة البقعاء تبكي البواكيا

إذا حلبت أغضى وصد بوجهه
وظل إلى ما يصنع الكبش رانيا

* * *

ويختم الباب بنوادر لطيفه للفرزدق يقدم لها بقوله :«وكان الفرزدق مندراً و يقع له الغر يب».

من ذلك أنه مرَّ بباب رجل من بني تميم وهو على الشرط، فرأى امرأته وخادمتها فأعجبته المرأة وعليه بردوشي، فقالت الخادم للمرأة: ياسيدتي أترين هذا البرد على هذا الأعرابي!! ماأحسنه!! فقال الفرزدق للجارية: هو لك إن قبّلتُ مولاتك قبلة. فقالت الجارية لمولاتها: وما عليك من قبلة هذا الأعرابي الأحمق الذي لايعرفه الناس، فلما بايعته على ذلك قبلها ودفع إليها البرد، ثم استسقى من الجارية ماءً فأتته بماء في إناء زجاج، فشرب ثم ألقى الإناء من يده فانكسر، ثم قعد جانباً إلى أن جاء رب الدار فأبصره فقال : أبا فراس!! ما أقعدك هاهنا؟! ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكني استقيت من هذه الدار فأتوني بماء في قدح من زجاج، فوقع الإناء من يدي فانكسر، فأخذوا بردي رهناً، فدخل الرجل فشتم أهله ثم قال: ردوا على الفرزدق برده.

* * *

وقبل أن نترك هذا الباب نذكر ــ إنصافاً له ــ أنه قد تضمن نصوصاً قليلة تتصل بمغزى الشعر وبرجاله وبأثره، لابعلمه وعمله، ثم إن الكثير منها نقول، وقد جاءت عرضاً لاقصداً، استطراداً إليها وليس ابتداءً بها.

من ذلك امتناع عمر بن الخطاب عن الحكم بين النجاشي الحارثي وابن مقبل العجلاني، قال النجاشي:

أولـئـك إخـوان اللـعين وأسـرة الـ
ـهجين ورهط الواهن المتذلل

ومـا سمى العجلان إلا لقوله
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

إذا الله عادي أهل لؤم ودقة
فعادي بني العجلان رهط ابن مقبل

قبيِّلةٌ لايغدرون بذمة
ولايظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشيةً
إذا صدر الوراد عن كل منهل

فاستعدى بنو العجلان عمر على النجاشي، وكره عمر رضي الله عنه أن يحكم بينهما وهو العالم بالشعر، فدعا بحسان بن ثابت فقال: هل هجاهم؟ فقال: ماهجاهم، ولكنه سلح عليهم [صفحتي ٢٨٤، ٣٠٩ الكعبي].

* * *

ومن ذلك «الفرزدق أشد هجاءاً من جرير، وأحسن مقطعات من كل شاعر في زمانه، وأكثر نوادر ومضحكات» [ص٢٨٦ الكعبي].

* * *

ومنه أيضاً : «وكان ابن مقبل من الشعراء الحذاق المجودين، وكان يجيد البديع في شعره، وقال عبد الملك بن مروان للأخطل: أي الناس أشعر؟ قال: العبد العجلاني، قال: بم ذاك؟ قال: وجدته قائماً في بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين»[ص٣١٠ الكعبي].

* * *

ومنه أخيراً «والعرب تمدح فترفع، وتهجو فتضع، فإذا مدحت الشيء

بلطافتها، وذلاقة ألسنتها، اختير وبسط عذره، كما غطت بالهجاء محاسنه»، ألا تسمع إلى قول الأول :

فعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ
كما أن عين السخط تبدي المساويا

وإنما سميت البلاغة بلاغة لإبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع [ص٣١١ الكعبي].

* * *

(١٣) باب في ذكر المهيرات والسراري

من ص ٣١٣ إلى ص ٣٤٩ الكعبي

ومن ص٢٢٧ إلى ص٢٥٣ سلام

أولى بهذا الباب أن يسمى [باب الهجان أو المهاجين]؛ فهذا هو موضوعه حقيقةً، أما المهيرات والسراري فقد جئن فيه عرضاً لا قصداً.

والهجان أو المهاجين جمع هجين، نقول: فرس ورجل هجين إذا لم تكن الأم عربية، ولقد كانت نظرة العامة إلى الهجين أقل من نظرتهم إلى من أمه عربية، كانوا لايرون قِبَل الهجين ثأراً، و يتأكد هذا الإحساس عندهم بما حكاه يونس النحوي قال: قال أبو مهدية يوماً: خير الناس بنو مروان، قال: فحسبته ذهب إلى صلاح سليمان، وإلى عدل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وإلى نسك يزيد الناقص، ثم قلت: بم صاروا عندك كذلك؟ قال: كانوا لايملّكون ابن أمة.

أما العقلاء والخاصة فكانوا ينظرون إلى المهاجين نظرة إعجاب وتقدير، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس قوم أكيس من أولاد السراري؛ لأنهم يجمعون عزَّ العرب ودهاء العجم.

والواقع يصدق قول عمر؛ فمن الفرسان المعدودين والشعراء المفلقين من بني الإماء عنترة وأخوه هراسة ابنا شداد العبسيان، وخفاف بن ندبة، وعباس بن مرداس وسليك بن السلكة، وأبو المغلس عمير بن الحباب وعبد الله بن خازم والحجاف بن حكيم. وسئل المهلب: من

أشجع الناس؟ فقال: عباد بن الحسين الحبطي وعمرو بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب، فقيل له: وابن الزبير، وابن خازم، وعمير بن الحباب؟ فقال: إنما سئلت عن الإنس ولم أُسأل عن الجن. وعمير بن الحباب ابن أمة، وابن خازم مثله.

ويعمق ذلك أكثر ما حكاه رجل من قريش قال:

كنت أجالس سعيد بن المسيب، فقال لي: من أخوالك؟ فقلت: أمي فتاة، فكأنني نقصت في عينه، فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلما خرج قلت: ياعم. من هذا؟ قال: سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك؟! هذا سالم بن عبد الله بن عمر، قلت: فمن أمه؟ قال: فتاة. قال: ثم أتى القاسم بن محمد بن أبي بكر فجلس عنده ثم نهض، قلت: ياعم. من هذا؟ قال: أتجهل مثل هذا من أهلك؟! ما أعجب هذا، هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر، قلت فمن أمه؟ قال: فتاة، ثم أمهلت شيئاً حتى جاء علي بن الحسين بن علي فسلم عليه ثم نهض، قلت: ياعم: من هذا؟ قال: هذا الذي لايسع مسلماً أن يجهله، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قلت فمن أمه؟ قال: فتاة. قلت: ياعم. رأيتني نقصت في عينك لما علمت أني لأم ولد، فمالي بهؤلاء أسوة؟! قال: فجللت في عينه جداً.

وغير بعيد عن هذا ما ذكره المؤلف نفسه قال: دخل زيد بن علي ابن الحسين على هشام بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه لم يجد لنفسه موضعاً يجلس فيه، فعلم أن ذلك فعل به عن عمد، فقال: إنه ياأمير المؤمنين لن يكبر أحد عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله، قال: اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة.

قال: إن لي جواباً، فإن أذنت فيه جاوبت، فقال: أجب. وما أنت وجوابك؟!! قال: الأمهات لايقعدن بالرجال دون بلوغ الغايات،

وكانت أم إسماعيل صلى الله عليه عليه وسلم أمة، وقد ابتعثه الله عز وجل نبياً، وأخرج من صلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفتقول هذا وأنا ابن فاطمة وجدي علي بن أبي طالب؟! قال: صدقت ثم خرج فقال هشام حين بقى في أهل بيته: ألستم زعمتم أن أهل البيت قد بادوا؟! لالعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم [ص٣٤٥ الكعبي].

* * *

بقى أن نعرف أن المهيرة هي الغالية المهر. في أساس البلاغة [ص٤٣٨] :مَهَرَ المرأة: أعطاها المهر، وأمهرها: سمى لها مهراً وتزوجها به، وفي لسان العرب: المهيرة: الحرة، والمهائر: الحرائر ضد السراري وهن الجواري يُتخذن للملك والمتعة، جمع سُريه ــ بضم السين ــ للفرق بين الحرة والأمة، يقال للمرأة إذا نُكحت سراً أو كانت فاجرة : سرية بكسر السين ــ (١) .

وحكى المؤلف قول مسلمة بن عبد الملك: إني لأعجب ممن تمتع بالسراري ثم عاد إلى المهيرات(٢) .

---

(١) لسان العرب جـ٤ ص٣٥٨، جـ٥ ص١٨٤.
(٢) تحقيق الكعبي ص٣٣٧.

(١٤) باب في أنفة السادات عن قول الهجاء والمناقضات

من ص٣٥٠ إلى ص٣٦٣ الكعبي.

ومن ص٢٥٥ إلى ص٢٦٣ سلام.

تفعل العرب ذلك أنفاً عن قول الهجاء لما فيه من سوء الأثر، وتدع جواب الهاجي تنزهاً عنه، قال معبد بن علقمة:

فقل لزهير إن شتمت سراتنا
فلسنا بشتامين للمتشتم

ولكننا نأبى الكلام ونعتصى
بكل رقيق الشفرتين مصمم

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا
ونشتم بالأفعال لابالتكلم

وإن التمادي في الذي كان بيننا
بكفيك فاستأخرله أو تقدم

وهجا الحطيئة ــ واسمه جرول بن أوس العنسى ــ الزبرقان بن بدر فقال :

دع المكارم لاترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وكان الزبرقان شاعراً مفلقاً فلم يرد على الحطيئة، ولا رضى لنفسه مناقضته، كما فعل بالمخبل القريعي؛ إذ كان الحطيئة دون المخبل في الشرف، واستدعى عليه عمر فأنصفه منه،وكان الزبرقان شريفاً، لم يرتد بمنع الزكاة كما فعل نظراؤه، بل كان أول من دخل المدينة على الصدّيق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقات قومه.
وقال الفرزدق :

إن الطرماح يهجوني لأرفعه
أيهات أيهات عيلت دونه القضب

ويمضي المؤلف فيذكر القصيدة التي هجا بها الطرماح الفرزدق، وكعادته التي هي عادة المبرد أصلاً يشرح منها ما يراه في حاجة إلى شرح.

ومن الطرماح إلى الكميت بن زيد، على بعد مابينهما في المذهب والعصبية، ثم يعود إلى ماكان فيه وهوأنفة السادات عن قول الهجاء والمناقضات، فيتمثل بقول بعضهم:

أرادتْ وذاكم من سفاهة رأيها
أن اهجوها لما هجتني محارب

معاذ إلهي إنني لعشيرتي
ونفسي عن ذاك المقام لراغب

كما يذكر شعراً لصخر بن عمر الشريد في هذا المعنى.

ولصخر هذا قصة مع أمه وزوجه؛ فقد غزا بني أسد بن خزيمة، فبدروا به فاقتتلوا، فارفض أصحاب صخر عنه وطُعن في جنبه طعنة، فاستثقل بها، فلما صار إلى أهله تعالج منها فنبا من الجرح مثل اليد

فأضناه ذلك حولاً، فسمع سائلاً يقول لامرأته: كيف صخر؟ فقالت: لاميت فينعى، ولا حيٌّ فيرجى، فعلم أنها قد برمت منه، ورأى تحرق أمه، وقد قالوا لها : كيف صخر اليوم؟ فقالت: أصبح صالحاً بنعمة الله، فقال:

أرى أم صخر ماتمل عيادتي
وملت سليمي مضجعي ومكاني

وماكنت أخشى أنِ أكون جنازةً
عليك. ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

فأيُّ امريء ساوى بأم حليلةً
فلا عاش إلا في شقىً وهوان

ويختم المؤلف هذا الباب بما يفيد أن الامتناع عن قول الهجاء كما يكون أنفةً وحميةً، يكون تقيةً وحيلةً.

قال عقال بن شبة أبو الشيظم : كنت رديف أبي فلقيه جر ير على بغل فحياه أبي وألطفه، فلما مضى قلت له: أبعد ماقال لنا ما قال!! قال: يابني أفأوسع جرحي؟!

وقال ابن الحنفية : قد يدفع باحتمال مكروه ما هو أعظم منه، وقال عبد الله بن عروة: بعض الذل أبقى للمال وللأهل، ومدح ابن شهاب شاعر فأعطاه وقال: من ابتغى الخير اتقى الشر.

(١٥) باب والشعراء تستحسن انتصارها بألسنتها ويقيم ذلك أحدهم مقام سيفه ويده

من ص٣٦٥ إلى ص٣٧٢ الكعبي

ومن ص ٢٦٥ إلى ص٢٧٠ سلام

ليس لهذا الباب من اسمه الذي اكتفى الكعبي بنصفه نصيب إلا في الشطر الثاني من بيت أوس بن حجر:

بَنـيَّ ومـالي دون عـرضـي وقـايـة
وقـول كـوقـع المـشـرفـي المصمم

ولم ينتصر أوس بلسانه وحده، بل قدم عليه بنيه وماله، وفيما عدا ذلك لانجد مايوافق اسم الباب، بل على العكس نجد مايخالفه من الانتصار بحسن الفعال، كما في قصة المخبل السعدي مع خليدة بنت بدر، ومن الانتصار بالحلم على من أساء والعفو عنه كما في قصة الأحنف بن قيس مع الرجل الذي دسَّه عليه عمرو بن الأهتم ليسفهه.

وأكثر من ذلك نجد مايناقض مفهوم الباب في قصة النابغة الذبياني وعامر بن الطفيل، فقد قال النابغة في عامر شعراً أوجعه فما زاد عَلَى أن قال: ماهجاني أحد حتى هجاني النابغة؛ جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي، ولم يرد عليه.

ويختم المؤلف بابه بقوله دون مناسبة : «ولولا الشعر ماعرف جود حاتم وكعب بن مامة وهرم به سنان وأولاد جفنة، وإنما أشاد بذكرهم الشعر».

(١٦) باب وفي الشعر التياط بالقلوب ومدخل لطيف إلى النفوس

من ص ٣٧٣ إلى ص٣٧٨ الكعبي

ومن ص٢٧١ إلى ص٢٧٤ سلام

لعل هذا الباب أن يكون في فضل الشعر؛ فقد استهله المؤلف بما يفيد ذلك قال: «وفي الشعر التياط بالقلوب، ومدخل لطيف إلى النفوس، وسلم مختصر إلى الأوهام، ومعز شاف، وواعظ ناه، ومعقل يأوى إليه المحروب، و يسكن إليه المحزون و يتسلى به المهموم».

وهو يوضح هذا الكلام له بأمثلة كثيرة منها :

قال العتبي : مات لي بنون، فمنعني شدة الوجد بهم من البكاء عليهم فذكرت قول ذي الرمة :

خليليَّ عوجا من صدور الرواحل
بجمهور حزوي فاركبا في المنازل

لعل انهمال الدمع يعقب راحةً
من الوجد أو يشفى نجيَّ البلابل

فحننت فبكيت فشكوت

ومن شعر العتبي في بنيه :

ينام المسعدون ومن يلوم
وتوقظني وأوقظها الهموم

صحيح بالنهار لمن رآني
ولَيْلِي لا ينام ولا ينيم

كأن الليل محبوس دجاه
فأوله وآخره مقيم

لمهلك فتية تركوا أباهم
وأصغر ما به منهم عظيم

يذكرنيهم ماكنت فيه
فسيَّان المساءة والنعيم

فبالخدين من دمعي ندوب
وبالأحشاء من وجدي كلوم

فإن يهلك بنيَّ فليس شيء
على شيء من الدنيا يدوم

وقال الفرزدق :

ألم ترأني يوم جو سويقة
بكيت فنادتني هنيدة مابيا

فقلت لها إن البكاء لراحة
به يشتفي من ظن أن لاتلاقيا

* * *

(١٧) باب في دعاء بعضهم على بعض

من ص٣٧٩ إلى ص٣٨٢ الكعبي

ومن ص٢٧٥ إلى ص٢٧٧ سلام

نورد في هذا الباب أبياتاً في معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وفي معنى قوله عليه السلام : «إن من عباد الله الصالحين من لو أقسم على الله لأبره»:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي
محلاً ولم يقطع بها البعد قاطع

سرت حيث لم تهد الركاب ولم تنخ
لورد ولم يقصر لها القيد مانع

تمر وراء الليل والليل ضارب
بجثمانه فيه سمير وهاجع

إذا وقدت لم يردد الله وقدها
على أهلها والله راءٍ وسامع

تفتح أبواب السماوات دونها
إذا قرع الأبواب منهن قارع

وإني لأرجو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ماالله صانع

ومن دعاء بعضهم على بعض ماتقوله العرب : «حلبتَ قاعداً وشربتَ بارداً» تعني أنه يحلب الغنم لذهاب إبله، و يذهب لبنها فيشرب الماء.

وقال الأصمعي لأعرابي : ما بالنا إذا دعا الرجل منا على عبده قال له: باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نجيع كبده ونعري جلده ونطيل كده.

(١٨) باب في دفاع الشر بالشر

من ص٣٨٣ إلى ص٤٣٤ الكعبي

ومن ص٢٧٩ إلى ص٣٠٢ سلام

هذا الباب أربعة أقسام هي :

١ ــ ماقيل في دفاع الشر بالشر.
٢ ــ ماقيل في المكافأة بالشكر.
٣ ــ ماقيل في العتاب.
٤ ــ ماقيل في الحجاب.

وقد سمي المؤلف الباب بأول شيء فيه، ويحسن التنبيه إلى أن ماجاء فيه من العتاب يزيد على ماجاء في ثلاثة الأقسام الأخرى مجتمعةً، وبحسبنا هنا مثال لكل قسم.

١ ـ مما قيل في دفاع الشر بالشر

قال سهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان المشهور بالفند الزماني:

صفحنا عن بني ذهل   وقلنا : القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـ   ـن قوماً كالذي كانوا
فلما صرّح الشرُّ   وأضحى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا   ن دناهم كما دانوا

شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان

بضرب فيه تضجيع وتوهين وإدنان

وطعن كفم الزق غدا والزق ملآن

وفي الشر نجاة حين لاينجيك إحسان

وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان

٢ ـ مما قيل في المكافأة بالشكر

وقع جويرية بن زيد من بني درام في أسر حنظلة بن عامر العجلى وقعد العجليون شربا، وجويرية في الوثاق، فرفع عقيرته يتغنى:

وقائلة ما غاله أن يزورنا
وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل

وقد أدركتني والحوادث جمة
مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل

لعلهم أن ينظروني بنعمة
كما صاب ماء المزن في البلد المحل

وقد ينعش الله الفتى بعد عثرة
وقد تبتني الحسنى سراة بني عجل

فأطلقوه بغير فداء.

٣ - مما قيل في العتاب

قال معن ابن أوس المزني :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

وإني أخوك الدائم العهد لم أحل
أرابك خصم أو نبا بك منزل

أحارب من حاربت من ذى عداوة
وأحبس مالي إن غرمت فأعقل

كأنك تشفى منك داءً مساءتي
وسخطي وما في ريبتي ماتعجل

وإن سؤتني يوماً صبرت إلى غد
ليعقب يوماً منك آخر مقبل

ستقطع بي الدنيا إذا ماقطعتني
يمينك فانظر أي كف تبدّل

وفي الناس إن رثت حبالك واصل
وفي الأرض عن دار القلى متحول

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وكنت إذا ما صاحب أمَّ ظنتي
وبدَّل سوءاً بالذي كَنت أفعل

قلبت له ظهر المجن فلم أدم
على ذاك إلا ريثما أتحول

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

٤ - مما قيل في الحجاب

قال محمد بن أحمد الحمدوني وهو من شعراء القرن الرابع الهجري في الحسين بن أيوب والي البصرة :

قل لابن أيوب قد أصبحت مأمولاً
لازال بابك مغشياً ومأهولاً

إن كنت في عطلة فالعذر متصل
فَصِلْ إذا كنت بالسلطان موصولاً

شر الأخلاء من ولى قفاه إذا
كان المولَّى وأبدى البشر معزولا

من لم يسمن جواداً كان يركبه
في الخصب قام به في الجدب مهزولاً

ولأن هذا المثال ليس نصاً في الحجاب، فإننا نخرج عن شرطنا ونشفعه بهذين البيتين لابن هرمة وهما نص فيه قال :

سمح إذا نزل الوفود ببابه
سهل الحجاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت صديقه وشقيقه
لم تدر أيهما أخو الأرحام

(١٩) باب في التعيير والتوبيخ

من ص٤٢٥ إلى ص٤٥١ الكعبي

ومن ص٣٠٣ إلى ص٣١٩ سلام

تتوزع فقرات هذا الباب على فرعيه وهما التعيير والتوبيخ.

فمن التعيير قول الحارث بن خالد المخزومي يعير عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد فراره عن الخوارج وانهزامه دونهم:

فـرَّ عـبـد الـعـزيـز لمـا رأى الأبـ
ـطـال بـالـسـفـح نـازلـوا قـطـريـا

عـاهـد الله إن نجـا م المـنـايـا
لـيـعـودن بـعـدهـا حـرمـيـا

يـسـكـن الحـل بـالـسـفـاح فـرًّا
ن وسـلـعـاً وتـارة بجـريـا

حـيـث لايـشـهـد الـقـتـال ولا يـسـ
ـمـع يـومـاً لـكـر خـيـل دويـا

وكان من حديثه أن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد، ولى أخاه عبدالعزيز قتال الخوارج وعزل المهلب حسداً له، وكان يقول : ذهب المهلب بحظ هذا المصر [يعنى البصرة] ومضى عبدالعزيز في ثلاثين ألفاً وكان يقول في طريقه إلى الخوارج : زعم أهل البصرة أن هذا الأمر

لايتم إلا بالمهلب فسيعلمون، فلقيهم، فكان أول من لقيه سعد الطلائع في خمسائة فارس كأنهم خيط ممدود، فناهزهم عبدالعزيز فوافقوه ثم انهزموا له مكيدة فأتبعهم، وأخذوا أسارى منهم، وأخذوا امرأة عبد العزيز وهي أم حفص بنت المنذر بن الجارود، فبلغ بها رجل من الخوارج سبعين ألفاً، فقال قطرب : ما ينبغى لمسلم أن يكون عنده سبعون ألفاً، وإن هذه فتنة ، فوثب أبو الحديد، فقتلها وقال : رأيت المؤمنين يتزايدون فيها فخفت الفتنة عليهم، فقال قطرى له : أصبت.

* * *

ومن التوبيخ قول هنى بن أحمر الكندى، ويروى لزرافة الباهلى :

يا ضمر أخبرني ولست بمخبرى
وأخوك نافعك الذي لايكذب

هل في القضية أن إذا استغنيتمُ
وأمنتمُ فأنا البعيد الأجنب

وإذا الشدائد بالشدائد مرة
أشجتكمُ. فأنا المحب الأقرب

عجبا لتلك قضية وإقامتى
يوما على تلك القضية أعجب

ألمالكم طيب البلاد ورحبها
ولى الثماد ورعيهن المجدب

وإذا تكون كريهة أدعى لها
وإذا يحاس الحيس تدعى جندب

هذا وجدكم الصغار بعينه
لا أم لى إن كان ذاك ولا أب

وقد يَرُدُّ المعيَّر معتذراً أو مفتخراً.

فمن الاعتذار قول الحارث بن هشام بن المغيرة لما عيره حسان بن ثابت بفراره عن أخيه أبى جهل بن هشام :

الله يعلم ماتركت قتالهم
حتى علوا فرسى بأشقر مزبد

وعلمت أنى إن أقاتل واحداً
أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

ففررت عنهم والأحبة فيهم
طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

ومن الفخر قول البهلول بن كعب العنبرى وقد رأته زوجته يطحن فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجى؟!! فبلغه فقال :

تقول ودقت صدرها بيمينها
أبعلى هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجلى وتبينى
فعالى إذا التفت علىَّ الفوارس

ألست أرد القرن يركب روعه
ومنه سنان ذو عرانين يابس

وأحتمل الردف الثقيل وأمترى
خلوف المنايا حين فرَّ المغامس

وأقــرى الهـــمـــوم الــطـــارقـــات حـــزامـةً
إذا كــثــرت للــطـــارقـــات الـــوســـاوس

لـــعـــمـــر أبـــيــك الخير إنـــى لخـــادم
لـــضـــيـــفـــى وإنـــى إن ركـــبــت لـــفـــارس

وإنـــى لأشـــرى الحـــمـــد ألـقـــى ريـــاحــه
وأتـــرك قـــرنـــى وهـــو خـــزيـــان تـــاعـــس.

(٢٠) باب مما قالوه في التحذير والتخويف من شر عاقبة الظلم وجنايات الحرب

من ص ٤٥٣ إلى ص ٤٦٥ الكعبى
ومن ص ٣٢١ إلى ص ٣٢٩ سلام

ولهذا الباب من اسمه نصيب كبير، وهذه الأمثلة منه تؤيد ذلك وتعطى دليل صدقه.

— ١ —

قال النابغة الجعدى :

ألم تعلموا ما ترزأ الحرب أهلها
وعند ذوى الأحلام فيها التجارب

لها السادة الأشراف تأتى عليهم
فتهلكهم والسابحات النجائب.

ويستلب الدهم التى كان ربها
ضنيناً بها والحرب فيها الحرائب

— ٢ —

قال الحارث بن وعلة الجرمى :

لا تأمنن قوماً ظلمتهم
وبدأتهم بالشتم والرغم

ان يـــأبـــروا نخـــلاً لـــغـــيـــرهـــم
والـــقـــول تحـــقـــره وقـــد يـــنـــمـــى

قـــومـــي هـــم قـــتـــلـــوا أميم أخـــى
وإذا رمـــيـــت أصـــابـــنـــى ســـهـــمـــى

فـــلئن عـــفـــوت لأ عـــفـــون جـــلـــلاً
ولئن ســـطـــوت لأوهـــنَـــن عـــظـــمـــى

ـ ٣ ـ

قال قيس بن زهير بن جذيمة العباسى وهو صاحب فرسى داحس والغبراء اللتين راهن بهما مع حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه : الخطار والحنفاء، وبسبب هذا الرهان قامت الحرب بين عبس وذبيان.

وسبب هذا الشعر أن حمل بن بدر كان قد انهزم في وقعة بين عبس وذبيان، فلما انتهى إلى الهباءة أمن لبعدها عن الطلب، فرمى بنفسه إلى الماء ليتبرد، فاتفق لحاق قيس به مع عدة من ذو يه، فقتلوهم عن آخرهم وقال قيس :

تـــعـــلـــم أن خير الـــنـــاس مـــيـــت
عـــلـــى حـــفـــر الهـــبـــاءة لايـــريم

ولولا ظـــلـــمـــه مـــازلـــت أبـــكـــى
عـــلـــيـــه الـــدهـــر مـــا طـــلـــع الـــنـــجـــوم

ولـــكـــن الـــفـــتـــى حمـــل بـــن بـــدر
بـــغـــى والـــبـــغـــى مـــرتـــعـــه وخيم

أظن الحلم دلّ عليَّ قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني
فمعوج عليَّ ومستقيم

فلا تغني المظالم أن تراه
تمتع بالغنى الرجل الظلوم

* * *

انتهى عرض الكتاب الذي حققه الدكتوران الكعبى وسلام، ومن حقنا الآن أن نسأل :

هل تتوافق مادة الكتاب ــ وقد عرضناها بكل الأمانة والدقة ــ مع اسم الممتع في علم الشعر وعمله أو في صنعته؟

الجواب : لا، فليس فيه سطر واحد في علم الشعر أو في عمله، وليس فيه فقرة واحدة تشرح طبيعة الشعر وتعلم صنعته.

وقد يقول المحققان الفاضلان كلاهما أو أحدهما :

إن هذا مختار الممتع، وليس الممتع، ولربما أهمل من اختاره مانوهت به وافتقدته، وأتى بما لم يعجبك ولم يقنعك. فأرد متسائلاً :

ألم يزل قلمه ولو مرة واحدة، فيختار شيئاً يتصل من قريب أو من بعيد بعلم الشعر لغةً أو صرفاً أو نحواً أو عروضاً أو قافيةً أو فصاحةً أو بلاغةً؟؟؟!!!

وألم يزل قلمه ولو مرة واحدة فيختار شيئاً يتصل من قريب أو من بعيد بعمل الشعر وصنعته كمهيئاته وأدواته وبواعثه وأغراضه، وما ينبغي

للشاعر أن يراعيه في وزنه وقافيته وفي لغته وصوره الشعرية المعبرة عن خياله وعاطفته؟؟؟!!!

* * *

والنتيجة التي انتهى بنا هذا الفصل إليها، ويحسن ـ لذلك ـ أن نختمه بها هى أننا إذ نوازن بين اسم العمدة والعمدة، وبين اسم الممتع وما حقق ونشر، نصدم بالمفارقة الصارخة بين الكتابين، من حيث تطابق اسم العمدة على مسماه، وعدم تطابق اسم الممتع في علم الشعر وعمله أو في صنعته على ما حقق ونشر.

* * *

ولما كنا قد عقدنا هذا الفصل لنتبين ذلك على وجه القطع واليقين، فإننا نكتفى بهذه النتيجة مؤقتاً، ولندعها تعمق موقعها لتكون مع ماسبقها، وما سيأتى بعدها من أسس الاقناع والاقتناع إن شاء الله تعالى بأن ما حقق ونشر إنما هو [هدى كامل المبرد] وليس اختياراً من كتاب الممتع، ولاقطعة من هذا الاختيار، فليس في تراثنا العربى شىء بهذا الاسم، وإذا كان فإلى الآن لم يظهر.

* * *



الفصل الثالث
مع الدكتور الكعبي

نحن في هذا الفصل مع الدكتور منجى الكعبى في كتابه [النهشلى القيروانى]، وفي تحقيقه لهدى كامل المبرد الذي اعتقد خطأ أنه اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله لعبدالكريم بن إبراهيم النهشلى القيروانى.

لا شأن لنا هنا بمنهجه في التحقيق، ولو أن تنفيذه لهذا المنهج سيكون موضع موازنة بين ما عمله فيه، وما عمله تابعه الدكتور سلام، والفصل الثاني من الباب الثاني هو الإطار المعد لهذه الموازنة.

ولكى تكون الإحالة على ماسنناقشه هنا سهلة، فإنى سأعطى حروف [أبجد هوز....] لموضوعات هذا الفصل ولنقاطه البارزة على الوجه الآتى :

(أ)

في عنوان الكتاب وهو [هدي كامل المبرد] ــ كما أرى ــ جاءت كلمة [هَدْيُ] ــ بالهاء المفتوحة، والدال المهملة الساكنة والياء المضمومة ــ مضافة إلى [كامل المبرد] بالمعنى الذي شرحناه سابقا وقد قرئت كلمة [هدي] هذه على أنها [هذا] بالهاء والذال المعجمة والألف، اسم إشارة للمفرد المذكر، فإذا كان المذهب الإملائى لمؤلف الكتاب أو لناسخه هو كتابة [هذا] بالياء لابالألف، فإننا نسأل :

لماذا لم يطرد ذلك في ثنايا الكتاب وهو حافل بكلمة [هذا] وقد جاءت كلها بالألف لا بالياء، لانستثنى من ذلك إلا موضعاً واحداً جاءت فيه بالذال المعجمة والياء، وهي على وجهها الصحيح في هذا الموضع، لأنها اسم إشارة إلى مفردة مؤنثة هي زوجة الأعرابى في القصة التي افتتح بها صاحب [هدي كامل المبرد] كتابه، وصدر بها الباب الأول منه، وهو [باب ماجاء في العفو عمن أذنب]، والعبارة التي

وردت فيها كلمة [هذى] هي : «فكتب معاوية إلى ابن أم الحكم ووبخه وزجره ونهاه عن **هذى** وقال في آخر الكتاب أبياتاً منها :

لقد ركبت حراماً يا ابن غاوية
أستغفر الله من جور امرىء زان

وكان الدكتور الكعبى مخطئاً بتحويل [هذى] في العبارة السابقة إلى [هذا] لكنه ــ والحمد لله ــ كان أمينا فنبه في الهامش رقم (و) ص ٤٦٨ على أنها [هذى] في المخطوطة.

* * *

ونمضى في المخطوطة فنجد [هذا]و [هذه] اسمى إشارة للمفرد المذكر وللمفردة المؤنثة، وعلى سبيل المثال لا الحصر هذه النماذج :

١ ــ «وقالت هند بنت عتبة في ضد هذا» ورقة ٣ أ
٢ ــ «وكانت الزباء سارت إلى الأبلق هذا» ورقة ٥ أ
٣، ٤ــ «فاجتمع شرب عند الكلبى وفيهم شريح، فعرف الأعشى فقال من هذا؟ فقال خشاش التقطته، فقال : أحب أن تهبه لى، فقال : ماترجو من هذا الأعمى؟» ورقة ٥ ب

٥ ــ «حظ الأديب من الدنيا هو العدم
وللرفيع الوضيع المال والخدم
هذا غنيٌّ فقير النفس محتقر
وذا فقير قد اغنى نفسه الكرم
ورقة ٨ ب

٦ ــ «وقال عيسى بن عمر : «لما احتضر ذو الرمة بأصبهان رفع رأسه إلى من كان عند رأسه وقال : هذا والله يومى»ورقة ١٠ أ

٧ — «ثم خير كلام وأشرفه هذا الشعر» ورقه ١٤ أ

٨ — «وقد أُخذ هذا علي لبيد» ورقة ١٤ ب.

٩ — «فقال النبى صلىٰ الله عليه وسلم : «لو كنت سمعت شعرها هذا ماقتلته» ورقه ١٥ ب

١٠ — «وكان سعيد هذا من أكثر قريش مالاً» ورقة ١٦ أ

١١ — هذا محمد بن عبدالله بن عمر الديباج» ورقة ١٧ أ

١٢ — «قد انتظرت هذا منك» ورقة ١٧ أ.

١٣ — «هذا والله السحر الحلال» ورقة ٢٢أ

١٤ — «باب والمنة لله عز وجل في هذا البيان الذي جعل اللسان دليلاً عليه» ورقة ٢٤ أ

١٥ — «وقد تقدمت قبل هذا» ورقة ٢٤ ب.

١٦ — «قال وكيع بن الحجاج : مات سفيان الثورى رحمة الله عليه وله مائة وخمسون ديناراً بضاعة، قال الفاريابى : لولا هذه لتمندل القوم بنا تمندلا» ورقة ٢٥ ب

١٧ — «وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا، إنك قد اخترتني جاراً، واخترت دارى داراً» ورقة ٢٧ أ

١٨ — «وسب الخمر وضرب أخته، فلما صحا قال من فعل هذا» ورقة ٢٩ أ

١٩ — «سأل المنذر بن محرق عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن مسعد : بم أنت أعز العرب قبيلة؟ فقال : العز في العرب في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في بنى تميم ثم في بنى سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة، فن أنكر هذا من العرب فلينافرنى» ورقة ٣٠ أ

٢٠ — ««ثم لامزيد بعد هذا» ورقة ٤٤ب.

٢١ — «هذا قول أبى عبيدة» ورقة ٤٥ ب.

٢٢ ــ «قال ابن سلام : فارس اليمن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وشاعرها امرؤ القيس بن حجر الكندى، وبيتها في كندة الأشعث بن قيس، لايُختلف في هذا» ورقة ٤٦ ب

٢٣، ٢٤«نظر رجل إلى هلال بن أحور التميمى وقد أطافت به بنو تميم، فقال : انظروا إليهم كأنهم إنما طافوا بعيسى بن مريم، فقال له رجل من بنى تميم : هذا عيسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يحيى الموتى، وهذا يميت الأحياء» ورقة ٤٨ب

٢٥ ــ «هذا مثل».

٢٦ ــ «أترى هذا الموضع»؟

٢٧ ــ «وأخذت هذا السيف منه»

٢٨ ــ «عند هذا».
[ورقة ٥٠ أ]

٢٩، ٣٠ ــ«هذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا» ورقة ٥٨ ب.

٣١ ــ «وإنى أرى هذا الأمر» ورقة ٥٨ب

٣٢ ــ «قوله عربانيا فإن هذه الألف والنون تزادان في النسبة ليفرقوا بها بين العربى اللهجة والعربى النسب» ورقة ٥٩ أ

* * *

تلك الأمثلة ــ وغيرها في الكتاب أكثر منها ــ تدل على أن كلمة [هدي] في عنوان الكتاب هي [هدي] لا [هذا] كما قرأها المحققان الفاضلان، والحقيقة أنهما لم يقرآ، وإنما اعتمدا على قراءة الشيخ محمد

محمود بن التلاميد الشنقيطى فهو ــ كما قال الدكتور الكعبى ــ الذي كتب كلمة [خطأ] وأردفها بعبارة «ليس هذا   ل المبرد، إنما هو قطعة من اختيار الممتع».

أما أنا فلم أقرأها منذ رأيتها بدار الكتب المصرية في يوليه سنة ١٩٧١م إلا [هدي] وزدت فلفت نظر رئيس قسم المخطوطات إلى أن اسم المخطوطة صحيح، وأن من خطأه ظانا أنه يصوبه هو المخطىء، وبعد إحدى عشرة سنة وعلى وجه التحديد في يوم الأحد الحادى والثلاثين من اكتوبر سنة ١٩٨٢ عرضت مصورتى عن مخطوطة دار الكتب على الأستاذ حسن حسن أصيل زميلى في كلية التربية جامعة الملك سعود بالرياض، والحاصل على دبلوم وتخصص في الخط العربى، فقرأ عنوانها على البديهة [هَدي كامل المبرد].

ولما راجعته زاعماً أنه [هذا كامل المبرد] نفى ذلك بشدة وقال : إنه مكتوب بخط الثلث القديم.

« ب »

ودفع آخر مكمل للدفع السابق ومتعلق به كأنه ذيل له، دعانى إلى إيراده قول الكعبى :«والمذهل أنه يطالعنا في رأس هذه الصفحة [ص ١٧ من المخطوط] عنوان بالحرف الغليظ يلفت إليه نظر أبسط من يقلب صفحات المخطوطة تقليبا عفويا وهو «ومن كتاب الممتع» وبعده بالخط العادى في النسخة وفي أول السطر التالى «لعبدالكريم»».

ومعنى ذلك أن العنوان الخاطىء المكتوب على غلاف المخطوط، لم يكتبه سوى وراق مرابح في سوق الكتب، ولم يكتبه مؤلف الاختصار نفسه أو الناسخ، أما صاحب الاختصار فيجب أن ننزهه عن هذا، وأما الناسخ فالخط غير الخط (١) .

---

(١) تردد الكتابة بين الحرف الغليظ والعادى لايكون خطا غير الخط، وما أسهل أن يجمع الكاتب الواحد في الفقرة الواحدة بين خطوط الثلث والرقعة والنسخ.

وإلى جانب اختلاف الخط الذي كان يجب أن نستدل منه عن هذا الشأن هناك اختلاف سائر أوراق المخطوطة عن ورقتى الغلاف المكتوب عليهما تينك الإشارتين الخاطئتين(!) وله العذر من لايستطيع أن يدرك هذا الاختلاف الأخير من مصورة شمسية عن المخطوطة»[1]

* * *

هذا الكلام من منجى الكعبى يعنى أن عنوان الكتاب وهو ــ في رأيى ــ [هدي كامل المبرد] ليس من عمل مؤلفه ولا ناسخه، بل من عمل وراق مرابح في سوق الكتب كما قال.

وهذا غريب وعجيب، فلم نسمع أن صاحب كتاب أو ناسخه قد أضمر عنوانه أو محاه بعد أن أثبته.

فليكن هذا أو ذاك يادكتور منجى. فرضاً وجدلاً، ولنصدق للحظة ما ذهبت إليه من أن العنوان الخاطىء المكتوب على غلاف الكتاب إنما هو من عمل وراق مرابح في سوق الكتب أراد أن يبيع هذا الذي وقع له بدون عنوان، أو بعنوان، لم يعجبه؛ لأنه لايكسبه، على أنه كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد.

فماذا كان يكتب؟

أجيب بأنه في هذه الحالة كان يكتب : [الكامل للمبرد] أو [الكامل في اللغة والأدب للمبرد].

---

(١) النهشلي القيرواني ص ١٥٨، وفي كلام الكعبي خطأ نحوي صوابه «تانك الإشاراتان الخاطئتان».

أما أن يكتب [هذا كامل المبرد] باسم الإشارة [هذا] وبتجريد [الكامل] من أداة التعريف [ال] والاستعاضة عنها بإضافته ــ بعد اختصاره بحذف [في اللغة والأدب] ــ إلى [المبرد] فهذه كلها غرائب وعجائب كما قلت، وإنها ــ فوق ذلك ــ لمريبة تكاد تشى به وتدل على كذبه.

هل سمي أحمد أمين ــ رحمه الله ــ كتابه العظيم (فجر الإسلام) بهذا الاسم، أو سماه [هذا فجر الاسلام]؟

وأنت وأنا وكلنا نسمي كتبنا بأسمائها الدالة عليها، والمتمشية مع موضوعها: يسمى منجي الكعبي أحد كتبه [القزاز القيرواني]، ويسمي كتابه الذي نحن بصدده [النهشلي القيرواني] ويسمي الدكتور سلام أحد كتبه [أثر القرآن في النقد العربي] وكتاباً آخر يسميه [النقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري] ولا يصدّر أحد الاسمين باسم الإشارة [هذا]، وأسمي بعض كتبي [نقد النقد في التراث العربي] و[خط سير الأدب العربي] و[أبيات المعاني في شعر المتنبي] و[البلاط الأدبي للمعز بن باديس] ولا أجعل أيًّا من هذه الأسماء مسبوقاً باسم الإشارة [هذا].

فلماذا نستبيح مع هذا المخطوط مالا يُباح، ونقرأ كلمة [هدي] في صدر عنوانه، على أنها اسم الإشارة [هذا]؟!!! ونستشعر ضعف موقفنا فننسب ذلك إلى غيرنا وهو الشنقيطي، فليكن الشنقيطي هو الذي فعل ذلك. لابأس، لكنه يكون قد أخطأ، وليس مستحيلاً أن يخطىء الشنقيطي، بل من المنتظر أن يخطىء، وقد كان رجلاً نزقاً قلقاً، يفعل ما بداله قبل أن يزنه، ويسبق لسانه أو قلمه فكره[1].

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام لخير الدين الزركلي جـ٧. ص٣١١ ــ ٣١٢.

وإذا كان خط العنوان مختلفاً عن خط المخطوطة نفسها، «وإلى جانب اختلاف الخط، هناك اختلاف سائر أوراق المخطوطة عن ورقتي الغلاف المكتوب عليهما تينك الإشارتين الخاطئتين» (كذا؟).

هذا كلام الكعبي وهو يعني بتينك الإشارتين الخاطئتين عبارة [هدي كامل المبرد] في أول المخطوط وفي آخره.

وأرد عليه بأن الأمر في الحالين عادي وطبيعي، وهو المعهود فينا ومنا، فكلنا يتفنن في كتابة عنوان كتابه ما وسعه التفنن، و يتكلف لذلك ضروباً من التكلف، وإذا لم يكن قادراً على ذلك استعان فيه بمن له قدرة عليه وخبرة فيه.

وتأمل أيها القارىء الكريم غلاف كتابي هذا، إنه من ورق مقوى، وهو مختلف في لونه ونوعه عن بقية أوراق الكتاب، وهكذا كل كتاب في الدنيا على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وتشبث الدكتور الكعبي به في الاستدلال على رأيه ليس في محله، فضلاً عن أنه يصيب دعواه بالوهن.

ماذا؟! ألا يعرف الدكتور الكعبي ــ وهو ابن الحضارة العربية في أفريقية التونسية ــ أن كتابةعناوين الكتب على أغلفتها قد تطورت حتى صارت صناعة قائمة بنفسها، وحتى صار لها رجالها المتخصصون فيها والمتفرغون لها؟!!!

كيف لا؟! وكل دار نشر تحترم نفسها قد صار لها فنيون ينفذون أغلفة الكتب التي تطبعها، وتحرص على أن يجلس هؤلاء الفنيون مع المؤلف ليعطيهم فكرة عن كتابه، وليقترحوا عليه في ضوء ذلك أغلفةً يختار أحدها.

يعرف الدكتور الكعبي ذلك إن لم يكن من تونس فمن مصر أو فرنسا، لكنها حماسته الصاخبة، ولكنه حرصه على أن ماوجده إنما هو مالافتقده، متخلياً في عجلته هذه عما ينبغي لمثله أن يتحلى به من سعة صدر وصبر، ومن تأمل وأناة.

(جـ)

من الممارسات الخاطئة لمنجي الكعبي أنه تجرأ على الباب الأول من هدي كامل المبرد وهو [باب في العفو عمن أذنب] كما جاء في صفحة العنوان و[باب ماجاء في العفو عمن أذنب] كما هو في صلب الكتاب، وقد شغل هذا الباب من [هدي كامل المبرد] ثلاثاً وعشرين ورقة تنحل إلى ست وأربعين صفحة.

وتأخذ جرأة الكعبي على هذا الباب أكثر من مظهر؛ فهو قد مزق أوصاله وجعله ثلاث قطع:

القطعة الأولى :

وهي أول الباب، ونحمد الله على أن هداه وجعله يحتفظ لها باسمها وهو [باب ماجاء في العفو عمن أذنب]، لكننا نجأر بالشكوى منه لتنكيله بها ونفيها من موطنها الأصلي في أول الكتاب إلى آخره، متجاهلاً أنها مسبوقة في المخطوطة بالبسملة، وهي أول الكتاب لاريب.

القطعة الثانية من هذا الباب :

وقد أخطأ حين جعلها باباً قائماً بنفسه أعطاه اسماً من عنده هو [باب في كلام العرب] وصدر به تحقيقه لما سماه: [اختيار من كتاب الممتع]، ولم يكن أميناً حين نقل البسملة من موضعها في أول الكتاب إلى هنا.

القطعـة الثالثة :

وهي تبدأ في التحقيق بصفحة ٢٤ وتنتهي بصفحة ٤٣.

وكما عَنْوَن سابقتها عَنْوَنها بـ[فضل الشعر].

* * *

وعن القطعة الأولى وهي القطعة التي نقلها من موضعها في أول الكتاب وجعلها خاتمته.

نقرر أنها أول الكتاب قطعاً. نقول [قطعا] ونعنيها ودليلنا حاضر يدين الدكتور الكعبي بالخطأ، وهو خطأ مركب، لأنه قد اقترفه وأمامه ماكان جديراً بأن يرده عنه.

والقضية بجذورها هي ماروواه مؤلف [هدي كامل المبرد] عن أبي عبيدة في الورقة الخامسة بوجهيها أ ، ب وفي جزء من أ في الورقة السادسة أي في القطعة التي نقلها الكعبي من أول الكتاب إلى آخره.

قال مؤلف [هدي كامل المبرد] : «حكى أبو عبيدة أنعمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبي مرَّ راجعاً من غزاة ومعه أساري، فلقيه أعشى بني قيس بن ثعلبة يريد الشام ليمدح آل جفنة فانتسب له إلى غير قومه، فقال: أنا من تجار أهل البحرين، فأوثقه وطرحه في الأسرى، ثم سار من فوره حتى نزل على شريح بن السموءل بن عادياء فأحسن نزله وأكرمه، فسأل الأعشى: من الذي أنزله؟ فقيل له: شريح فقال: والله لقد كنت امتدحت السموءل، فأرسل إلى شريح بذلك وسأله أن يخلصه من ضيقه، وأعلمه أنه لايعرف من هو.

فاجتمع شرب عند الكلبي وفيهم شريح فعرف الأعشى، فقال: من

هذا؟ فقال: خشاش التقطته، فقال: أحب أن تهبه لي، فقال: ماترجو من هذا الأعمى الزمن؟!! بل خذ أسيراً فداؤه مائة من الإبل، قال: بل هذا الأعمى فإني أرحمه، فوهبه له.

فأدخله شريح قصره وذبح له شاة وسبأ له خمرة، فلما نفذت فيه الكأس ترنم بهجاء الكلبي وقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم
ولست من الكرام بني العبيد

ولا من رهط جبار بن قرط
ولا من رهط حارثة بن زيد

فبلغ عمرو بن ثعلبة هجاؤه، وقيل له: إنه الأعشى، فأرسل إلى شريح أن ردَّ إليَّ هبتي، قال: لاسبيل إلى ذلك ولكن احتكم في المال ماشئت، قال: قد هجاني، قال: لايأتيك منه إلا ماتحب، وأرسل شريح إلى الأعشى: إن الرجل قد وهبك لي وأحسن ثم هجوته، لبئس ماصنعت، فقال الأعشى: والله لا أهجوه أبداً، ثم أنشأ يقول يخاطب شريحاً:

شريح لا تتركني بعدما علقت
ببطن كفك بعد القيد أظفاري

قد طفت مابين بانقيا إلى عدن
وطال في العجم تطوافي وتسياري

فكان أوفاهم عهداً وآمنهم
جاراً أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ماستمطروه جاد وابله
وعند ذمته المستأسد الضاري

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به
في جحفل كسواد الليل جرار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدَّار

وقال : ثكل وغدر أنت بينهما
فاختر فما فيهما خير لمختار

فشك غير طويل ثم قال له
اقتل أسيرك إني مانع جاري

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به
رب كريم وبيض ذات أطهار

فاختار أدراعه ألا يُسب بها
ولم يكن عهده فيها بخفار

* * *

وينتهي [باب ماجاء في العفو عمن أذنب] ليبدأ [باب والمنة لله عز وجل في هذا البيان] فنقرأ في (ب) من الورقة٢٤: «أفضل بيان العرب وأفصحه ما أدّاه عنها الشعر الجاري على ألسنتها بالبلاغة المحكمة، والحكمة المتقنة الباقية، مضمناً حكمها وسائر أمثالها، شاهداً على أحسابها وكريم أفعالها، مخبراً عن مروءاتهم في سالف أيامهم، وعن محمود خلائقهم وجميل وفائهم ليتأدب غابرهم بفعل فارطهم، وليقتدي متعلمهم من

الأبناء بسالف من تقدمهم من الآباء، ولذلك قال الأعشى لشريح ابن عمران بن السموءل بن عاديا يذكره وفاء أبيه، ليتأول ذلك فيه، وقد أسره بعض الملوك من قضاعة، ونزل ضيفاً على شريح بن السموءل:

كن كالسموءل إذا طاف الهمام به

الأبيات ؛ «وقد تقدمت قبل هذا في ذكر من وفي لجاره».

والعبارة الأخيرة هي مربط الفرس، إليها قصدت من كل ما ذكرت، فهي تدمغ تأخير الكعبي للقطعة الأولى من [باب ماجاء في العفو عمن أذنب] لا أقول بالخطأ، بل بالذنب ولا أقول بالذنب البسيط، بل بالذنب المركب؛ لأنه فعل فعلته برغم تلك العبارة الدالة دلالةً قاطعة على أن ما فعله خطأ. يقول مؤلف الكتاب مشيراً إلى أبيات الأعشى:

«وقد تقدمتْ قبل هذا في ذكر من وفي لجاره».

فيأثم الكعبي مرتين :

مرة بتأخيرها.

ومرة بتعطيل الإشارة إليها.

وها أنذا أنعي إلى صاحب [هدي كامل المبرد] إشارته، وأتمثله لأقول له : إن الأبيات التي تقدمتْ في أصل تأليفك قد تأخرتْ بفعل الكعبي.

فهل تعفو أنت أيضاً عمن أذنب؟

* * *

ونـنـتـقـل مـن الـكـتـاب المحقق باسم [اختيار من كتاب الممتع] إلى الـكـتـاب المؤلـف بـاسـم [النهشلي القيرواني] فنقف مما قاله الكعبي في تبر ير مسلكه ذاك عند قوله:

«لابـد أن نـنـظـر أولاً بـاستغراب لذلك الإعلان الصر يح الذي يأتي بـعـد سـت وعشر ين صفحة من المخطوط ليعلن عن بداية منتخب الممتع، فـهـذا يـعني أن مـاقبل ذلك كله ليس من المتتع، و يؤ يد هذا في الواقع أن بـداية المخطوط ليست بداية عادية؛ فهو يخلو من مقدمة تمهيدية مع أن المقدمة في الكتب المماثلة أصل من أصول التأليف، وقد نظن أن مختصر الـكـتـاب أسـقـط هـذه المقدمة، وذلك جائز، لكننا لابد أن نميل إلى أن الإعـلان عـن بداية الانتخاب من كتاب الممتع من أوله عند صفحة ١٢ ب هو إعلان صحيح؛ حيث أننا نقرأ بعده بداية طبيعية جداً لكتاب في الأدب ونـقده مثل هذا الكتاب، فهو يقول: «أفضل كلام وأعزه وأكرمه وأعـوده بـصـالحـه كـتـاب الله العز يز، ثم خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر الذي ترتاح له القلوب....»».

فـأين هذه البداية المقبولة من تلك القصة المفاجئة التي تعرض لنا في أول الـنـسـخـة؟! وهـي قـصـة تتلوها قصص أخرى ومنتخبات أدبية هي عـبارة عن أخبار وحكايات وأمشاج من الأقوال والأشعار، وقد نحاول أن نجد بينها جميعاً رابطةً ولو واهية، ولكننا لن نستطيع أن نضعها جميعاً تحت عـنوان ذلك الباب الذي يطالعنا في أول النسخة وهو «باب العفو عمن أذنب».

ففيما عـدا الحـكـايـات الـثـلاث الأولى وهي قصة معاو ية وعامله مع الأعـرابي وزوجـتـه، وقـصـة عطاء بن أبي رباح وأبي مسلم، وقصة ز ياد وعـامـلـه بالطائف، لانستطيع أن نرى مكاناً في هذا الباب لبقيةما يأتي على مدى الصفحات الأربع والعشر ين التالية.

إذن فبداية المخطوط غير طبيعية، **وقد نظن كل ظن بموضع هذه الصفحات الغريبة من المخطوط إلا أن نظن أن لها علاقة بكتاب الممتع.**

فقد نظن أنها بقية صفحات من كتاب آخر مجهول، وربما يكون هو أيضاً اختصاراً من الاختصارات مثل الممتع، واتصل الاختصاران بعضهما ببعض في شكل مجموع من تلك المجاميع الخطية التي نجدها تشتمل على أكثر من مخطوط، ومن ثم تسلسلت أرقام صفحاتها.

لكن ليس هناك مايمنع من أن نعد هذه الصفحات من كتاب الممتع أي من اختصاره انقلبت من مكانها بسبب أو بآخر» (١) .

* * *

وننقد هذا الكلام الطويل للكعبي فنقول : إنه كلام مضطرب ومتناقض، إن دل على شيء، فإنما يدل على تخبط صاحبه وتردده بين الرفض والقبول للشيء الواحد، وما هكذا تكون الدراسة الناضجة.

ما يكاد يفرغ من قوله : «وقد نظن كل ظن بموضع هذه الصفحات الغريبة من المخطوط إلا أن نظن أن لها علاقة بكتاب الممتع».

حتى يستدرك على نفسه بقوله بعد أربعة أسطر : «لكن ليس مايمنع من أن نعد هذه الصفحات من كتاب الممتع نفسه أي من اختصاره».

ولا يقنع بـ[ليس ما يمنع] فيقول جازماً : «إذن فهذه الصفحات الست والعشرون المتقدمة في مكانها الحقيقي من المخطوط وتربطها علاقة ما بما بعدها» (٢) .

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٥٩ ــ ١٦٠.

(٢) النهشلي القيرواني ص١٦١.

هكذا من النقيض إلى النقيض دون حرج أي حرج ونبادر فنسأل:

لماذا ــ وهي «في مكانها الحقيقى من المخطوط، وتربطها علاقة ما بما بعدها» ــ نقلها من مكانها الحقيقى في أول الكتاب وجعلها آخره ؟!!!

الحق أنه لن ينفعنا في الحيرة التي أوقعنا فيها الكعبى إلا أن ننفض يدنا منه جملة؛ فالرجل يحرث البحر، وهو غير واضح الرؤية، وقد جاء إلى الموضوع بفكرة مسبقة وخاطئة، هي أن ما حققهوهو [هدي كامل المبرد] إن هو إلا قطعة من اختيار الممتع كتاب عبدالكريم، ولأن فكرته مسبقة وخاطئة آدته وجعلته يقبل ثانياً ما كان قد رفضه أولاً. وسيَّان من وجهة نظر الحق قبوله ورفضه؛ لأنهما محمولان على غير موضوعهما، وواردان في غير محلهما.

لقد أجهد الكعبي نفسه في التعرف على هوية عدة صفحات، فحكم مرة بأنها لا علاقة لها بكتاب الممتع، ثم مالبث أن حكم مرة أخرى بأنها من كتاب الممتع نفسه أي من اختصاره، وتربطها علاقة ما بما بعدها.

والمسألة بعد سهلة وواضحة؛ فالكتاب كله ــ وليست الصفحات التي ذكرها وحدها ــ ليس كتاب الممتع، ولا اختياراً من كتاب الممتع، بل هدي كامل المبرد، وإذا كان مؤلفه قد أرفده بنصوص من كتاب الممتع، فإنه ــ لأمانته ــ قد وثقها بنسبتها إلى صاحبها، وهذا التوثيق دليل جديد على أننا بصدد كتاب آخر غير الممتع، وهو دليل قوي لمجيء كل التوثيق فيه بأساليب الغيبة هكذا.

١ ــ ومن كتاب الممتع لعبد الكريم في فضل الشعر وما تعلق به وانضاف إليه من خبر أو شعر قال... ورقة ١٧ ب.

٢ ــ قال عبد الكريم ... ثم قال : ورقة ٤٠ ب.
٣ ــ قال عبد الكريم : ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة... ورقة ٦٤ أ.
٤ ــ وقال عبد الكريم في كتابه. ورقة ٧٤ ب.

والتوثيقان (١)، (٤) ملفتان للنظر؛ لازدواجية الغيبة فيهما، ولأن عبد الكريم لايمكن أن يقول عن نفسه وعن كتابه الممتع في كتاب الممتع «ومن كتاب الممتع لعبد الكريم قال» أو «وقال عبد الكريم في كتابه».

هكذا بأسلوب الغيبة في التحدث عن نفسه وعن كتابه.

فالكاتب إنما هو عبد الكريم، والمكتوب إنما هو فقرة من كتاب الممتع وكتاب الممتع حاضر لديه، بل تحت يديه وها هو ذا يكتب فيه بقلمه، وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة بعبد الكريم إلى هاتين العبارتين اللتين لاتُقبلان إلا إذا كان كاتبهما شخصاً آخر غير عبد الكريم، وفي كتاب آخر غير الممتع.

والأمر كذلك حقاً فكاتبها إنما هو ذلك المؤلف المجهول في مؤلفه هذا المعلوم [هدي كامل المبرد].

هذا هو فهمنا لعبارة [ومن كتاب الممتع لعبد الكريم قال] ولعبارة [وقال عبد الكريم في كتابه] وهو الفهم المعقول، أما فهم الكعبي لهما ولغيرهما فيعني أن عبد الكريم يتحدث عن نفسه، وكأنه يتحدث عن غيره، وعن كتابه، وكأنه ليس له، وفي هذا مافيه من إهداره لذاته، ومن تقصيره في حق كتابه، وهو احتمال مرفوض؛ لأنه ــ بشقيه ــ لايعقل.

* * *

وعما جاء من كلام الكعبي قبل هذا التناقض الذي سجلناه عليه وآخذناه به، نقول: إن هذا الكلام كان يصدق، لو كان الكتاب الذي معنا كتاباً في الأدب ونقده كما قال، لكنه ليس كذلك، كل ماهنالك أن عالماً متأدباً أعجب بكتاب الكامل للمبرد فألف على هديه، وكنا ننتظر من الدكتور الكعبي أن يلتفت إلى ذلك، و يتصرف بمقتضاه، لكنه ــ للأسف ــ لم يفعل.

والسبب في أننا دمغناه بالخطأ المركب مرة، وبالذنب المركب أخرى، هو أنه قد عرف ماعرفناه من أمر تلك الإحالة التي أفسدها بنقله القطعة المشتملة على ما أحال المؤلف عليه من أول الكتاب إلى آخره، قال: «ينبغي الاعتناء بتلك الإشارة التي وردت في ص٢٤ ب وهي قوله: «ولذلك قال الأعشى:

كن كالسموءل إذا طاف الهمام به...

الأبيات وقد تقدمت قبل هذا في ذكر من وفي لجاره».

فهذه الأبيات قد تقدمت فعلاً لكن في ص ٦أ أي فيما قبل الإشارة لبداية الاختيار من كتاب الممتع»

هذا كلام الكعبي.

أكاد أتميز من الغيظ وأنا أقرؤه، لأنه لم يبدأ فيما دعا إليه بنفسه وزاد فعمل بضد ما علم.

ــ د ــ

لازلنا مع القطعة الأولى من الباب الأول وما جرى لها على يد الدكتور الكعبي.

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٠ ــ ١٦١.

فمن سذاجته، وأكاد أقول: من غفلته أنه نقلها من أول الكتاب إلى آخره بعد أن قرر أنها من المخطوط أولاً، وفي مكانها الحقيقي منه ثانياً وهذا التخبط العملي في الكتاب المحقق يعكس تخبطاً نظرياً في الكتاب الآخر قال:

«وسيطول بنا التخمين لو مضينا في فرض الفروض حول نسبة هذه الصفحات من كتاب الممتع، ويرجح لدينا أنها منه عدة أمور أهمها:

(أ) أنه ليس لدينا دليل على استقلالها عنه، ولا يوحي شكل المخطوط مطلقاً بأنه مجموع.

(ب) أنها بطبيعة موضوعاتها يمكن أن تدخل في باب الممتع.

(جـ) أن تواريخ وفيات أعيانها لايخرجها عن الفترة التي ألف فيها الممتع، وأقصاها نهاية القرن الرابع.

(د) هناك قرينة قوية تكشف عن هوية مؤلفها ألا وهي أنساب تلك القبائل البربرية التي وردت في ص٨أ وما بعدها؛ فقد جاء فيها ذكر لواته ومزاته وهوارة وزويلة وصنهاجة وكتامة، وقل أن تجد عناية بنسب البربر وتسمية قبائلهم عند كتاب مشارقة.

صحيح. قد نجد ذلك في كتب الأنساب المتخصصة، وهو أيضاً نادر جداً، لكن في كتب الأدب عامة يجب أن يكون لذكر أنساب دون أنساب بها دليل على إقليمية صاحبها في الغالب أو بعبارة أخرى على اهتمامه بنسب قومه.

وقد أعجزني أن أحقق نص هذه الأنساب البربرية في كتب النسب القديمة المشهورة لو لم أهتد أخيراً إلى كتاب أندلسي متأخر بما يزيد عن نصف قرن عن النهشلي وهو ابن عبد البر المتوفي سنة ٤٦٣هـ.

ففي كتابه [القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم]

وجدت معظم هذه الأنساب البربرية بألفاظها.

إذن يمكن الركون إلى كون هذه الصفحات من كتاب الممتع للنهشلي.

لكن هلا نجد تفسيراً معقولاً لوضعها الشاذ قبل البداية الطبيعية للكتاب.

وهنا أيضاً نستطيع أن نجد تفسيرات عديدة، إلا أن الذي يمكن أن نميل إليه أكثر هو أن مختصر الكتاب ربما لم تكن لديه في البدء فكرة اختصار الكتاب كله، وإنما كان ينوي أن يقتطف منه بعض الأخبار وفرائد الأشعار التي تنال إعجابه لأمر ما، ثم مالبث أن عدل عن خطة الاقتطاف الحر إلى طريقة الاختصار المنظم للكتاب كله، فأخذ بناءً على ذلك من أول الكتاب»(١) .

* * *

انتهى كلام الكعبي، ولا نسلم له ما قرره في (جـ) من أن الفترة التي أُلف فيها الكتاب الذي حققه أقصاها نهاية القرن الرابع؛ فكون تواريخ وفيات أعيانها لا تتجاوز نهاية القرن الرابع لايستلزم ولايحتم أن الكتاب الذي معنا تم تأليفه قبل تجاوز هذه الفترة؛ فهو وأنا وغيرنا باستطاعتنا تأليف كتاب في الأدب لا تتجاوز أعمار من ترد أسماؤهم فيه نهاية القرن الثالث لا الرابع، وليس من مصلحة الدكتور الكعبي أن يتشبث بهذا التحديد، لأن التسليم به له يضعف ما أراد قوله في (د).

وأيضاً لا نسلم له ماقاله في (د)؛ فمن البديهي أن تداول الأنساب في كتبها لايكون إلا بلفظها، ولايعطي وجود الأنساب البربرية في

(١) النهشلي القيرواني ص١٦١ ــ ١٦٢.

كتاب «القصد والأمم» لابن عبد البر سوى ترجيح غير قوي بأن مؤلف [هدي كامل المبرد] مغربي، وليس ما يمنع من أن يكون قد استفاد من ابن عبد البر رأساً أي دون وسيط هو النهشلي.

وأنطلق من ذلك لأقول : إن هذا ينقض أن الحد الأقصى لفترة تأليف الكتاب المحقق إنما هو نهاية القرن الرابع الهجري، ثم هو يؤيد ماكنت قد رجحته قبل عشر سنوات من أن مؤلف [هدي كامل المبرد] مغربي امتاح ممتع النهشلي(١) .

وها أنذا أضيف بعد قراءة الكعبي ــ شكر الله له ــ : وامتاح أيضاً كتاب [القصد والأمم في أنساب العرب والعجم] لابن عبد البر.

وكلام الكعبي عليه لا له؛ لأنه أي كلامه يستبعد بل يمنع أن يكون النهشلي هو مؤلف الكتاب المحقق؛ إذ كيف يستفيد النهشلي المتوفي سنة ٤٠٥ في كتاب ألفه قبل سنة ٤٠٠ من ابن عبد البر المتوفي سنة ٤٦٣؟!!

إن المسافة الزمنية بين التأليفين يمكن أن تكون نيفاً وستين سنة، وفي هذه الحالة لاتكون الاستفادة ممكنة إلا بشرطين اثنين هما:

تعمير الرجلين.

وأن يكون ابن عبد البر قد ألف [القصد] وهو صبي على حين ألف النهشلي [الممتع] قرب وفاته.

فإذا لم يتحقق هذا الشرطان معاً، وتحققهما صعب طبعاً بطل أن يكون الكتاب الذي حققه الكعبي هو الممتع بدليل من كلام الكعبي نفسه.

---

(١) النقد الأدبي في المغرب العربي للدكتور عبده قلقيله ص٧١.

بقى أن مختصر الكتاب لم تكن لديه في البدء فكرة اختصار الكتاب كله، وإنما كان ينوي أن يقتطف منه بعض الأخبار وفرائد الأشعار ثم مالبث أن عدل عن خطة الاقتطاف الحر إلى طريقة الاختصار المنظم للكتاب كله.

وأقول : هذا الكلام شعوذة، ولايعكس احترام صاحبه لنفسه ولا لبحثه، إنه لوي لذراع الكتاب ليسير في اتجاه معين ولو كان خطأ.

وإذا بدا الكعبي مجهداً فلأنه يسبح ضد التيار و يقاوم نفسه.

وإلا فليس عاقلاً من يصدق أن إنساناً ما يبدأ عملاً مابطريقة ما، و ينجز قطعة صغيرة لايراها مسدّدةً فيبدأ من جديد ويمضي واثقاً موفقاً، حتى إذا أتم مابدأه أذاعه في الناس لاكاملاً فقط، بل مصدراً بما سبق له أن عدل عنه.

هل نفعل نحن ذلك أم نمزق مالا يعجبنا وكأنه مسودة؟!

رأيي أن الدكتور الكعبي يتخيل بدلاً من أن يتأمل، ربما لأن التخيل أسهل.

(هـ)

تحت عنوان [نقول من أدب النهشلي] في كتاب [النهشلي القيرواني] ص١٢٧ وما بعدها، نطالع أكثر من اجتهاد خاطيء، ومن عجب أن يكون هذا العمل في الأصل رسالة ماجستير يقول صاحبها عنها: «وقع تسجيلها في سنة ١٩٦٦ وكان الفراغ منها على عجل، ولم يقع تناولها وهي تطبع لأول مرة بالزيادة أوالنقص»[١] .

وما قاله حق دون شك، ولا عجب؛ فقد كان الفراغ منها على عجل

(١) مقدمة التحقيق ص ١.

ولم يقع تناولها عندطبعها بزيادة أو نقص.

ومهما يكن من أمر فقد فحص الكعبي كتاب العمدة واستخرج منه نقولاً كثيرة حكاها ابن رشيق عن عبد الكريم.

فعل الكعبي ذلك ليثبت أن الكتاب الذي حققه إنما هو الممتع أو اختياره بعد عرض هذه النقول عليه، فإذا وجدها كلها أو أكثرها فيه كان ذلك دليلاً أو شبه دليل على أنه ونحن معه بصدد أو في حضرة كتاب الممتع، علماً بأنه ليس حتماً أن تكون كل النصوص الواردة في [العمدة] أو في [هدي كامل المبرد] منسوبةً إلى عبد الكريم، من كتاب الممتع؛ فلعبد الكريم كتب أخرى غير الممتع، دلنا على ذلك معاصره ومواطنه ابن رشيق بقوله عنه:

وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتآليفه»، وبقوله عنه مرة أخرى: «وأما قوله عليه الصلاة والسلام.... فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبد الكريم» [١].

* * *

وقبل أن نصحب الكعبي وهو يتتبع النصوص الواردة في كتاب العمدة نقلاً عن عبد الكريم، نقرر أن الكعبي قد تسرع ووضع العربة أمام الحصان بقوله: «فليس من المجازفة إطلاقاً (كذا) إذا كنا على علم مسبق بالنهشلي وبكتابه الممتع أن نحكم بأننا مع النسخة ٥٤ ش بإزاء كتاب الممتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، لكن لاسبيل إلى الاكتفاء بذلك، فلابدَّ من التقاط إشارات، واستنباط أدلة تؤكد ذلك، ومن أهم ما يمكن أن يساعدنا في هذا الصدد فحص كتاب

---

(١) العمدة جـ١ ص١٢٧ وص٢٥٣.

العمدة لابن رشيق القيرواني؛ ففيه ما يزيد عن الأربعين نقلاً حكاها عن عبد الكريم في كتابه»[1] .

هذا كلام الكعبي، وفيه مما يجافي الدقة العلمية تعليقه الحكم بأننا مع النسخة ٥٤ ش بإزاء الممتع في علم الشعر وعمله، على معرفتنا المسبقة بكتاب الممتع، فالممتع مفقود، ووجود فقرات منه في العمدة غير كاف في تصوره، فضلاً عن العلم به، فكيف بعد ذلك لايكون مجازفاً من يؤكد أنه من النسخة ٥٤ ش بإزاء الممتع في علم الشعر وعمله؟!!!! (هكذا)!!! الممتع في علم الشعر وعمله!! الممتع بشحمه ولحمه وعظمه وليس «اختيار الممتع كتاب عبد الكريم» كما قال الشنقيطي الذي تعبد الكعبي بقولته، وأسرف في ذلك إلى حد إلغاء عقله. هذه واحدة.

والأخرى هي زعمه أن النقول التي حكاها ابن رشيق في العمدة عن عبد الكريم تزيد على الأربعين، فهي ـ كما أحصاها وأثبتها وسنذكرها لنناقشها ـ ثلاثة وثلاثون نقلاً، ثم نصان لابن رشيق يشبهان نصين للنهشلي حدس الكعبي أن يكون ابن رشيق استفاد مضمونهما من عبد الكريم فأثبتهما في ص١٦٤ وألحقهما ـ خطأ ـ بالنقول السابقة.

* * *

مهد الكعبي لنقوله بقوله: «وسأورد فيما يلي جميع ما استخرجته من كتاب [العمدة] مما نقله ابن رشيق عن عبد الكريم من الأخبار الأدبية والآراء النقدية، وأشير إلى ماهو موجود منها في النسخة التي بين أيدينا من كتاب الممتع»

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٣.

هكذا بكل جرأة، وبالانعدام التام للمسئولية العلمية، وما سيأتي أدهى وأمرّ وهو قوله «وما قد يكون في الممتع في أصله أي كما كان بيد ابن رشيق»(١) .

ما شاء الله. ما شاء الله.

سيعرض الكعبي ما هو موجود في النسخة التي بين يديه من كتاب الممتع (كذا) على ماقد يكون في الممتع في أصله، وعلى وجه التحديد في نسخة ابن رشيق من كتاب الممتع.

عجبي. عجبي، إن ابن رشيق يادكتور منجي لم ينسخ لنا كتاب الممتع بل إنه لم يذكر اسمه ولو مرة واحدة، وإذا كان قد وصفه بأنه مشهور، فقد كان هذا خبثاً منه وسوء طوية.

لكأنه بهذا الوصف له يبرر لنفسه ولغيره تقاعسه عن تسميته، ضحكاً منه على الذقون، وإلا فإنه يريد أن يكتمه حتى لايذيع ويشيع وينافس كتاب العمدة.

هذا رأيي في ابن رشيق الرومي، وفي موقفه من مواطنه العربي عبد الكريم النهشلي، قلته قبل ذلك بعشر سنوات(٢) .

وليكن رأيك فيه مايكون، نتفق على ذلك أو نختلف. لايهم لكننا لن نختلف في أن النصوص الواردة في كتاب العمدة منسوبةً إلى عبد الكريم لاتعطينا ولا يمكن أن تعطينا الممتع في أصله، وكما كان بيد ابن رشيق على حد قولك.

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٢٨.

(٢) النقد الأدبي في المغرب العربي ص١٠٧ ــ ١٠٩.

وعلى كل فهذه هي النقول التي استنفدتْ جهدك دون جدوى بل إن النتائج المستخلصة منها قد نقضتْ غزلك.

ـ ١ ـ

ورد ذكر عبد الكريم في باب فضل الشعر من كتاب العمدة جـ١ ص٢٤ بمناسبة قصة كعب بن زهير لما نصحه أخوه بجير بقوله له :

إن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لايقتل من جاءه تائباً، وعمل كعب بالنصيحة،، فأنشد النبي قصيدته[بانت سعاد] قالوا: فعفا عنه صلى الله عليه وسلم ووهبه بردته.

يقول ابن رشيق : «وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن إبراهيم الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الإبل».

* * *

يشير الكعبي إلى هذا النقل عن النهشلي و يعلق عليه بقوله : «ولايوجد شيء من هذا النص في نسختنا من الممتع».

وعدم وجود شيء من هذا النص فيما حققه إيجاب بالنسبة لنا وسلب بالنسبة له.

ـ ٢ ـ

استهل ابن رشيق الباب السادس وهوباب شفاعات الشعراء وتحريضهم بقوله: «قال عبد الكريم : عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه

حتى انكشف منكبه، وكان قد قتل أباها فأنشدته أبياتاً منها: «أمحمد ها أنت نجل نجيبة
من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما
منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلةً
وأحقهم إن كان عتق يعتق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لوكنت سمعت شعرها هذا ما قتلته[1] .

* * *

يقول الكعبي مسروراً :

«وهذا الخبر بجذافيره موجود في الممتع » (كذا).

لكنه ــ والحق يقال ــ كان منصفاً في قوله: «وهو وارد في مصادر تاريخية وأدبية عديدة أشرنا إليها في موضع تحقيقه من الكتاب».

وصدق؛ فقد أشار إليها فعلاً، وهي اثنا عشر مصدراً عدا كتاب النهشلي الذي نقل عنه ابن رشيق.

ووجود هذا النص في مصادره تلك يعطي مؤلف [هدي كامل المبرد] أكثر من فرصة في نقله، ويجعل احتمال أخذه من كتاب الممتع

(١) العمدة جـ١ ص٥٦.

بمقدار $\frac{1}{15}$ ذهاباً إلى أن تاليف النهشلي وكتبه إنما هي أقل الجمع وهو ثلاثة فقط [١] .

— ٣ —

في باب [منافع الشعر ومضاره] نقرأ : كان كافور قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله، فلما رأى تعاظمه في شعره، وسموَّه بنفسه خافه، وعوتب فيه فقال: ياقوم. من ادعى النبوة مع محمد، ألا يدعي المملكة مع كافور؟!! حسبكم.

روى هذا ابن رشيق، ثم أردف : وزعم أبو محمد عبد الكريم النهشلي أن أبا الطيب إنما سمي متنبئاً لفطنته[٢] .

يقول الكعبي : «وزعم النهشلي حول لقب المتنبي نجده بنصه في الممتع» و يقول في التحقيق هامش٣ ص٢٨٣: «وهذا الرأي في الحقيقة ــ وكما يصرح به ابن رشيق نفسه ــ لعبد الكريم النهشلي صاحب هذا الكتاب، ولانعرف أحداً غيره قال به»».

وأقول : فليكن أن النهشلي هو الوحيد الذي قال: إن أبا الطيب إنما سُمي المتنبي لفطنته، لكنه ليس صاحب الكتاب المحقق أولاً وليس معنا دليل على أن هذه المقولة له قد وردت في كتاب الممتع دون غيره من بقية كتبه ثانياً.

— ٤ —

«وقد كانت الشعراء ترى أن الأخذ ممن دون الملوك عاراً فضلاً عن العامة وأطراف الناس، قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة

(١) أومأت بهذا الترادف بين [تآليف النهشلي، وكتبه] إلى مافي العمدة عن آثار عبد الكريم وهو نصان جـ١ ص١٢٧، ص٢٥٣.

(٢) العمدة جـ١ ص٥٧.

بذلك ويفتخر عليه بأنه لايقبل إلا صلة الملك الأعظم وحده، هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضاً:

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن
مقسمةً من هؤلا وأولئكا

وما نلت حتى شبت إلا عطيةً
تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره :

وما كان مالي من تراث ورثته
ولا دية كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة
إلى كل مضروب السرادق خضرم»

* * *

هذا بعض ماجاء في باب التكسب بالشعر والأنفة منه من كتاب العمدة جـ١ ص٨٤، وقد علق الكعبي عليه بقوله:

أما بيتا ذي الرمة الأولان فلا نجدهما في نسختنا من الممتع (كذا) ولا أمل في الرجل؛ فهو قد بلع الطعم وبات معتقداً أن ما حققه إنما هو نسخته من الممتع.

وعدم وجود البيتين الأولين في الكتاب المحقق دليل على تعدد مصادر ابن رشيق، ثم هو مضعف موقف الكعبي، ولا يشفع له ما أداه إليه اجتهاده من أن ما حققه إنما هو مختصر الممتع، ومن أن من حق

المختصر ـ بكسر الصاد ـ أن يحذف بيتين من الأصل الذي يختصره[1] .

أجل لايشفع للكعبي ذلك، فشيخه الشنقيطي قد سماه «قطعة من اختيار الممتع» ولعله لم ينس بعد عبارة [نجز اختيار الأول والثاني من كتاب عبد الكريم، وهذا أول اختيار الحزو الثاني] في الورقة١٢٨.

* * *

بقى أن الكعبي ختم هذا النقل بهذه العبارة : «وفي الباب الذي عقده ابن رشيق في التكسب بالشعر فقرات عديدية نجدها في كتاب الممتع غير منسوبة لعبد الكريم، وهي متداولة غالباً في عدد من المصادر القديمة»[2] .

هذه العبارة للكعبي لاتتمشى مع تفكير الكعبي نفسه؛ فهو قد حقق ما اعتقد أنه ممتع النهشلي أو مختصره، فكيف وهذا هو معتقده يطلب من النهشلي أن ينسب إلى نفسه كل ماقاله، وبعضه قد لايكون له، وعلى فرض أنه كله له، فهل واجب على المؤلف أن ينسب كلامه إلى نفسه أولاً بأول أي جملة جملة، وفقرة فقره، وألا يكفي أن يضع اسمه على ما ألفه لتثبت له ملكيته؟!!!

وإذا كانت الفقرات التي استوقفت الكعبي متداولة في المصادر القديمة فإن هذه المصادر القديمة تكون أصولها ومنابعها لا كتاب الممتع، ويكون عبد الكريم أميناً بعدم نسبتها إلى نفسه.

ولولا أننا ملتزمون بمناقشة الكعبي في حدود كلامه لقلنا:

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٢.
(٢) النهشلي القيرواني ص١٣٢.

إن عبد الكريم لم ينسب هذه الفقرات إلى نفسه، لأنه ليس هو من يتكلم بل صاحب [هدي كامل المبرد].

— ٥ —

أتخم ابن رشيق باب القدماء والمحدثين جـ١ ص٩٣ بنقول للأصمعي وابن قتيبة والإمام علي وجعفر بن أحمد النحوي وابن وكيع ثم قال:

ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال: «قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، و يستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لاتخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استُعملت في بلد ألفاظ لاتستعمل كثيراً في غيره، كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، و يبقى غابره على الدهر، و يبعد عن الوحشي المستكره و يرتفع عن المولد المنتحل، و يتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة».

قال صاحب الكتاب (كتاب العمدة والقائل ابن رشيق): وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته هاهنا داخلاً في جملة المميزين إن شاء الله».

ومع أن هذا النص أطول وأثمن نص أورده ابن رشيق لعبد الكريم إلا أنه — و يالحزن الكعبي — غير موجود في نسخته من كتاب الممتع، وعلى حد قوله : «وهذا الفصل الذي يعتز به ابن رشيق سقط من

النسخة التي بين أيدينا من الممتع»[1] .

ولا تعليق لى على كلام الدكتور الكعبي، فالموقف غير محتاج إلى تعليق، كل ماهناك أن نتيجة هذا النقل بالإيجاب لى و بالسلب له.

ـ ٦ ـ

في باب المشاهير من الشعراء جـ١ ص٩٤ نجد ابن رشيق ينقل عن عبد الكريم شرحه لعبارة قالها عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب، وقد سأله عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر».

يقول الدكتور الكعبي بعد أن يورد شرح النهشلي :

«وليس هناك أدنى شيء من هذا النص في نسختنا من الممتع[2] .

ـ ٧ ـ

قال ابن رشيق في باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء : «منهم الزبرقان بن بدر، لمَّا هجاه الحطيئة لم يره مكاناً للجواب، بل استعدى عليه عمر بن الخطاب فأنصفه، وسحيم بن وثيل يقول للأحوص والأبيرد بن المعذر، وهما شاعران مفلقان، وقال عبد الكريم : «الأبيرد ابن أخي الأحوص»:

عذرت البذل إن هي خاطرتنى
فما بالي وبال ابنيْ لبون[3]

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٣٢.
(٢) النهشلي القيرواني ص١٣٣.
(٣) العمدة جـ١ ص١٠٩.

يقول الكعبي : «ولا نجد في نسخة الممتع ما ذكره عبد الكريم من قرابة بين الأبيرد والأحوص».

إلى هنا. لا تعليق لنا، لكنه يمضي قائلاً: غير أن البيت أورده النهشلي ضمن قصيدة طويلة لسحيم بن وثيل في باب احتماء الشعراء بالشعر وذبهم به عن الأعراض، ولم يمهد لها بشيء مما ذكره ابن رشيق، وإنما شرح بعض ألفاظها، ولايعترينا شك في أن مختصِر الممتع أسقط هذه الزيادة من أثناء الشرح، أو من مقدمة القصيدة»[1] .

وواضح أن الكعبي يتشبث بوجود بيت سحيم وسط عشرة أبيات أخرى له يراها قصيدة طويلة في نسخته تلك من كتاب الممتع، وفي باب مغاير للباب الذي أورده ابن رشيق فيه، ثم هو ينحى باللائمة على مختصر الممتع، متوهماً أن ما بالعمدة مأخوذ من المتتع في أصله أي قبل اختصاره، علماً بأنه ليس معنا هنا من عبد الكريم أو عن عبد الكريم سوى جملة معترضة جرى بها قلم ابن رشيق عرضاً لا قصداً ليثبت أن ثمة قرابة بين الأبيرد والأحوص.

* * *

— ٨ —

يمضي ابن رشيق في الباب السابق إلى أن يقول : «ومن الشعراء من يتنزيا بالكبر ويظهر الأنفة في الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه؛ خوفاً من الزراية على نفسه، ومنهم من لايهجو كفئاً ولا غيره؛ لما في الهجو من سوء الأثر وقبح السمعة، كالذي يحكي عن العجاج أنه قيل له: لم لاتهجو؟ فقال: ولم أهجو؟!! إن لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظلم، وأخلاقاً تمنعنا من أن نَظلم.

(١) النهشلي القيرواني ص١٣٤.

وسئل نصيب عن مثل ذلك فقال : إنما الناس أحد ثلاثة : رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه؟! ورجل سألته فأعطاني، فالمدح أولى به من الهجاء، ورجل سألته فحرمني، فأنا بالهجاء أولى منه».

ويعلق ابن رشيق على ذلك بقوله: «وهذا كلام عاقل منصف، لو أخذ به الشعراء أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس، وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب، وهو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، لم يهج أحداً قط، ومن أناشيده في كتابه المشهور لغيره من الشعراء:

ولست بهاج في القرى أهل منزل
على زادهم أبكي وأبكي البواكيا

فإما كرام موسرون أتيتهم
فحسبي من ذو عندهم ماكفانيا

وإما كرام معسرون عذرتهم
وإما لئام فادخرت حيائيا

يقول الكعبي : «ولم يأت ذكر هذه الأبيات في الممتع[1] .

— ٩ —

أورد ابن رشيق في باب الشعر والشعراء قول عبد الكريم :

الشعر أربعة أصناف، فشعر هو خير كله، وذلك ماكان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك، وشعر هو ظرف كله، وذلك كالقول في الأوصاف والنعوت والتشبيه ومايفتن به من المعاني والآداب، وشعر هو شر كله، وذلك

(١) العمدة جـ١ ص١١٢، والنهشلي القيرواني ص١٣٥.

الهجاء وما تسرَّع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يتكسب به، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ماينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، و يأتي إليه من جهة فهمه».

يقول الكعبي : «وهذا القول لاوجود له في نسختنا من الممتع»[1] .

— ١٠ —

قال ابن رشيق في باب حد الشعر و بنيته : وقال عبد الكريم : «يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون: فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر، و يكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، و يكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، و يكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور».

يقول الكعبي : «وهذا النص أيضاً ليس في نسختنا من الممتع»[2] .

— ١١ —

قال ابن رشق في باب اللفظ والمعنى : وقال عبد الكريم — وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتآليفه — :

الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل.

و يذكر ابن رشيق في أعقاب ذلك أن هذا القول ليس لعبد الكريم

(١) العمدة جـ١ ص١١٨، والنهشلي القيرواني ص١٣٥.
(٢) العمدة جـ١ ص١٢١ والنهشلي القيرواني ص١٣٥.

وإنما حكاه ونقله نقلاً عمن روى عنه النحاس، ثم يمضي في النقل عن عبد الكريم فيقول: ومن كلام عبد الكريم : قال بعض الحذاق: المعنى مثال واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال، فيتغير بتغيره، و يثبت بثباته، ومنه ــ من كلام عبد الكريم أي من نقوله في كتابه ــ قول العباس ابن حسن العلوي في صفة بليغ: معانيه قوالب لألفاظه، هكذا حكاه عبد الكريم، وهو الذي تقتضيه شروط كلامه، ثم خالف في موضع آخر فقال: ألفاظه قوالب لمعانيه، وقوافيه معدة لمبانيه، والسجع يشهد بهذه الرواية وهي أعرف».

يقول الكعبي : «ولا وجود كذلك لهذا النص الهام في نسخة الممتع التي بين أيدينا[1] .

ــ ١٢ ــ

في باب الأوزان نقل ابن رشيق عن عبد الكريم هذا النص :

«قال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامة الناقة، ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت».

يقول الكعبي : «وكلام عبد الكريم في هذا ليس منه أدنى شيء في نسختنا من الممتع»[2] .

---

(١) العمدة جـ١ ص١٢٧ والنهشلي القيرواني ص١٣٦.

(٢) العمدة جـ١ ص١٤٣ والنهشلي القيرواني ص١٣٧.

— ١٣ —

قال ابن رشيق في باب القطع والطوال : «ولا تكاد ترى مُقَطِّعاً إلا عاجزاً عن التطويل، والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار، ولكن الغالب والأكثر أن يكون قادراً على ما حاوله من ذلك، وبالعجز رمى الكميت، وكان عبد الكريم بهذه الصفة، لايكاد يصنع مقطوعاً، ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها، ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع، ولو قال بلا ياء قلنا: صدقت ولم نخالفه».

يقول الكعبي : «ولاوجود لهذه الملاحظة في نسخة الممتع»(١) .

— ١٤ —

هذا النقل أتيت به في تسلسله من كتاب العمدة، وقد فات الكعبي فلم يذكره :

في باب عمل الشعر وشحذ القريحة له يقرر ابن رشيق أن «للناس ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر فتشحذ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام، كل امرىء على تركيب عادته». يعني ابن رشيق بذلك الإطار الذي يضع الشاعر نفسه فيه وهو ينتج، قال: وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهدية، وقد مررنا بموضع يعرف بالكدية هو أشرفها أرضاً وهواءً قال: جئت هذا الموضع مرة، فإذا عبد الكريم على سطح برج هناك قد كشف الدنيا فقلت: أبا محمد؟!!! قال:: نعم. قلت ما تصنع هنا؟! قال: ألقح خاطري وأجلو ناظري، قلت: فهل نتج لك شيء؟ قال:

(١) العمدة جـ١ ص١٨٨ والنهشلي القيرواني ص١٣٦.

ماتقربه عيني وعينك إن شاء الله تعالى، وأنشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة، قلت: هذا اختيار منك اخترعته؟ قال: بل برأي الأصمعي»[1] .

أقول هذه المرة على طريقتي أنا :

وهذا النقل غير موجود في [هدي كامل المبرد] الذي حققه منجي الكعبي خطأ تحت اسم اختيار من كتاب الممتع.

ـ ١٥ ـ

نقل ابن رشيق عن كتاب الممتع هذا النقل موثقاً قال :
ومن كتاب عبد الكريم قال : حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، قال: ومنهم من يعيب ذلك المعنى و يعده اسهاباً، وآخر يعده نفاقاً، قال: ومرَّ غيلان ابن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة، فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر!!! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمير، يتعلم فيه العوم صبيانهم و يكون لسقياهم ومسيل مياههم و يأتي بميرتهم، قال: ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر، وكان قد عادى ابن عامر، فقال له: ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر!!!

فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير؛ تندي منه دورهم و يغرق فيه صبيانهم، ومن أجله يكثر بعوضهم.

فكره الناس من البيان مثل هذا. انقضى كلام عبد الكريم.

---

(١) العمدة جـ١ ص٢٠٦.

يقول الكعبي جذلان : «هذا النص موجود بألفاظه في نسختنا من الممتع إلا أن العبارة الأخيرة فيه كالتالي : فكره بعض الناس من البيان مثل هذا المذهب»[1] .

ـ ١٦ ـ

قال ابن رشيق في باب الإيجاز : «وأنشدني عبد الكريم في اعتدال الوزن :

إنما الزلفاء همي ... فليلمني من يلوم

أحسن الناس جميعاً ... حين تمشي وتقوم

أصل الحبل لترضى ... وهي للحبل صروم

ثم قال (عبد الكريم) : عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن.

يقول ابن رشيق : وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد اكريم.

و يقول الكعبي : «وليس شيء من هذا في النسخة المخطوطة من الممتع»[2] .

---

(١) العمدة جـ١ ص٢٤٧ والنهشلي القيرواني ص١٣٧.

(٢) العمدة جـ١ ص٢٥١ والنهشلي القيرواني ص١٣٨.

— ١٧ —

يمضي ابن رشيق في باب الإيجاز فيذكر أن منه نوعاً يسمى [الاكتفاء] مثل: واسأل القرية، ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم للمهاجرين وقد شكروا عنده الأنصار : أليس قد عرفتم ذلك لهم؟!! قالوا: بلى، قال: فإن ذلك. يريد: فإن ذلك مكافأة لهم.

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : كفى بالسيف شا. يريد شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبد الكريم.

يقول الكعبي : «ولم يرد قول الرسول في النسخة، ولا نرى فيها شيئاً من هذا الباب»(١)

— ١٨ —

قال ابن رشيق في باب التمثيل : «ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ماستقلت وسهيل إذا استقل يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت نهايةً في الحسن والكمال، وسهيل بن عبد الرحمٰن بن عوف، وكان غاية في القبح والدمامة، فمثل بينهما وبين سمييهما، ولم يرد إلا بُعد ما بينهما وتفاوته خاصة، لا أن سهيلاً اليماني قبيح ولا دميم، ولا أدري هل هذا الرأي موافق لرأي عبد الكريم أم لا، وحسبك أن الشاعر لم ينكر إلا التقاءهما».

---

(١) العمدة جـ١ ص٢٥٣ والنهشلي القيرواني ص١٣٨.

يقول الكعبي : «وليس شيء من هذا في النسخة المذكورة من الممتع»[1] .

- ١٩ -

قال ابن رشيق في باب الإشارة :

«ومن أجود ما وقع في هذا الباب قول النابغة يصف طول الليل :

تقاعس حتى قيل : ليس بمنقض
وليس الذي يرعى النجوم بآيب

[الذي يرعى النجوم] يريد به الصبح، أقامه مقام الراعى الذي يغدو فيذهب بالإبل والماشية، فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة.

وأما من قال: إن الذي يرعى النجوم إنما هو الشاعر الذي شكا السهر وطول الليل، فليس على شيء.

وذكر قوم أن الآيب لايكون إلا بالليل خاصة ذكره عبد الكريم.

يقول الكعبي : «وليس هذا مذكوراً في نسختنا من الممتع»[2] .

- ٢٠ -

قال ابن رشيق : باب التصدير وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة.

---

(١) العمدة جـ١ ص١٧٩ والنهشلي القيرواني ص١٣٩.
(٢) العمدة جـ١ ص٣٠٥ والنهشلي القيرواني ص١٣٩.

ومن أناشيدهم في التصدير قول طفيل الغنوي :

محــارمــك امــنــعــهــا مــن الــقــوم إنني
أرى جــفــنــةًقــد ضــاع فيهــا المحــارم

وقول جرير وهم يستحسنونه جداً :

ســقــى الــرمــل جــون مــستهــل ربــابــه
ومــا ذاك إلاَّ حــب مــن حــلَّ بــالــرمــل

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة، وأنشد للفرزدق :

أصــدر هــمــومــك لايــغــلــبــك واردهــا
فــكــل واردة يــومــاً لهــا صــدر

وأنشد في التصدير المتقدم بيت طفيل المتقدم وبيت جرير، وخصَّ بيت الفرزدق بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال للأضداد إذا وقعت في الشعر، وقد رأيته في بعض النسخ مع أبيات المطابقة».

يقول الكعبي : «وليس شيء من هذا في النسخة الناقصة التي وصلتنا (كذا) من الممتع»[1] .

ـ ٢١ ـ

هذا النقل كالنقل رقم ١٤ في أني أتيت به في تسلسله من كتاب العمدة، وإن كان قد فات الكعبي فلم يذكره.

---

(١) العمدة جـ٢ ص٤ والنهشلي القيرواني ص١٤٠ و«وصلتنا» خطأ صوابه: وصلت إلينا أو وصلت لنا.

في باب المقابلة نقرأ : ومما عابه الجرجاني على عبد الله بن المعتز :

بـيـــاض فـــي جـــوانـبـــه احمـــرار
كما احمـــرت مـــن الخـــجـــل الخــدود

قال ابن رشيق ذلك ثم استطرد قائلاً : لأن الخدود متوسطة وليست جوانب، فهذا من سوء المقابلة، وإن عده الجرجاني غلطاً في النسيب.

ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تشبيهاً وتمثيلاً قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى مـــلـــك بين المـــلـــوك وبـيـــنـــه
مـــســافـــة مــابين الـكــواكــب والــترب

لأنـه لما أتى بالملوك أولاً، وبضمير الممدوح وهو الهاء التي في (بينه) بعد ذلك، ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك، وبالترب وهو واحد يقابل الضمير باتحاده، أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب، وتكون الملوك هم الكواكب، ولم يرد إلا أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذي إليه انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر»[1] .

انتهى كلام ابن رشيق، وهذه ـ مرة ثانية ـ فرصتي لأقول على طريقتي : وليس في [هدي كامل المبرد] شيء مما جاء هنا، بل إنه قد خلا من باب المقابلة جملة.

ـ ٢٢ ـ

وهذا النقل كسابقه في أن الكعبي لم يذكره.

---

(١) العمدة جـ٢ ص١٩.

قال ابن رشيق في باب التقسيم «ومن أنواع التقسيم التقطيع.
أنشد الجرجاني للنابغة الذبياني :

ولله عينا من رأى أهل قبة
أضر لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا
وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً

وسماه قوم منهم عبد الكريم : التفصيل، وأنشد في ذلك:

بيض مفارقنا تغلي مراجلنا
نأسو بأموالنا آثار أيدينا

وقال البحتري :

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزيناً
أو معيناً أو عاذراً أو عذولا

ففصل وقطع كما تراه»[1] .

ولا يوجد هذا النص في [هدي كامل المبرد] بل إنه لايوجد به باب التقسيم.

— ٢٣ —

قال ابن رشيق في باب المبالغة : «هي ضروب كثيرة، والناس فيها مختلفون:

(١) العمدة جـ٢ ص٢٦.

منهم من يؤثرها و يقول بتفضيلها و يراها الغاية القصوى في الجودة، وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان، وهو القائل:

أشعر الناس من استجيد كذبه، وضحك من رديئه، هكذا أعرفه، ورأيت بخط جماعة منهم عبد الكريم والباغاني: من استجيد جيده ومطابقه، وضحك من رديئه».

يقول الكعبي : «وهذا القول للنابغة غير موجود في نسختنا من الممتع»(١) .

ـ ٢٤ ـ

قال ابن رشيق في باب التكرار : «ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب كقول امرىء القيس، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكره عبد الكريم وغيره ولا سلم سلامته في هذا الباب:

ديار لسلمى عافيات بذي الخال
ألح عليها كل أسحمَ هَطَّال

وتحسب سلمى لاتزال كعهدنا
بوادي الخزامى أو على رأس أوعال

وتحسِب سلمى لاتزال ترى طَلاً
من الوحش أو بيْضاً بمَيْثَاء محلال

ليالىَ سلمى إذ تُريك مُنضَّداً
وجيدا كجيد الرِّيم ليس بِمعْطال

(١) العمدة جـ ٢ ص٥٣ والنهشلي القيرواني ص١٤٠.

يقول الكعبي : «وليس من هذا النص شيء في نسختنا من المتع»[1] .

ـ ٢٥ ـ

في باب الاتساع يذكر ابن رشيق بيت امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وبعد أن يشرحه يقول : «وذهب قوم منهم عبد الكريم إلى أن معنى قوله [كجلمود صخر حطه السيل من عل]إنما هو الصلابة، لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب».

يقول الكعبي : «ونجد هذا في نسخة الممتع التي بين أيدنا»[2] .

ـ ٢٦ ـ

ذكر ابن رشيق أبياتاً من مختار النسيب للمرار العدوي، واكتفى في التعليق عليها بقول عبد الكريم: «هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف، وهي أشبه بنساء الملوك».

يقول الكعبي بعد أن أورد الشعر كله وتعليق النهشلي عليه : «وليس هذا في نسختنا من الممتع»[3] .

(١) العمدة جـ٢ ص٧٤ والنهشلي القيرواني ص١٤١.
(٢) العمدة جـ٢ ص٩٣ والنهشلي القيرواني ص١٤١.
(٣)، العمدة جـ٢ ص١١٨ والنهشلي القيرواني ص١٤٣.

— ٢٧ —

يقول ابن رشيق في باب النسيب : «قال بعضهم — أظنه عبد الكريم — العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطِبة، وهذا دليل كرم النحيزة في العرب وغيرتها على الحرم».

فيقول الكعبي متعللاً، ومستغلاً ظن ابن رشيق :

وربما يكون قد سقط هذا القول لعبد الكريم من نسختنا من الممتع، وقد يكون لم يقله، وإنما ابن رشيق ظن ظناً»[١] .

— ٢٨ —

قال ابن رشيق في باب المديح : حكى عن عمارة أن جده جريراً قال:

يابَنيَّ. إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة، فإنه ينسى أولها ويُحفظ آخرها، وإذا هجوتم خالفوا.

قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن علّفة المرادي أي الذي يرى تطويل المديح وتقصير الهجاء.

يقول الكعبي : «ولا ذكر لهذا في نسختنا»[٢] .

— ٢٩ —

قال ابن رشيق في باب ذكر الوقائع والأيام: «يوم فيف الريح،

(١) العمدة جـ٢ ص١٢٤ والنهشلي القيرواني ص١٤٣.

(٢) العمدة جـ٢ ص١٢٨ والنهشلي القيرواني ص١٤٣.

ورأيته بخط البصري [فيفا] مقصوراً في مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيف الريح هو يوم طلح».

يقول الكعبي: «وهذا موجود في الممتع»[١].

— ٣٠ —

قال ابن رشيق في باب أغاليط الشعراء والرواة: «وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس
قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

قال: فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا، وإنما قيل للرماح [ذوابل] للينها وتثنيها، فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكمل أوصافها اللين والتثني والانعطاف».

يقول الكعبي: «وليس هذا الذي أُخذ على أبي تمام في نسخة الممتع»[٢].

— ٣١ —

في باب السرقات وما شاكلها يقول ابن رشيق: «قال عبد الكريم: قالوا: السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه، على أن من الناس من بعد ذهنه إلاّ عن مثل بيتي امرىء القيس وطرفة حيث لم يختلفا إلا في القافية، فقال أحدهما (وتجمل) وقال الآخر (وتجلد)، ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى.

(١) العمدة جـ٢ ص٢١٤ والنهشلي القيرواني ص١٤٤.

(٢) العمدة جـ٢ ص٢٤٧ والنهشلي القيرواني ص١٤٤.

ومنهم من يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل.

والسرق أيضاً إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة والتي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال: إنه أخذه من غيره. قال عبد الكريم: واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سُبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات».

* * *

يقول الكعبي : «ولا وجود لهذا النص الهام في نسختنا من الممتع» (١) .

- ٣٢ -

قال ابن رشيق في باب الوصف : «ومن الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف الفيل:

أجرد الخصر طويل النابين
مشرب اللحى صغير الفقمين

عليه أذنان كفضل الثوبين

وقال آخر يصفه، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيل
إن الذي يحمله محمول

(١) العمدة جـ٢ ص٢٨١ والنهشلي القيرواني ص١٤٥.

على تهــــاويــــل لهـــا تهـــويــــل
كـــالـــطـــود إلا أنـــه يجـــول

هكذا أنشده، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها، وقال عبد الكريم فجمع ما فرقاه وزاد عليهما :

وأضـخـم هـنـدي الـنـجـار تـعـده
مـلـوك بني سـاسـان إن رابهـا أمـر

إلى آخر ماقاله النهشلي، وذكره له ابن رشيق.

يقول الكعبي: «وليس في النسخة الموجودة من الممتع شيء من وصف الفيل»[1] .

ـ ٣٣ ـ

قال ابن رشيق في باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه:

ومن المعرقين في الشعر ــ عند عبد الكريم ــ نهشل بن جرى بن صخرة بن جابر بن قطن. ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا.

[هم خمسة كما نرى فيحتمل أن يكون اسم السادس قد سقط سهواً، ويحتمل ألا يكونوا في الحقيقة سوى خمسة، وإنماسها فقال :«ستة»] يقول الكعبي : «ولم نجد في نسختنا شيئاً من ذكر المعرقين»[2] .

(١) العمدة جـ٢ ص٢٩٧ والنهشلي القيرواني ص١٤٥.
(٢) العمدة جـ٢ ص٣٠٦ والنهشلي القيرواني ص١٤٦.

- ٣٤ -

يمضي ابن رشيق في الباب السابق فيقول :

«والفرق بين المعرق وذي البيت: أن المعرق من يتكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعداً، ولايكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه، وعلى هذا فسر قول أبي الطيب:

العارض الهتن ابن العارض الهتن
ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

قالوا: إنما أراد أنه معرق، وزاد واحداً على الشرط المتعارف.

* * *

وذو البيت مَنْ عَمَّ الأمرُ جميع أهل بيته أو أكثرهم.

فهذا فرق مابينهما، وأما الشاعر بن الشاعر فقط فيقال له [الثنيان] حكاه عبد الكريم عن غيره».

يقول الكعبي : «وليس في نسختنا من الممتع هذا اللفظ»[1] .

- ٣٥ -

قال ابن رشيق في باب الإنشاد وما ناسبه: «وإذا كان ماقبل حرف الروى ساكنا، وكانت لغة منشده الوقوف على المضموم والمكسور، تُنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سنيس قول ذي الرمة:

ولا زال منهلاً بجرعائك القطُرْ

---

(١) العمدة جـ٢ ص٣٠٨ والنهشلي القيرواني ص١٤٦.

بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف، حكى ذلك عبد الكريم، وعلى هذا قول الآخر:

أنا ابن ماوية إذا جد النَّفُرْ

يقول الكعبي : «وليس هذا بالنسخة المذكورة»(١) .

ـ ٣٦ ـ

يقول ابن رشيق مستطرداً : ومما يدخل في شفاعة هذا الباب [باب الإنشاد وما ناسبه] الغناء والحداء والتعبير، ويقال إن أول من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار، فإنه سقط فانكسرت يده فحملوه وَهو يقول: وايداه وايداه، وكان أحسن خلق الله جرماً وصوتاً، فأصغت الإبل إليه وجدَّتْ في السير، فجعلت العرب مثالاً لقوله: هايدا. يحدون بها الإبل، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه.

يقول الكعبي : «وقد سقط هذا النص من الممتع في النسخة التي بين أيدينا»(٢) .

* * *

تلك هي النصوص الواردة في كتاب العمدة منسوبة إلى عبد الكريم، استخرج الكعبي منها ثلاثة وثلاثين نصاً، واستدركت عليه بثلاثة نصوص فعدتها كلها ستة وثلاثون نصاً، يقول الكعبي: إن ستة نصوص فقط هي [٢، ٣، ٤، ٧، ١٤، ٢٦] موجودة لدينا في النسخة المتبقية من كتاب الممتع.

---

(١) العمدة جـ٢ ص٣١٣ والنهشلي القيرواني ص١٤٦.

(٢) العمدة جـ٢ ص٣١٤ والنهشلي ص١٤٦.

والكعبي غير دقيق فيما ذكره، دليل ذلك أن النص رقم(٢) له مصادر كثيرة عدَّ هو منها اثنى عشر مصدراً غير كتب عبد الكريم، فلماذا يتشبث بأن ابن رشيق قد أخذه من الممتع بعينه؟!

أليس هو القائل : «إن معظم النصوص الأخرى هي من قبيل الأخبار الأدبية والأقوال العامة التي نجدها متداولة في كثير من المصادر الأدبية، ولأمر ما كان ابن رشيق يحرص على استقائها من كتاب عبد الكريم، مع أنه كانت بين يديه المصادر نفسها التي استقى منها النهشلي تلك الأخبار»(١) .

ونحن بدورنا نسأل : لماذا يكون مافي [هدي كامل المبرد] مما جاء في الممتع مأخوذاً من الممتع بعينه، وليس مأخوذاً من المصادر التي استقى منها صاحب الممتع، ونكمل بقول الكعبي: مع أنه كانت بين يديه المصادر نفسها التي استقى منها النهشلي تلك الأخبار؟!!

وقد رأينا أن نصف النص الرابع غير موجود في نسخة الكعبي من الممتع، والنصُّ كاملاً موجود في العقد الفريد، وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يكون ماجاء منه في الكتاب المحقق مأخوذاً من كتاب الممتع، ولايكون مأخوذاً من العقد الفريد، وعلى وجه التحديد من فصل [الأخذ عن الأمراء] جـ١ ص٢٧٤ وما بعدها، خصوصاً وأن حياة ابن عبد ربه المولود سنة ٢٤٦ والمتوفي سنة ٣٢٨ تسمح بذلك فهي ــ كما نرى ــ تأتي قبل سنة ٤٠٠هـ وهي السنة التي جعلها الكعبي نهاية للفترة التي ألف فيها النهشلي كتاب الممتع.

** *

(١) النهشلي القيرواني ص١٤٧.

وإذا كان الكعبي صادقاً في النص الرابع بمقدار النصف، فإنه للأسف الشديد غير صادق في النص السابع كله، وهو نفسه قد عقب عليه بقوله: «ولا نجد في نسخة الممتع ماذكره عبد الكريم من قرابة بين الأبيرد والأحوص»(١) .

ومجيء بيت سحيم في الكتاب المحقق ضمن قصيدة طويلة ــ كما قال الكعبي ــ هذا المجيء مردود عليه بأنه كان في موضوع مختلف، وفي باب مغاير للباب الذي أورده ابن رشيق فيه، وهو ــ لهذا ــ لايعطي الكعبي الحق في عد هذا النص ضمن النصوص التي جاءت في كل من العمدة وما سماه الممتع.

* * *

لايسلم للكعبي ــ بناء على ماسبق وطبقاً لما سبق ــ إلا ثلاثة نصوص ونصف نص من ستة وثلاثين نصاً، ويمكن القول لهذا بأنه صادق فيما ادعاه بنسبة ١٢/١ تقريباً، وهي نسبة تُضعف بل تنسف الفرض الذي حاول البرهنة على صحته برد كل ما جاء في العمدة عن النهشلي إلى ماسماه نسخته من كتاب الممتع، لكنه أخفق في فرضه، وكان من الواجب عليه أن يرجع عنه لكنه تمسك به، ومضى يملنا بمثل قوله:

«ولايوجد شيء من هذا النص في نسختنا من الممتع».

* * *

ويضعف موقف الكعبي أكثر إذا لاحظنا خفة وزن النصوص التي

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٣٤.

وجدها في نسخته من الممتع، فنها ــ مثلاً ــ نص هو سطر واحد فقط، نستخلصه من قول ابن رشيق :

وذهب قوم ــ منهم عبد الكريم ــ إلى أن معنى قوله [كجلمود صخر حطه السيل من عل] إنما هو الصلابة؛ لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب»[1] .

ونصٌّ عبارةٌ عن جملة واحدة هي: [يوم فيف الريح هو يوم طلح][2] .

* * *

وفي التعليق على النصوص السابقة يأتي الكعبي بمحمول ليس له موضوع حين يقول: «تعكس هذه النصوص المختلفة التي تنسحب على كثير من القضايا الأدبية والنقدية وفرة الموضوعات التي تناولها النهشلي في كتاب الممتع»[3] .

ونقول للكعبي : على رسلك يارجل فهذه النصوص قد وردت في العمدة لافي الممتع، ولم يردّ ابن رشيق منها إلى كتاب الممتع إلا أربعةً فقط وثقها بأنها:

«في كتابه المشهور»	[العمدة جـ١ ص١١٢]
و«من كتاب عبد الكريم»	[العمدة جـ١ ص٢٤٧]
و«في كتاب عبد الكريم	[العمدة جـ٢ ص٢٤٧]
و«في كتابه»	[العمدة جـ٢ ص٣١٤]

(١) النهشلي القيرواني ص١٤١.
(٢) العمدة جـ٢ ص٢١٤، والنهشلي القيرواني ص١٤٤.
(٣) النهشلي القيرواني ص١٤٨.

هـذا إذا رجحـنا أن [كتاب عبد الكريم] في الإحالات الأربع هو الـمـتـع، وفيا عدا هذه النصوص الموثقة، لانجزم ولايستطيع أحد أن يجزم بـأن مـانـسـب إلى عـبـد الـكـريم قد قاله في الممتع، فقد يكون قاله فيه، وقـديـكـون قـالـه فـي غـيره من بقية تآليفه وكتبه، بل قد يكون قاله في مجالسه.

و يـبـقـى الإحباط الذي أُصيب به الكعبي حين لم يجد من النصوص النهـشـلـية في الكتاب المحقق إلا ثلاثة نصوص ونصف نص فقط، يبقى هـذا الإحـبـاط مـانـعـاً مـن الـتسليم له بما افترضه، بل بما اعتقده من أن ماحققه إنما هو اختيار من كتاب الممتع.

ولـكي يذلل هذه العقبة لجأ إلى التخيل المضحك، يقول مكملاً تعليقه على الـنـصـوص التي وجـدهـا فـي الـعمدة ولم يجدها في نسخته تلك من الـمـتـع «وأغـلبهـا إما أن يكون قد اختصر من القسم أو القسمين اللذين اخـتـصر الناس من كتابه، وإما أنها ضاعت مع الأجزاء الأخرى المفقودة من كتابه»(١) .

وقـد كـان تخيـلـه مـضـحـكـاً، لأنـه فـي شـقه الأول يذكرنا بإجابة الظر يف الذي سئل عن سر سلامته من البلل على الرغم من مجيئه تحت المطر فقال: «كنت أتفادى قطرات المطر وأمشي بينها لا تحتها».

فـيـظـهـر ــ والله أعـلـم ــ أن مختصر الممتع كان من الظراف أو قد تـظرف، ونجح في أن يتفادى وهو يختصر الممتع أي نص يدل على طبيعة الممتع ونكهته من علم الشعر وعمله أو من صنعته.

* * *

(١) النهشلي القيرواني ص١٤٨.

وعن استناد الكعبي في الشق الثاني من تخيله على ضياع معظم النصوص المنسوبة للنهشلي في العمدة مع الأجزاء المفقودة من كتاب الممتع، فلاشيء عندنا نقوله له، كل مانستطيعه هو أن ننبهه في رقة بالغة إلى أنه يحيل في هذا على مالم يثبت له هو نفسه.

وقد صار الضياع مشجباً يعلق عليه بعض الناس ـ كما هنا ـ ضعف حجتهم وقلة حيلتهم.

* * *

وبعد. فأنا أرى تناقضاً بيِّناً بين التعليقين ٢، ٣ من جهة والتعليق(٤) من جهة، والتعليقات الثلاثة هي:

(٢) «إن هناك ستة نصوص فقط (٣، ٥، ٩، ١٣، ٢٦) ـ كذا وهي خمسة كما نرى ـ يمكن أن نعدها من أقوال النهشلي الخاصة التي تعبر عن وجهة نظره في بعض القضايا الأدبية والنقدية.

(٣) إن معظم النصوص الأخرى هي من قبيل الأخبار الأدبية، والأقوال العامة التي نجدها متداولة في كثير من المصادر الأدبية».

(٤) تعكس هذه النصوص المختلفة التي تنسحب على كثير من القضايا الأدبية والنقدية وفرة الموضوعات التي تناولها النهشلي في كتابه الممتع»[1] .

انتهى كلام الكعبي، والفقرتان (٣،٢) تذهبان إلى أن نصوص النهشلي ـ إلا خمسة ـ ماهي إلا أخبار أدبية وأقوال عامة نجدها متداولة في المصادر الأدبية، وهي بهذا أو لهذا تبعد عن روح الممتع الذي هو في علم الشعر وعمله أو في صنعته.

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٤٧ ـ ١٤٨.

وعلى الضد من ذلك ما تقوله الفقرة الرابعة؛ إذ هي نص على أن نصوص النهشلي تنسحب على كثير من القضايا الأدبية والنقدية وتعكس وفرة الموضوعات التي تناولها النهشلي في كتابه الممتع.

فبأي القولين نقول، وأيهما نصدق؟؟!!

* * *

ولم ينفض السامر بعد، فلا زال الكعبي يعلق على النصوص السابقة قال – وهو التعليق رقم ٥ – «يمكن على ضوء هذه النصوص المنقولة عن الممتع، وعلى ضوء تلك القطعة المتخلفة لنا من الكتاب **أن نعتبر كتاب العمدة مثالاً مختصراً من كتاب الممتع مع إضافات** مهمة تتصل بما جدَّ من التآليف النقدية والبلاغية بعد النهشلي، وتتعلق بتلك الخواطر النقدية القيمة التي ساقها لنفسه ابن رشيق ولغيره في كتابه»[1] .

هذا كلام الكعبي، وهو مرفوض؛ لأنه لايعقل، وهل يعقل أحد أن هذه النقول – ومعظمها من قبيل الأخبار الأدبية، والأقوال العامة – وهذا الكتاب المحقق – وهو حكايات وأخبار وأمشاج من الأقوال والأشعار –[2] .

هما أصل كتاب العمدة الذي ألفه صاحبه ليكون – كما قال بحق – «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»، والذي قال ابن خلدون فيه ما قال؟!!؟!!!

إن الإنسان ليصدم وهو يقرأ أن هذه التركيبة من نقول النهشلي ومن

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٤٨.

(٢) النهشلي القيرواني ص١٤٩.

الكتاب الذي حققه الكعبي هما محور العمدة ونواته الأولى ولم يزد ابن رشيق على أن أضاف إليهما بعض ماقرأه في الكتب النقدية والبلاغية بعد النهشلي وعلى وجه التحديد في الفترة من سنة ٤٠٥ تاريخ وفاة النهشلي إلى ٤٢٥ تاريخ الانتهاء من تأليف العمدة.

ولننبه إلى أن تلك التآليف النقدية والبلاغية، إنما هي الخواطر النقدية القيمة لغير ابن رشيق، وعبارة الكعبي لذلك ممطوطة ومضطربة.

أما بعد. فقد مضى عليَّ في مجال تخصصي ثلث قرن قرأت فيه معظم كتب النقد والبلاغة، وعلى كثرة ماقرأت لم أجد أعرض من هذه الدعوى، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ماعند الكعبي من تسرع ومجازفة.

(و)

لايحس الدكتور الكعبي بالاطمئنان على قضيته وهو في النزع الأخير من مرافعته فيها ودفاعه عنها، هاهو ذا في عشر الصفحات الأخيرة من كتابه يئن تحت وطأة انهزامه وانثلامه، وتصادفه قشة فيتعلق بها، و يبني آمالاً كباراً عليها، لكنه لايجد عندها أكثر مما وجده الغريق الذي ضرب المثل به وبها قال:

«وفيما عدا هذه الوسيلة الجيدة التي تحقق لنا صحة نسبة النسخة ٥٤ش إلى الممتع، ونعني بها تحري وجود النصوص التي نقلها ابن رشيق عن عبد الكريم أو شيء منها فيها، ولاشك أن إثبات صحة نسبة هذه النسخة للممتع هو في الوقت نفسه إثبات لكون مؤلفها هو عبد الكريم النهشلي القيرواني».

هذه الأسطر أحسن تلخيص للمشروع الذي فشل، وأبلغ نعى للفرض الذي بطل، يتحاشى الكعبي التصريح بذلك، لكنه واقع أمره ولسان

حاله، أجل. فلولا إخفاقه فيا ذكره لما تعلق بالقشة وهو يسترسل قائلاً: «وفيا عدا ذلك نستطيع أن نؤكد الأمرين معاً [الأمران هما نسبة الكتاب المحقق إلى الممتع ابتداءً وإلى النهشلي انتهاءً] **بدليل قاطع لايترك مجالاً للشك أبداً**، ونقصد به ذلك البيت الوارد ضمن أبيات في المدح أنشدها عبد الكريم لنفسه بمناسبة ذكره للهيبة وهو:

إذا ورد المنصور أرضا تهللت
وجوه رباها واستهل ربابها

فهذا الممدوح ليس غير المنصور بن يوسف بن زيري الصنهاجي ثاني ملوك الصنهاجيين بالقيروان[1] .

هذا كلام الكعبي، وهو مثار دهشتي و حيرتي، لقد قرأت بيت النهشلي أكثر من مرة، وسبرت غوره؛ رجاء أن أقف على سره الباتع القاطع الذي لايترك مجالاً للشك أبداً، وبرغم ذلك كله لم أهتد إلى وجه استدلال الكعبي به على دعواه المزدوجة، والأمر من قبل ومن بعد يسير سهل، وقد جاء هكذا:

زحم صاحب [هدي كامل المبرد] [باب في ذكر الهيبة] بأشعار للبحتري وذي الرمة ومهلهل بن ربيعة وكثير والفرزدق والأخطل وأشجع السلمي، واستغرق ذلك جزءاً من الورقه **٦٢** ب والورقتين ٦٣، ٦٤ أ، ب.

والسطر الأخير في الورقه ٦٤ هو «قال عبد الكريم: ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة، وأورد الأبيات التى منها **البيت الذي أكد الكعبي أنه الدليل القاطع الذي لايقبل الشك أبدا.**

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٥.

والحقيقة أنه لاوجه للاستدلال بهذا البيت على شيء مما أراده الكعبي له، فمؤلف الكتاب قد أورد في هذا الباب بضمير الغائب أشعار البحتري وذي الرمة ومهلهل و كثير والفرزدق والأخطل وأشجع، ولما كانت تحضره أبيات النهشلي في ذكر الهيبة، ذكرها كغيرها مما سبقها، وبالطريقة نفسها التي أثبت بها غيرها، فكما قال: قال البحتري وقال ذوالرمه وقال مهلهل وقال كثير وقال الفرزدق وقال الأخطل... قال: قال عبد الكريم: ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة.

هكذا بضمير الغائب في قال عبد الكريم على لسان المؤلف، ثم بضمير المتكلم على لسان عبد الكريم في (لى) وفي (ذكرتُ) حكايةً من المؤلف عن عبد الكريم.

أريد أن أقول: إن عبارة: « قال عبد الكريم: ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة» صادرة عن اثنين هما:

المؤلف صاحب (قال عبد الكريم).

وعبد الكريم صاحب (ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة)، ولو جاز للكعبي أو لغيره أن يفهم أن عبد الكريم هو الذي تكلم عن نفسه بضمير الغائب قائلاً (قال عبد الكريم) أي أنه صاحب العبارة كاملةً، لجاز بالدرجة نفسها أن نفهم الشيء نفسه من (قال) المسندة إلى البحتري، ومن (قال) المسندة إلى ذي الرمة ومن (قال) المسندة إلى مهلهل، ومن (القالات) المسندات إلى كثير والفرزدق والأخطل وأشجع، أجل فليس أحد أحق بذلك من أحد، ولمَ نُعطّل هذا الفهم، بل نحكم ببطلانه معهم كلهم في الوقت الذي نتمحله ونزعمه لعبد الكريم؟!!!

وليت الأمر وقف عند الزعم والتمحل، ولكنه تجاوز ذلك إلى الاعتقاد الصارم الجازم بأن قائل (قال عبد الكريم) إنما هو عبد الكريم

نفسه، وبناءً عليه هو مؤلف الكتاب المحقق، ولو كان عبد الكريم هو كاتب (قال عبد الكريم) لما كانت به حاجة إلى كتابتها أصلا، ولعطف على ما سبق بقوله (ولى أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة) أولقال: [قلتُ] بضمير المتكلم، بدلاً من (قال عبد الكريم) بضمير الغائب.

أما أن يبدأ بالكلام عن نفسه بضمير الغائب، وهو الكاتب، ثم لايلبث أن يتحول من الغائب إلى التكلم، فهذا مستبعد؛ إذ ليس فيه تناسق ولا تناسب.

ولا يقولن أحد : إن هذا من الالتفات، والالتفات شجاعة العربية، لايقولن أحد ذلك، فإن الالتفات مظهر بلاغي، ومجاله لذلك الأدب الإبداعي.

أما في التأليف والأدب الوصفي، فإنه غير مرغوب فيه؛ لأنه يربك السياق، ويبهم الغرض، بل يفسد المعنى.

* * *

وبعد أن فهمنا عبارة [قال عبد الكريم : ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة] على وجهها الصحيح، لم يبق داع إلى أن نقف مع الكعبي عند قوله: «وتلك القصيدة التي أنشدها النهشلي لنفسه في كتابه الممتع ص٦٥أ يمكن أن نتخذها إلى حد ما دليلاً على شخصيته؛ ففخامتها اللغوية وأسلوبها الرصين المحكم شبيه جداً بالمختارات الشعرية التي وجدناها له في عدة مصادر متفرقة»[١] .

والسبب في أنه لم يبق داع للوقوف مع الكعبي عند هذا الكلام له

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٦.

أن القصيدة المشار إليها هي بكل تأكيد للنهشلي، لا يماري أحد في ذلك، بل لم يخامر أحداً الشك في ذلك، وهي مطروحة للناس يتخذونها دليلاً على شخصيته حسبما يريدون، وبكل ما يستطيعون، وليس إلى حدما كما قال الكعبي، ولم تكن به ولا بنا حاجة إلى أن يثير هذه الزوبعة.

(ز)

يتكلم الدكتور الكعبي عن نسخته تلك من كتاب الممتع فيتردد بين كلمات [اختصر] [انتخب] [اختار]، فهو يسميه مرة [مختصراً] ومرة [منتخباً] ومرة [مختاراً أو [اختياراً] وذلك على الرغم من علمه بأن هذه الكلمات غير مترادفة فيما بينها.

فكلمة [اختصار] غير كلمتي [اختيار] و[انتخاب].

وإذا ساوينا في الدلالة بين [منتخب] و[مختار]، فإن [مختصراً] أو[اختصاراً] تعني معنًى مختلفاً.

[الاختصار] كما تدل عليه الكلمة بأصل وضعها، وطبقاً لما فهمه الدكتور الكعبي منها هو نقل الأصل بإيجاز شديد أو خفيف مع المحافظة على مضمونه الكلي، وعملية الاختصار تعني حذف التفاصيل وتحوير الأصل تحويراً ما؛ ليكون أقل في الكم مما كان عليه قبلاً.

أما [الاختيار] أو[الانتخاب] فهو الإبقاء على المواد المختارة أو المنتخبة كما هي في الأصل أي بدون تعديل فيها، وإسقاط ماعداها، وهو أفضل للأصل من الاختصار؛ لأنه يعطي صورة شبه كاملة لتفكير صاحب الأصل وأسلوبه.

والدكتور الكعبي ليس موضع مؤاخذة بهذا التردد بين الكلمات الثلاث، لاحتمال أن يكون قد بنى الأمر على التوسع والمجاز، لكنه بكل

تأكيد موضع مؤاخذة؛ لأنه لم يصدر في استعماله لهذه الكلمات عن قراءته للكتاب المحقق وفهمه له واحتكاكه به، أقول: لم يصدر الدكتور الكعبي عن ذلك للأسف، وإنما صدر عن تسليمه المطلق بعبارات بعيدة عن صلب الكتاب أي عن نصه الذي صاغه صاحبه فيه وبه.

ومن هذه العبارات ما نسبه إلى الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي مكتشف المخطوطة قبل أن تأخذ مكانها في دار الكتب المصرية.

يقول الكعبي: «فكان لابد أن يشطب على الخطأ كأقل ما ينتظر من عالم جليل مثله، وفعلاً فقد سجل كلمة [خطأ] فوق العنوان المضلِّل [هدي كامل المبرد] وكتب العبارة التالية: «إنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم» وفي آخر النسخة كتب في حاشية الخاتمة:

«قلت: ليس هذا بكامل المبرد، وإنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم»[1] .

هذا ما نسبه الكعبي إلى الشنقيطي، وقد يكون الفاعل شخصاً آخر غير الشنقيطي. لم لا؟! وقد كان الكتاب موجوداً بالقسطنطينية قبل اكتشاف الشنقيطي له في سنة ١٢٩١هـ ومهما يكن من أمر، فقد أخذ الكعبي هذه العبارة قضية مسلمة وصدر عنها في اتخاذ موقفه.

وبالنظر فيها نجد كلمة [قطعة] والقطعة من الشيء الجزء منه، وإذا أخذنا من الكل جزءاً نكون قد قللناه، ويمكن تجوزاً أن نقول: اختصرناه.

في أساس البلاغة مادة [قطع] قطعه آرابا، وأقطعته قضباناً من

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٧٥.

الشجر: أذنت له في قطعها، وعليه مقطعات أي ثياب قصار، وجاء بمقطعات من الشعر وبمقطوعة وقطعة»[1] .

أريد أن أقول : إن كلمة [قطعة] في العبارة السابقة أوحت إلى الكعبي أو أدخلت في روعه كلمة [اختصر] بمعناها الذي حددناه في صدر هذه الفقرة.

وفي العبارة كذلك [اختيار الممتع] وقد تلقى الكعبي هذا التركيب اللفظي بكل خضوع وإذعان، بل لقد آمن به أعمق الإيمان، وقوى ذلك عنده ما وجده في الورقة ١٢٨أ وهو «نجز اختيار الأول والثاني في كتاب عبد الكريم، وهذا أول اختيار الجزو الثاني».

ولعل هذه العبارة في داخل الكتاب هي التي شجعت مَنْ وصفه بأنه قطعة من اختيار الممتع.

وإذا كنا قد وقفنا على الرافدين اللذين رفدا الكعبي بكلمتي [اختصار] و[اختيار] فإن لكلمة [منتخب] كذلك رافدين آخرين هما:

قول ناسخ المخطوطة في الورقة ١٣أ [من هاهنا ابتدا منتخب الممتع من أوله].

ثم ماكتبه الأستاذ عبد الجواد الأصمعي في الحاشية العليا من غلاف المخطوط، وهذا نص ما كتب: «صحته كتاب في المحاضرات انتخبه مؤلفه من كتاب الممتع لعبد الكريم».

* * *

ولا يغيب عن بالنا أن الروافد الأربعة هامشية لا أصلية؛ فهي لم

(١) أساس البلاغة ص٣٧١.

تـأت فـي صميم الكتاب وصلبه أي في نصه، بل أتت في حواشيه وعلى هـوامـشـه، ومـا أتى منهـا بين ثنايا الكتاب، فهو من ناسخ الكتاب لامن مـؤلـفـه؛ تـنـبيهـاً مـنـه على ما رأى التنبيه عليه، وقد فعل ذلك مرتين في الورقتين ١٣أ ، ١٢٨أ.

أمـا الـكـتـاب نفسه : سياقه ونصه فليس فيه كلمة واحدة تدل على أنـه اخـتـصـار لأصـل، أو اخـتـيـار مـن أصـل، وهذا يؤيد ماذهبت إليه واقـتـنـعت به وهو أن الكتاب الذي حققه الكعبي إنما هو كتاب مستقل عـن غـيـره، وقـائم بـنـفـسـه عنوانه ما هو مكتوب على صدره بخط الثلث القـــديم :

[هدي كامل المبرد]

* * *

(ح)

وفـي الـصـفحة قبل الأخيرة من [النهشلي القيرواني] نقرأ هذا الكلام للكعبي، وكان جديراً به أن ينفذ من خلاله إلى ما نحن بصدده، وهو أن ثمة صلة وثيقة بين نسخته تلك من كتاب الممتع، والكامل للمبرد قال:

«و يـلاحظ أن صاحب الاختيار يختصر [كذا: بالجمع بين الاختيار، يختصر!!!] فـي الأصـل اخـتـصـارات مخلة بالسياق، و يبدو في اختصاره أحياناً بترٌ في المعنى، وقلة وضوح في السياق كما في قوله ص١٠٧أ:

ولـمـا عزل مسلمة عن العراق وولي عمر بن هبيرة.....» فهذا النص في الكامل للمبرد جـ٢ ص١٠٠ كالآتي :

ولـمـا عـزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يز يد بن المهلب لحاجة الخليفة إلى قربه، وولي عمر بن هبيرة...»

وبعد ذلك ترد في نص الاختيار أبيات للفرزدق متصلة بالخبر، ثم يقول :

«ولما ولى خالد بن عبد الله القسري قال :

بكتْ المنابر مِن فزارة شجوها
فاليوم من قسر تضج وتجزع»

فالمفهوم أن هذا البيت للفرزدق، والحقيقة أنه لغيره، يوضح ذلك بقية **نص الكامل المتقدم، قال المبرد :**

وفي جواب هذا يقول الشاعر إسماعيل بن عمار الأسدي لما وُلي خالد بن عبد الله القسري :

بكت المنابر من فزارة شجوها
....

وهو هو البيت الذي يوحي سياق الاختيار أنه للفرزدق.

* * *

ومن ذلك أيضاً اختصار عبارات التبجيل.

نعرف هذا من المقارنة بين النصين الموجودين في ٨٩ ب من الاختيار، وفي صفحتى ٦٣، ٦٤ جـ٢ من الكامل.

* * *

هكذا لمح الكعبي ما بين الأصل وهو الكامل للمبرد، والفرع وهو [هدي كامل المبرد]، ولو أنه أعمل ذهنه فيما ذكره لكان قد غير رأيه، واهتدى إلى وجه الحق في هذه المسألة.

لكنه ــ بكل أسف ــ أنهى كتابه وهو غير مهتد.

أجل. فقد أنهاه وهو مصر على رأيه الذي لُقنه وهو أن ما حققه إنما هو ــ كما قال الشنقيطي أو غيره ــ

قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم.

قال : «يجب أن نأسف على افتقادنا لتلك النصوص النقدية الهامة التي نراها في العمدة منسوبةً لعبد الكريم، ومستقاةً من كتابه الممتع، ولكنها تخلو منها نسخة الاختيار».

* * *

بهذه القفلة غير المهتدية ينتهي كتاب [النهشلي القيرواني] ولست سعيداً به؛ لما قلته في تحليله.

أما مؤلفه الدكتور منجي الكعبي، فقد اجتهد جهده.

وليصدقني إذا قلت له : إننى أحترمه.

لا تؤاخذني يادكتور؛ فمن الحوار ينبثق النور واختلاف الرأى لايفسد للود قضية.

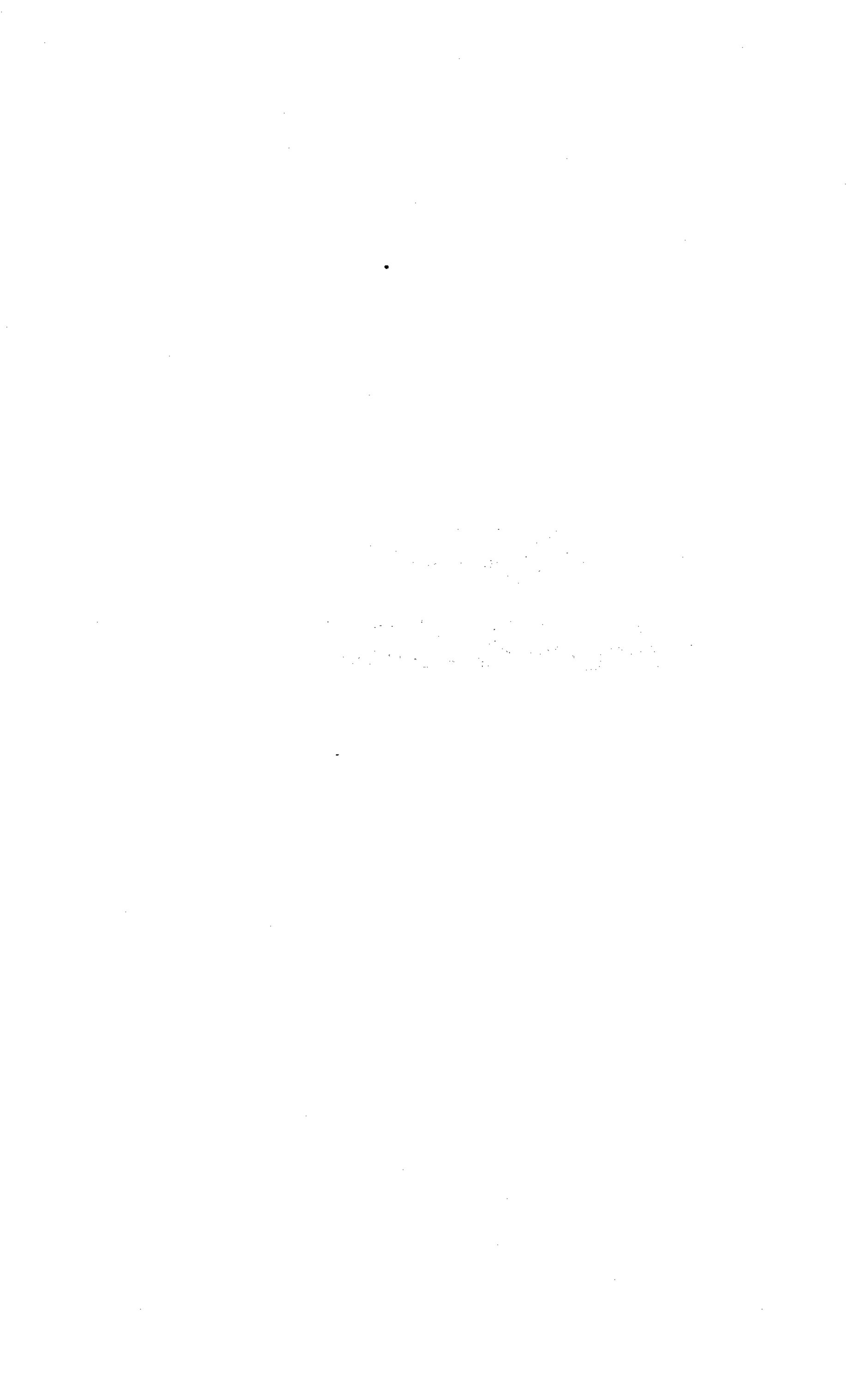
* * *



الباب الثاني



الفصل الأول
مع الدكتور محمد زغلول سلام



مدخـــل :

بعد أن قرأت تحقيق الدكتور محمد زغلول لما سماه رأساً [الممتع في صنعة الشعر].

أقرر ــ والأسى يقطع نياط قلبى ــ أننا قد ودعنا الخصب عند الدكتور الكعبى، واستقبلنا الجدب عند الدكتور سلام. وهكذا ينطبق علينا قول شاعرنا :

رب يـــوم بـــكـــيـــت مـــنـــه فـــلما
صـرت فـي غـيـره بـكـيـت عـلـيـه

ولا عجب، فبضدها تتميز الأشياء.

وإذا كان من الناس من لا تملك إزاءه إلا أن تدير ظهرك له وتتجاهله، لضحالة ما عنده، فإن الدكتور سلاماً في تحقيقه لهذه القطعة التراثية ــ بكل أسف ــ من هذا الصنف. وقد هممت بذلك لولا ارتباطى المسبق بما قلته في مقدمة هذه الدراسة.

وسامح الله أخى وصديقى الأستاذ الدكتور محمد زكريا عنانى، فهو الذي نبهنى إليه ودلنى عليه : كان ذلك في مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م رآنى متأبطاً كتابىْ الكعبى في زيارة خاطفة للكعبة المشرفة فقال ناصحاً : في البيت الحرام يحمل الناس المصحف الشريف.

وقلت موضحاً : لقد اشتريتهما لتوهما لأرد على صاحبهما هذا الذي لم يتثبت، ولم يلبث ــ وقد علم أننى بصدد تأليف [المقنع] ــ أن قال لى:

إن الكعبى ليس وحده فيما عمله، بل معه رئيس قسم اللغة العربية بآداب الإسكندرية الأستاذ الدكتور/ محمد زغلول سلام.

ولما قلت له : إنني لا أرى اسمه على أيٍّ من الكتابين. تفضل فوضح كلامه، وزاد في الأريحية فأرسل يطلب الكتاب لى من الإسكندرية وحالما تسلمه في مكة، تفضل ــ مرة ثانية ــ فبعث به إليَّ في الرياض ومازلت مديناً له بثمنه الذي لم ولن أدفعه، فقد كانت جنايته عليَّ به أكبر من جنايتى به عليه، إن هي إلا خمسة جنيهات أو نحوها دفعها وتركنى أندب حظى وحظ هذا الباب من الكتاب.

لقد ظننت أن وراء الأكمة ما وراءها فوضعت منهجى أو قل : رسمت خطتى على أن يكون للكعبى باب ولسلام باب.

وكان الكعبى معطاء فأرفدنى بما كتبه، وقد ناقشته ــ شكر الله له ــ أما سلام فهو في هذا العمل كنود لاينبت ــ على حد قول الزمخشرى في أساس البلاغة ماده [كند] ــ ، ولا يسع من يقف عليه إلا أن يردد :

تمخض الجبل فولد فأراً(١).

وأجدنى ألوم نفسى على هذا العنف النقدى، لكنى معذور أمام هذا الخواء اللاذع، وهو خواء علمى وأدبى وخلقى. وأسأل :

لماذا حرص الدكتور سلام على تحقيق كتاب سبقه إلى تحقيقه غيره، وزاد فكتب عنه وعن صاحبه دراسة مستفيضةً في كتاب مستقل بنفسه؟!!

---

(١) انظر مورد هذا المثل في جمهرة الأمثال البغدادية لعبد الرحمٰن التكريتي جـ٢ ص٢٥٥ المثل رقم١٦٤٤.

والعجيب أنه وقف من التحقيق الأول موقف من لم يعلم به ولم يطلع عليه، وهو نمط ركيك من تجاهل العارف.

أقول [تجاهل العارف] وأعنيها، فهو قد قرأ تحقيق الكعبى والدراسة الملحقة به أو الممهدة له، ووضعها في كمه، ثم راح يغير عليها، ويجلب منها، دون تميز بين الصواب والخطأ، ثم ــ وهو الأهم ــ دون أن يشير إلى الكعبى ولو مرة واحدة. هي سرقة إذن

وإذا كان الأستاذ الدكتور محمد مصطفي هدارة قد استعدى عليه جامعة الإسكندرية «لتحاسبه على هذا العمل المشوه الذي هزَّ الثقة في أساتذتها» ورأى «أن العاهات التي أحدثها في الكتاب المحقق تستحق المؤاخذة الجنائية»(١)

فإننى أعفيه ــ لكبر سنه ــ من هذا كله، وأكتفى بأن أقترح عليه قراءة [باب السرقات الأدبية] في أى كتاب نقدى، ثم يحكم على نفسه.

* * *

وليست هذه أول مرة يضبط فيها الدكتور سلام متلبساً بالسرقة، فمن قبل أثبت الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع بمالا يدع مجالاً للشك سرقة الدكتور سلام تحقيق [عيار الشعر] لابن طباطبا من أستاذه الدكتور طه الحاجرى.

وإذا كان الدكتور المانع قد التمس لسرقته تلك حسنة واحدة هي أن الدكتور سلاماً قد وضع الكتاب ــ على الرغم من مساوئه ــ بين يدى

---

(١) انظر مقاله في دورية [عالم الكتب]. المجلد الثالث. العدد الثاني شوال ١٤٠٢ يوليه ١٩٨٢ من ص٢١٦ إلى ٢٢٩.

القراء بعد نفاد الطبعة الأولى من السوق، فإن هذه الحسنة اليتيمة ـــ وقد تراجع الدكتور المانع عنها ـــ تعوزنا في موقفنا مما حققه الدكتور سلام تحت اسم [الممتع].

والسبب هو أن تحقيق الدكتور الكعبى يملأ الأسواق بعد أن طبعته الدار العربية للكتاب في تونس وليبيا، وبعد أن صورته بأعداد كبيرة إدارة المكتبات المدرسية في وزارة المعارف السعودية[1].

* * *

لا أفجع القارىء اكثر من ذلك في أستاذ كرسى اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية.

وها أنذا أدلف إلى المقدمة التي صدر بها تحقيقه، والمفروض أنها تتضمن التعريف الوافى بالكتاب المحقق وبصاحبه، وتشتمل على خطة المحقق ومنهجه، وتبرز الصعوبات التي اعترضت التحقيق، وموقف المحقق منها : كيف استقبلها؟ وإلى أى حد ذللها؟ وما إلى ذلك مما يعرفه أو يجب أن يعرفه كل من يشتغل بالتحقيق، وهو حقل خصب، لكنه لا يعطى ثمرته لكل من هب ودب، بل لمن أخذ للأمر أهبته، وأعدّ له عدته، وراش نفسه بأشياء كثيرة، أجلُّ الأستاذ الدكتور عن أن أنبهه إليها وأعرفه بها.

وإذا كان لي أن أتحوط وأتشرط، فإنما هو شيء واحد فقط هو الأمانة العلمية. أجل. الأمانة العلمية، وقد بحثت عنها في تحقيق الدكتور سلام فلم أجدها، وإلا فهل يعنى تجاهله لتحقيق الدكتور

---

(١) عالم الكتب. المجلد الثاني ـــ العدد الرابع ربيع الثاني ١٤٠٢ يناير ١٩٨٢ من ص٧٥٢ إلى ص٧٦٨.

الكعبى أنه لم يسمع به ولم يره؟! كيف وهو قد مرَّغ وجهه في غباره، ومشى وراءه خطوة؟!!

وسأوضح ذلك فيما بعد. أما الآن فمع الدكتور سلام في المقدمة.

(١)

تلمذة ابن رشيق للنهشلى بمعنى الأخذ الشفهى المباشر، مسألة لم تثبت، ومن الصعب القول بها أو تصورها.

فابن رشيق قد جاء من مسقط رأسه (المحمدية) إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ أى بعد موت النهشلى بسنة، لكن لاشك أنه تتلمذ على كتب النهشلى وتعصب له وهو فتىً، ربما لأنه مثله من المسيلة [المحمدية].

وبناءً على ما قلنا يكون قول الدكتور سلام :«وقد تحدث عنه ابن رشيق تلميذه في العمدة كثيراً» غير دقيق، أو على الأقل في حاجة إلى إيضاح نوع التلمذة التي يقصدها الدكتور المحقق.

(٢)

يقول الدكتور سلام في السطر التاسع من المقدمة [ولم تصلنا هذه الترجمة] وهو خطأ صوابه : ولم تصل لنا أو لم تصل إلينا في القرآن الكريم :«ولقد وصلنا لهم القول»، والعرب تقول : وصل إليه وصولاً وأوصلته إليه، وهذا وُصْلَةٌ إلى كذا[١] .

(٣)

يستطرد الدكتور سلام فيقول عن ترجمة ابن رشيق للنهشلى :

---

(١) أساس البلاغة ص٥٠١.

«وربما نقل عنها من تعرضوا لسيرة النهشلى من بعد، أمثال ابن منظور في [نثار الأزهار] وابن فضل الله العمرى في [مسالك الأبصار]»

وقد تعقبه الدكتور هدارة بقوله : «كلمة [ربما] تؤكد أن الكاتب لم يقرأ نصوص الكتابين اللذين ذكرهما، فالعمرى في [مسالك الأبصار] يؤكد نقله عن [الأنموذج] لابن رشيق، أما كتاب [نثار الأزهار في الليل والنهار] ـــ وهو مطبوع منذ سنوات طويلة ـــ فيورد أشعاراً لعبد الكريم.

وفات الكاتب أن يذكر الصفدى في [الوافى بالوفيات] الذي نقل عن [الأنموذج] لابن رشيق في التعريف بعبد الكريم»[1].

(٤)

الفقرة الأخيرة في الصفحة الأولى من المقدمة هي : «من هذه الشذرات التي حصلنا عليها نستطيع القول بأن الشاعر العالم عبد الكريم النهشلى عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، واستظل بدولة ملوك صنهاجة وبخاصة باديس بن المنصور وابنه المعز بن باديس».

ونقف من هذه الفقرة عند القول بأن عبد الكريم النهشلى عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، فهو يدل بمنطوقه وبمفهومه على أنه عاش إلى سنة ٤٥٠هـ أو قريب منها، علماً بأنه مات سنة ٤٠٥هـ، فيظهر أن الصفر قد سبق الرقم (٥) في مرجع الدكتور أو في ذهنه، وصحة العبارة : أن الشاعر العالم عبد الكريم النهشلى عاش في القرن الرابع الهجرى، أو في النصف الثاني منه.

ويمكن التجاوز عن خمس السنوات التي عاشها في القرن الخامس، أما أن تكون السنوات من ٤٠١ إلى ٤٠٥ هي النصف الأول من القرن

---

(١) عالم الكتب ـــ مجلد ٣ عدد ٢ ص٢١٧.

الخامس الهجرى فلا يصح ذلك إلا إذا جعلنا القرن عشر سنوات لا مائة، وعشر السنوات عقد لا قرن.

* * *

وأيضاً نقف من الفقرة السابقة عند القول بأن النهشلى استظل بدولة ملوك صنهاجه، وبخاصة باديس بن المنصور وابنه المعز بن باديس.

أما أن النهشلى استظل بدولة ملوك صنهاجة، فهذا حق، بل إنه استظل بدولة العبيديين في أفريقية على عهد المعز لدين الله الفاطمى أبى تميم معد الذي تولى الحكم في المهدية من سنة ٣٤١ إلى سنة ٣٦٢هـ وهي السنة التي نقل فيها دست الحكم إلى القاهرة بعد أن أمَّر على افريقية أبا الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى الذي مات في ذي الحجة سنة ٣٧٣هـ فقام بالأمر بعده ابنه أبو الفتح المنصور الذي مات في ربيع الأول سنة ٣٨٦هـ، وخلفه ابنه باديس إلى أن مات في ذي القعدة من سنة ٤٠٦هـ، وقد بايع رجال دولته ابنه المعز في ذى الحجة من نفس السنة وله من العمر ثمانية أعوام فقط.

ومعلوم أن النهشلى مات سنة ٤٠٥ أى قبل تنصيب المعز بسنة، فكيف يكون قد استظل على وجه الخصوص بالمعز بن باديس وبدولته؟!!

والدكتور سلام مرجوٌّ في حذف المعطوف الأخير [وابنه المعز بن باديس] لتسلم له عبارته.

كما هو مرجو في أن يتأكد عندما يكتب من صحة ما يكتب قبل أن يكتب، ولو لم يكن كسولاً أو عجولاً لرجع في هذه المسألة التاريخية إلى كتاب مثل : «إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

للوزير أحمد بن أبى الضياف طبعة تونس سنة ١٩٦٣ من ص ١٢٥ إلى ص ١٣٧ أو مثل :«المؤنس في أخبار أفريقيه وتونس» لأبى عبدالله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى المعروف بابن أبى دينار. تحقيق وتعليق محمد شمام. الطبعة الثالثة. تونس سنة ١٣٨٧هـ وعلى وجه التحديد : الباب الخامس في الأمراء الصنهاجية من ص ٧٣ إلى ص ٩٧.

(٥)

لست أدرى من أين أتى الدكتور سلام بحكاية أن النهشلى: «كان من عادته أن يستلقى على ظهره فوق سطح داره يتأمل السماء ساعات طوالاً».

ذلك ياسيدى كان شيئاً ذكره ابن رشيق عن جرير في باب [عمل الشعر وشحذ القريحة له] ثم اقترحه، ومما جاء فيه قوله: «للناس ضروب مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشحذ القرائح، وتنبه الخواطر، وتلين عريكة الكلام، وتسهل طريق المعنى كل امرىء على تركيب طبعه، واطراد عادته :

سئل ذو الرمة : كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر؟ فقال: كيف ينقفل دونى وعندى مفتاحه؟! قيل له : وعنه سألناك. ماهو؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب.

وقيل لكثير : كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر؟ قال : أطوف في الرباع المحيلة، والرياض المعشبة، فيسهل علىَّ أرصنه، ويسرع إلىَّ أحسنه.

وقال الأصمعى : ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى، والشرف العالى، والمكان الخالى وقيل : الحالى يعنى الرياض.

وقالوا : **كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً يشعل سراجه، ويعتزل، وربما علا السطح وحده فاضطجع** وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه، يحكى أنه صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بني نمير».

يتحدث ابن رشيق بذلك كله ثم يدلي بدلوه في قوله :

«ومما يجمع الفكرة عن طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره».

وقد انتفع العالم المغربى أبو الفضل محمد المشدالى المتوفي سنة ٨٦٤هـ بهذه الفكرة، قالوا :«كان يستلقى على قفاه و يتأمل فيأتى بصواعق لاينهض بها غيره، وكان يفعل ذلك كثيراً»[١] أما عبدالكريم النهشلى فلم يكن من أهل الاستلقاء على الأقفاء كل ماهنالك أنه كان — مثل أكثر الشعراء — يهتم بالإطار الذي يضع نفسه فيه حين يبدع، وهو في الغالب إطار طبيعى يتمثل في الرياض المعشبة، والماء الجارى، وفي الهضاب ذات الخضرة والنضرة.

عرفنا ذلك من خروجه إلى كدية المهدية، واعتلائه برجاً فيها، جلاءً لناظره وتلقيحا لخاطره[٢] .

(٦)

لا أقر الدكتور سلاماً على إهداره صفحتين ثمينتين من مقدمته هما الصفحتان ٣،٢ وقد شغلها بجمل إنشائية لاتقدم بل تؤخر، وإذا كانت

---

(١) تاريخ الجزائر العام. تأليف عبد الرحمن جيلالي جـ٢ ص٢٧١ — ٢٨٠ الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

(٢) العمدة جـ١ ص٢٠٤ — ٢١٥.

المقدمة في ذاتها فقيرة وضحلة، فإنها بهاتين الصفحتين قد صارت أفقر وأضحل، والدكتور سلام واهم إذا ظن أنه بهذا التداعى الإبداعى يشبع نهم القارىء المتطلع إلى أن يُكشف له الغطاء عن هذا التراث المُحَقَّق:

أصله وفصله. ماهو؟ ومانوعه؟ وإلى أية فصيلة من فصائل المعرفة الإنسانية ينتمى؟ أين كان؟ ومتى جاء؟ ومن أتى به؟ وما الجاذبية التي جذبت المحقق إليه وجعلته يحققه؟

ثم لماذا يحققه وقد سبقه إليه من حققه؟؟؟

هذا ونحوه بعض ماكنا ننتظره من المحقق الفاضل في هاتين الصفحتين، وفي غيرهما من صفحات المقدمة، وما كان أغناه وأغنانا عن هذه السيولة الكلامية الخالية من أية أفكار نافعة.

ولايسع المرء بعد أن يقرأ هاتين الصفحتين إلا أن يجزم بأن كاتبهما لم ينتفع بما قرأه في الكتاب الذي حققه من ضرر زيادة اللسان على العقل.

ودفعا لمظنة التحامل على الدكتور سلام أثبت هنا ما جاء في الصفحتين المشار إليهما، وسيرى القارىء كيف أن الدكتور المحقق قد خفت موازينه فيهما إلى أقصى حد ممكن.

قال : «ومن خلال ما وصلنا (كذا) من كتاب الممتع في صنعة الشعر أو في علم الشعر وعمله كما نقله ابن منظور في نثار الأزهار، نرى في عبد الكريم عالماً شاعراً يدرك من علم الشعر وعمله كثيراً، فهو يعلم مكانة الشعر في أهله، وحتى عصره، ويدرك أنه فنهم الكلامى الأول. من خلاله عبروا عن حياتهم في صورها المادية والمعنوية، وحين كانوا يسكنون بوادى الجزيرة وصحراواتها ويجاورون الوحش، فيصفون فيه

وديعه وآمنه، وجميله، أو هائمه ونافره، وضار يه، وتهزهم هزة النسيم لفروع الأراك، وتحر يك الظبية لغصون البان، و يرعون بأبصارهم حيوان الوحش، يلجأ من رخات المطر، فيستظل بالأرطى، أو ثنية الجبل، و يعبرون فيه عن فرحتهم بالمطر يغيث الأرض العطشى، فتهتزله وتر بو، ويخضر أديمها، و يتطلع زمر المرتبعين إلى بطون الأودية، يسوقون الظعائن، فيخيمون حول المياه، وترعى إبلهم، وحيوانهم، و يعيشون هانئين ناعمين شهوراً، ثم يجفوهم الغيث، ويجف الورق، و ييبس العشب.

وتهيل ر ياح الصيف من الجنوب رمال الصحراء، وتحرقهم شمسها، فيجمعون الخيام راحلين، مصعدين في شعاب الجبال ومصو بين. و يصورون أحوالهم في منازلهم، فكم حبيب لقى حبيبه وقت الربيع، وفارقه وقد جفت ألارض وابتعد الربيع، وكم لقاء على الماء يتسابق إليه الحيّ، و يسبق القويّ ذو الأيد، و يتخلف الضعيف المستذل.

وتدور رحى الحرب فيسقط صرعى، و يغلب قوم، و يولى آخرون الأدبار، و يؤسر سادة، وتذل رؤوس، وترسف في الحجول محصنات، وتردف على الخيل مردفات، ينأى بها غاصب عن بعل وولد، و يستحلها بالسيف والرمح.

وتسمع من خلال الأبيات قعقعة السلاح، وزمجرة الرعد، وأنين المتوجع، وحنين الشكلى، و بكاء الورق، وهفهفة الربيع، ووشوشة العشرق والعشر.

وترتفع الأصوات بالفخر والتمجد والمديح، و يسجل الشعر خفايا النفوس، وعادات القوم وما يعتقدون.

فالشعر معهم حين يهتدون وحين يضلون. في مباذلهم وخطاياهم وحين يرشدون ....».

انتهى ما أردت إثباته من كلام الدكتور سلام، وهو يعطى انطباعاً مفاده أن صاحبه أديب لاعالم، ومطنب لا موجز، وفقير مما يكون عادة لدى المحققين الأصلاء من معلومات غزيرة عما يحققون، يصدرون بها الكتب المحققة.

وبعبارة مختصرة، هذا الكلام لايعكس محققاً جاداً لديه ما يقوله عن عمله، وبين يدى عمله، إن هو إلا طوفان من الألفاظ على صحراء من الفكر.

(٧)

عقب الدكتور سلام على ما نقلناه عنه في الفقرة السابقة بقوله: «لقد قرأ عبدالكريم في الشعر العربى هذا كله، وعرف أنه سجل العرب وآلة غنائهم، وقد قسم أبواب كتابه على هذا الفهم لدور الشعر عند العرب».

والحق أن توزيع الكتاب على ما فيه من أبواب، هذا التوزيع لايعطى — ولو لمحاً — فهم مؤلفه لدور الشعر عند العرب، فضلاً عن أن يكون قد بناه على أساس من هذا الفهم، وعلى كثرة ما فحصت أبواب الكتاب لم أجد فيها أولها تلك الرابطة التي توهمها الدكتور سلام.

وإذا كان الشعر الذي تضمنته مرآة نرى فيها أنماطا مختلفة من سلوك العرب، وصورًا متعددة لحياتهم، فإن هذا هو شأن الشعر بل شأن الأدب في كل زمان ومكان : مرآة تعكس الحياة.

لكن هذا شيء، وتوزيع أبواب الكتاب على أساسه من قبل مؤلفه شيء آخر.

نجد الأول ولا نجد الثانى.

الشعر سجل العرب وغناؤهم أو آلة غنائهم. نعم.

أما توزيع الكتاب على مافيه من أبواب بناءً على ذلك، أو صدورًا عنه. فلا.

ويظهر أن المحقق متعصب للكتاب الذي حققه، أو على الأقل متعاطف معه، وهو لهذا يحاول خلق فلسفة يضيفها إلى مؤلفه. وإذا صح هذا يكون كلام الدكتور اجتهاداً يؤجر عليه، لكنه لايُقبل منه لسبب بسيط هو أنه ليست له نسبة خارجية تصدقه.

ولأكون مقنعاً أكثر أرجو من الدكتور سلام أن يحاول توزيع أبواب الكتاب على الغايتين اللتين ذكرهما للشعر، ورأى أن النهشلي قد صدر عنهما في تقسيم كتابه وهما :

أنه سجل حياة، وأنه غناء.

وسيجد نفسه عاجزاً عن الانحياز بهذا الباب أو ذاك إلى الغاية الأولى لا الثانية أو دون الثانية، مثلما هو عاجز عن الانحياز به إلى الغاية الثانية لا الأولى أو دون الأولى. بل إنه سيجد نفسه واقفاً بكثير من الأبواب على الأعراف بين الغايتين، وعلى سبيل المثال لا الحصر هذه الأبواب :

أ ــ باب والمنة لله عز وجل في هذا البيان.

ب ــ باب ومن حكماء قريش في الجاهلية عتبة بن ربيعة.

ج ــ باب في النهى عن تعرض الشعراء.

د ــ باب وفي الشعر التياط بالقلوب.

هـ ـــ باب في دعاء بعضهم على بعض.

(٨)

ماكدنا نستريح من قصيدة النثر الواردة في الصفحتين ٢، ٣ من المقدمة حتى فاجأنا الدكتور سلام بارتدائه حلة المعاصرة وباعتجاره عمامة الأصالة قال : «فالشعر يقوم بدور التاريخ والصحافة وأجهزة الإعلام في الدولة العصرية، وهو كتاب العلم والفن المتذوق، تستروح به النفوس وتتهذب، وتتأدب العقول وتتثقف»

هو عود على بدء إذن، وتسكع فاقع استقبل به الدكتور سلام ماكان قد استدبر.

ونسأل : مادلالة ذلك؟ وبم يوحى؟ ثم نسأل : ألم يكن من حقنا على من يحقق تراثنا أن يقدمه لنا كما ينبغى للتراث أن يُقدم؟!!

وتتحول المساءلة إلى مؤاخذة، إذا كان التراث مغربيا، ومقدماً إلى مشارقة علم طلابهم، بل علم أكثر علمائهم بالمغرب القديم وبرجاله قليل جداً.

(٩)

يعطى الدكتور سلام ـــ من حيث لايدرى ـــ ملمحاً من ملامح أبى العباس المبرد في كتابه «الكامل» ومن نهج نهجه فألف «هدى كامل المبرد».

فعل الدكتور سلام ذلك وهو يثبت للنهشلى خاصة من خصائص المبرد ومحمدة من محامده التى وعد بها والتزمها في كتابه (الكامل) هي أنه ـــ على حد قول الدكتور سلام ـــ «يعرض أمثلة شعرية متتابعة في

الموضوع الواحد، والمعنى المتفرع عليه، ولا يكتفى بمثال أو مثالين وقد يعقب الشعر بشرح موجز أو مستفيض إذا اقتضى الأمر، وإذا احتوى الشعر خبراً أو ذكراً لمعركة أو يوم من أيام العرب فصَّل الحديث عن الخبر، وذاك اليوم، ويعرض في تعليقه لمعاني اللفظ الغريب»[1] .

والدكتور سلام مصيب في تحديد هذه اللازمة التأليفية، لكنه مخطىء في نسبتها إلى عبد الكريم، تصديقاً منه ـ كالكعبي ـ لمن خَطَّأَ العنوان الصحيح للكتاب وهو [هدى كامل المبرد] وجعله قطعةً من اختيار الممتع كتاب عبدالكريم.

ـ ١٠ ـ

ليس للدكتور سلام وجهة نظر نناقشه فيها ونقنعه بغيرها. كل ما عنده إنما هو تكرار لما فعله الكعبى قبله، بفارق مهم هو أن عمل الدكتور الكعبى مفسر ومعلل، أما عمل الدكتور سلام فصمت وأبكم، ولايسعك مهما بلغت بك الشفقة على مواطنك الدكتور سلام إلا أن تدمغة بالسرقة الأدبية الصارخة، ولن يشفع له ماحدسه صديقه الدكتور هداره من جهل بعمل الكعبى أو تجاهل لهذا العمل. إنه سرقة، وقد حان أوان كشفها.

ونقدم بين يدى ذلك بهذا الكلام للدكتور سلام قال : «وقد اعتمدنا في تحقيق هذا الاختيار على نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤ أدب هي مجموعة أوراق لا يتبين أولها، قد اختطلت أبوابها، تبدأ بباب لانظن أنه بدايتها، وتأتى البداية بعده، إذ ينص الناسخ على أنه «من هاهنا يبدأ اختيار الممتع» ثم ينتهى إلى لانهاية،

(١) الصفحة السادسة من المقدمة وهي الصفحة رقم ٨ من الكتاب.

بل هي نهاية مبتسرة مقتطعة، ولهذا فنظن النسخة تعرضت للعبث والضياع، وقد حاولنا إعادتها إلى أصلها، وترتيب مابين أيدينا من أبوابها الترتيب الذي رأيناه مناسباً وموافقاً لتسلسل الحديث، مهتدين ببعض ما جاء فيها من القول مؤذنا ببداية وسبق أو مشيراً إلى تأخر ولحق، واعتمدنا على كتاب العمدة لابن رشيق رائداً يكشف لنا الطريق»

* * *

انتهى ما نقلناه بالنص من مقدمة الدكتور سلام ولنا معه فيه أكثر من وقفة.

(أ) نقول للدكتور سلام : إذا كنت قد حققت (هذا الاختيار) فلماذا ــ وهو اختيار ــ أعطيته عنوان الأصل الذي اختير منه وهو [الممتع في صنعة الشعر] هكذا بكل جرأة، وقد ناقض فعلّك قولُك في آخر مقدمتك :«وهكذا فإن هذه النسخة لايمكن الزعم بأنها كل كتاب«الممتع في صنعة الشعر» أو «في علم الشعر وعمله» لعبد الكريم النهشلي، وإنما هي ما أتيح لنا منه على قدر ماسمح به الزمن».

وإذا تجاوزنا عن تناقضك، فإننا لن نتجاوز عن إهمالك الأصول المتبعة في التحقيق والمرعية من كل محقق يحترم نفسه وعمله.

تجتهد. نعم. لكن بعد أن تقف على أرض صلبة مما وجدته بأن تثبته كما وجدته، فقد يفهمه غيرك أحسن مما فهمته.

أما أن تستأثر به لتعمل فيه رأيك وحدك، فهذا هدر لغيرك واستبداد بقارئك، وجنوح منك تؤاخذ به وتحاسب عليه وها أنت ذا قد أخطأت حين تصرفت فيما وجدت.

فقد كتبت : «وقد عنون لها ــ للمخطوطة ــ بعنوان مضلّل هو

[**كتاب الكامل للمبرد**] ثم ضُرب عليه وصُحح بأنه **كتاب** اختيار الممتع لعبد الكريم على ما جاء في صفحات المخطوط وختم الكتاب بالختام المضلل الذي بدأ به، ولكن المصحح نفسه عاد **فصوب الخطأ**».

هذا كلامك الجزاف يا سيادة المحقق، وهو جزاف لأنك ــ ولأكن حسن الظن بك ــ قدا اعتمدت فيه على ذاكرتك التي خانتك، وارجع إلى المخطوط، فلن تجد عنوانه كما أثبته وجعلته بين علامتيْ تنصيص هكذا «كتاب الكامل للمبرد» بل [هدى كامل المبرد].

وأمعن النظر في العنوانين فستجد فروقاً بين ثلاثة الألفاظ فيهما:

فـ [هدي] غير [كتاب]

و [كامل] غير [الكامل]

و [المبرد] غير [للمبرد]

وهي فروق دقيقة، لكن كان من الممكن أن تفطن إليها لو أنك صبرت عليها، وأعطيتها ما يجب لها من النظر والتأمل.

وقد جاء اللبس من أن [هدي] قرئت [هذا] وفرق كبير بين كلمة [هدي] التي قرئت [هذا] وكلمة [كتاب] التي جادت بها قريحتك، ولو أن الأمر كان كما قلت، أى كما جاء في تسميتك ما وجد هذا الإشكال أصلاً.

ثم إن [المصحح نفسه] حينما كتب فوق العنوان الحقيقي كلمة [خطأ] لم يكتب بدله مازعمته وهو [كتاب اختيار الممتع لعبدالكريم، بل كتب [إنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبدالكريم.

ودعنى أسألك : هل اعتمدت حقاً على المخطوط وأنت تحققه؟ ام اكتفيت بتحقيق الكعبى له؟ إن هذا الاحتمال وارد يادكتور على الأقل جزئياً. وإذا تنازلنا لك عنه فإن ماهو أقسى منه يتوجه إليك وهو أنك تعجز عن قراءة الكلمة أو عن فهمها فتستبدل بها غيرها وتكتب ما استبدلته بها في التحقيق، ثم تثبت ــ وقد لا تثبت ــ كلمة الأصل في الهامش، وما ينبغى هو العكس. وسنعطى أمثلة لذلك في الفصل التالى إن شاء الله تعالى.

* * *

(ب) تقول : إن المخطوط مجموعة أوراق لايتُبين أولها قد اختلطت أبوابها......

واسمح لى أن أقول : إن هذا الكلام غير صحيح، فقد قرأت المخطوط مجلداً وليس مجموعة أوراق متناثرة كما يفهم من كلامك بل هو نص كلامك ثم إن له أولاً يبدأ بالبسملة وآخراً حدده ناسخه، والحمد لله أنك اعترفت بأنه هو الذي أقحم عبارة [من هاهنا يبدأ اختيار الممتع] وعلى كل فعمله ليس حجة نحتج بها، لأنه ناسخ ليس إلا، وإذا لم نعتمد فعله فأولى ألا نعتمد عقله راشداً يرشدنا. والنسخة التي تقول : إنها تعرضتْ للعبث والضياع لم تتعرض لعبث ولا لضياع، لأنها هكذا خلقت. أجل، فهى ليست كتاب الممتع ولا اختياراً منه بل ولا قطعة من هذا الاختيار كما قال من لم يقرأ [هَدْيَ] على حقيقتها، وبناءً على ذلك خطأها.

(جـ) أما أنك حاولت إعادتها إلى أصلها، وترتيب مابين يديك منها الترتيب الذي رأيته مناسباً وموافقاً لتسلسل الحديث مهتدياً ببعض ما جاء فيها مؤذنا ببداية وسبق أو مشيراً إلى تأخر ولحق.

فهذه دعوى لايقوم دليل عليها، وكان أولى بك ولك أن تعترف بأنك تابعت الدكتور الكعبى وقلدته فيما صنعه من تأخير القطعة التي أخرها، والفرق بينكما أنك عنونتها بقول الناسخ [من هنا ابتدا منتخب الممتع من أوله]، أما هو فقد عنونها بـ[باب من كلام العرب] فلم ترتبها الترتيب الذي رأيته مناسباً وموافقاً لتسلسل الحديث كما ادعيت، ولم تهتد في عملك ببعض ما جاء في المخطوطة كما قلت، ولو أنك اهتديت بما جاء في اللوحة رقم ٢٤ ب من إحالة المؤلف على ماسبق له إيراده في القطعة المغضوب عليها من الدكتور الكعبى أصلاً ومنك تبعاً، وهو شعر للأعشى في مدح السموءل، لكنت قد هُديت ورشدت كما قلت، ولبرئت من تبعيتك للكعبى فيما فيه أخطأ وأخطأت، ولكنها الغفلة المشتركة بينكما، ولكنه الادعاء الأجوف منك بأنك الذي رتبت، وما رتبت ولكن الكعبى هو الذي رتب قبلك، ولم تزد على أن جريت وراءه جهدك، شكر الله سعيك.

(د) بقى أنك اتخذت العمدة لابن رشيق رائداً يكشف لك طريقك فيما أقدمت عليه من تنكيس الكتاب بجعل أعلاه أسفله وأوله آخره.

وأنا مندهش من ركضك نحو العمدة، متمسحاً فيه، ومتقوياً به، ثم ناسبا إليه مالم يقله ولم يفعله. ألا فلتعلم أن ابن رشيق ــ على كثرة مانقل عن عبدالكريم ــ لم ينقل عن الكتاب الذي حققته شيئاً ربما لأن صاحبه المجهول لم يكن ألفه والله وحده يعلم هل كان ولد أم لا.

(١١)

يقول الدكتور سلام قرب نهاية المقدمة : «وآثرنا كذلك أن نشفع تحقيقنا لاختيار الممتع بما نقله ابن رشيق عنه في كتاب العمدة، وهو كثير في أبواب مختلفة، وجعلنا تلك النقول في ملاحق الكتاب حتى يتم النفع، وتضيف إلى معالم الكتاب معلماً جديداً، وإلى ملامحه خطوطاً»

نقرأ هذا الكلام للدكتور سلام، ونتصفح تحقيقه من الغلاف إلى الغلاف فلا نجد ما وعد به من فحص كتاب العمدة، ولملمة النصوص التي أخذها ابن رشيق من كتاب الممتع، ونأسف إذ لم يتم النفع ولم تتحقق الإضافة.

وإذا قيل لنا : لماذا نكص الدكتور سلام على عقبه ولم يف بوعده؟؟ قلنا : إنه الكسل أولا. والعجلة في طبع الكتاب ونشره ثانيا ولأنى سبقته إلى ذلك في كتابى [النقد الأدبى في المغرب العربى من ص٧٦ إلى ص١٠٧] ثالثا،ولئلا يُقال : إنه قد اطلع على كتابىْ الكعبى رابعاً.

وكائنة ما كانت الأسباب، فقد كان من السهل والذكاء واللياقة أن يتخلص الدكتور سلام من وعده بسحبه من مقدمة الكتاب، وكفى الله المؤمنين القتال.

ـ ١٢ ـ

يختم الدكتور سلام مقدمته بسطرين نبيلين في ظاهرهما، لكنهما غير ذلك في حقيقتهما وهما «وبعد فغايتنا أن نخدم علم النقد، ونقدم للباحثين ثمرة من ثماره الناضجة، إن لم تكن كاملة فبعضها، ولعل فيه بلغة، وبه تكتمل حلقة في سلسلة هذا التراث».

وأقول له : ليس في الكتاب المحقق شيء ولو قليل من علم النقد تخدمه به، فضلاً عن أن يكون ثمرة من ثماره الناضجة، وعلى فرض أنه كذلك، فإن تقديمه للباحثين لايعُد لك، ولايحسب في فضلك لسبب بسيط هو أن الطالب منجى الكعبى قد سبقك فقدمه للناس بعامة،

وللباحثين منهم بخاصة، ولقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة القاهرة على وجه أخص، ومن يدرى فقد تكون شاركت في مناقشته، ومنحه به درجة الماجستير لكنها الريادة الكاذبة والعنترية العلمية، ولو أنصفنا الحق لعدنا إلى ماكنا قد قلنا ــ وهو أنها سرقة أدبية متمثلة ــ هذه المرة ــ في [الإغارة] على أعمال الناس وتسمى أيضاً [الاختلاس][1] .

وإذا كان الدكتور سلام قد عمل باقتراحى وقرأ باب السرقات الأدبية، فإنه ــ هذه المرة ــ سيفهم عنى.

(١) انظر موضوع [السرقات الأدبية] في : [النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني] من ص٢٩٧ إلى ص ٣٤٧.



الفصل الثاني

بين
الدكتور منجي الكعبي
والدكتور محمد سلام



مــدخل :

نتمرس في هذا الفصل بعمل غير أساسى فيما نحن بصدده، وهو الإقناع بأن ماحققه الكعبى وسلام لايمت بصلة إلى كتاب الممتع لعبدالكريم النهشلى، وإنما هو كتاب قائم بنفسه اسمه [هدى كامل المبرد].

ومن محاسن الصدف أن [هدى كامل المبرد] مجهول المؤلف، وقد جاء الكتاب الذي حققه الرجلان كذلك مجهول المؤلف ولعل ذلك أن يكون دليلاً جديداً لى على أن هذا هو ذاك.

* * *

لكن ما هذا العمل الذي سنتمرس به في هذا الفصل؟ ولماذا نتمرس به وهو غير أساسى فيما نحن بصدده؟

أجيب بأن ماسنتمرس به هنا هو النظر في التحقيقين جملةً، فلا نقتصر على تخطئة المحققين فيما ذهبا إليه من أن ما حققاه إنما هو الممتع أو اختياره، بل نزيد فنزن جهد كل منهما، ومقدار حضوره في عمله الذي أخذ على عاتقه القيام به قياماً علمياً، لاتجارياً مقلداً بعض دور النشر الحديثة حين تعهد في إعداد بعض الكتب القديمة للنشر إلى أناس يوحى فهمهم للكتب المنشورة بأنهم لايحسنون القراءة والله أعلم بالكتابة.

* * *

ولم يكن بد من هذه النظرة الكلية إلى التحقيقين، ذلك أن الموازنة بينهما كانت طوال الفصول السابقة ملازمة لى تثب إلى ذهنى دون قصد

منى لها، بل دون ترحيب بها، ولا عجب، فقد كنت مشغولاً عنها بغيرها، وهو أن هذين التحقيقين ليسا من الممتع في قليل أو كثير.

أما وقد سفرت رأيي، فإن من الاحترام لعقلى، بل من تتمة عملى أن أوازن بين التحقيقين موازنة مفصلة.

وإذا كان هذا أمراً ثانوياً في الإقناع بوجهة نظرى، فإنه أساسي في سبرغور العملين وفي الحكم على الرجلين.

* * *

وبادىء ذى بدء أقول كما كان صلاح الدين الصفدى يقول : ليس بين التحقيقين ولا بين المحققين صيغة أفعل[1] لمصلحة من؟ ذلك ماسيوضحه هذا الفصل.

— ١ —

الدكتوران : الكعبى وسلام مخطئان فيما ذهبا إليه من أن الكتاب الذي قاما بتحقيقه إنما هو [اختيار من كتاب الممتع] أو [الممتع في صنعة الشعر].

وإذا وازنا بينهما في هذا الذي فهماه وتصرفا بمقتضاه، فإننا نلومهما معاً.

ولعل من غير المنتظر منى أن يكون لومى للدكتور الكعبى أقوى وأشد من لومى للدكتور سلام. لكننى مصر على ذلك ومتشبث به، فالدكتور الكعبى صاحب رأى، وهو رجل مجتهد، وكنت آمل أن يؤديه اجتهاده إلى الصواب لا إلى الخطأ، وكم رأيته وهو يطوف بالحق، و يدور حوله،

(١) نصرة الثائر على المثل السائر ص٣٨٧، ونقد النقد في التراث العربي ص١٤٧.

ولم يكن ينقصه سوى أن يقوله، لكنه دوماً كان يُضيّع ثقتنا فيه، ويخيب ظننا به وفي مرات كثيره كان يأتى بالمقدمات الصحيحة، و ينجح في ترتيبها على بعضها، بل في تركيبها، لكنه في اللحظة الحاسمة كان يزل و يضل، و يقع في ضبابية معتمة تحول بينه و بين الوصول إلى النتيجة المنطقية لكل ما قال وقرر.

وقد عزوت ذلك إلى أنه أتى إلى الكتاب المحقق بفكرة مسبقة عنه هي أنه قطعة من اختيار الممتع كتاب عبدالكريم. ولأنه تونسى من موطن النهشلى أولا، وصاحب طموح علمى ثانيا، وله اهتمام خاص بالتراث المغربى، وتعصب له، وحرص عليه ثالثا، فقد لقف العبارة المكتوبة فوق العنوان الأصلى للمخطوط، وهو مصدق لها فرح بها، ولعلى لوكنت مكانه لفرحت مثله بما حسبته ظفراً بالممتع أو بشىء منه، بعد أن شوقنا إليه قيروانى آخر هو ابن رشيق بكثرة استمداده منه، وأخذه عنه

* * *

هذا عن الكعبى.

فماذا عن سلام؟

لاشىء من ذلك كله، فلا هو صاحب رأي، ولا هو مجتهد، ولا هو تونسى من قوم النهشلى، وإذا كانت له اهتمامات تراثية فإنها على الجملة ليست مغربية.

أجل. إنه شارك في تحقيق كتاب القزاز القيروانى [مايجوز للشاعر في الضرورة] لكن علم ماله فيه عند الله وعند الدكتور هدارة.

* * *

فقد كنت على حق إذن، وأنا ألقى تبعة الخطأ في نسبة الكتاب المحقق إلى النهشلى على الدكتور الكعبى أكثر مما ألقيها على الدكتور سلام.

ومن الرحمة بالدكتور سلام أن نهبه لتبعيته المطلقة للدكتور الكعبى، وإذا لم نجامله قلنا : لسرقته منه.

ـ ٢ ـ

ولن يختلف موقفنا من المحققين في هذه الفقرة عن موقفنا منهما في الفقرة السابقة، بسبب ما أقدما عليه من تجزئة [باب ما جاء في العفو عمن أذنب].

بدأ الدكتور الكعبى فنقل الصفحات [١ ــ ٢٤] إلى آخر الكتاب لماذا؟ لأنه ــ كما قلت مراراً وتكراراً ــ جاء إلى الكتاب بفكرة مسبقة خاطئة هي أنه اختيار الممتع، وهذه الصفحات ــ من وجهة نظره ــ لا تصلح أن تكون مفتتح هذا الاختيار.

ثم إنه فعل ذلك امتثالاً لقول ناسخ المخطوط «من هاهنا ابتدا منتخب الممتع من أوله»، علما بأن هذه العبارة قد جاءت بعد عشرة أسطر من جملة خمسة عشر سطراً هي كل ما في الصفحة ٢٥، ومجيئها هكذا في لوحتها، وليس في أول اللوحة التي تلتها يضعفها و يشكك في صدقها.

وقد ظلت كذلك إلى أن قرأنا في اللوحة ١٧[ومن كتاب الممتع لعبدالكريم في فضل الشعر وما تعلق به وانضاف إليه من خبر وشعر قال...] فقد كان هذا التوثيق من المؤلف لما سينقله من الممتع دحضا لعبارة الناسخ، وإبطالاً لها، لأن ما بعدها لو كان من الممتع ما احتاج

المؤلف إلى أن يوثق ما نقله عن عبد الكريم في اللوحة ١٧ بأنه من كتاب الممتع.

هذه الملابسات وحدها كانت خليقة بأن تثنى الكعبى عن نقل الصفحات المذكورة إلى آخر الكتاب، فكيف وقد أحال المؤلف بعدها وعلى وجه التحديد في الورقة ٢٤ ص ٤٧ على شعر للأعشى كان قد ذكره في الصفحات المنقولة، وعلى وجه التحديد في الورقة ٥ ص ١٠ منها ؟!

ومرة ثانية نقول :

إن هذه الإحالة وحدها كانت كافية لردع الكعبى وكفه عن تصرفه الخاطىء، لكنه بكل أسف لم يرتدع ولم يكف عن خطئه. وبهذا العمل غير المسئول تعطلت إحالة المؤلف على ماسبق له ذكره

اقترف الكعبى هذا الجرم في حق المخطوط ابتداءً.

وجاء سلام فاقترفه اقتداءً بالكعبى وتقليداً له.

وإذا كان الكعبى قد جعل مابقى في مكانه من الباب الأول بعنوان [باب في كلام العرب]، فإن سلاماً قد جعل عنوانه عبارة الناسخ :

[من هنا ابتدا منتخب الممتع من أوله][1] أى بعد أن حذف منها [ها] وننظر في صفحة ٣٣١ من تحقيقه، فنقرأ في صدرها [باب في العفو

(١) ذكرت بمجيء عبارة [من هاهنا ابتدا منتخب الممتع من أوله] في اللوحة ٢٣ من المخطوط ماذكره الأستاذ جهاد الخازن من أن كتاب [عامل نوبة الليل] قد نُشر مصدراً بتنبيه يقول: «إن الكتاب يبدأ في منتصف جملة في الصفحة التاسعة» لكن ماذكره الأستاذ جهاد كان بعنوان [هفوات] والحمد لله أن الشرق والغرب قد التقيا. [الشرق الأوسط ــ الصفحة الأخيرة ــ ركن صباح الخير ١٤٠٣/٣/٨هـ.

عمن أذنب] والهامش رقم (١) بها هو «يرد هذا الباب في موضع سابق بالمخطوطة، ورأينا وضعه هنا للمناسبة».

هكذا بكل بساطة وجرأة. ولنا عليه في ذلك ثلاثة مآخذ هي :

(أ) أنه جعل جزء الباب باباً كاملاً.

(ب) أنه لم يحدد مكانه السابق في المخطوطة.

(جـ) أنه اعتمد المناسبة علة كافية للتغيير الكبير الذي أحدثه في نسق المخطوطة و[المناسبة] علة حضورها أقل من غيابها، ولو فتحنا بابها على مصراعيه كما فعل صاحبنا لهبت ر ياح التغيير بشكل خطير على كل مالا نفهم، مثلما حدث هنا

* * *

ونوازن بين الرجلين فنجد أنهما مشتركان في العمل الخاطىء وهو تنكيس الكتاب بجعل أوله آخره.

ونلوم الكعبى أكثر، لأنه تنبه إلى إحالة المؤلف، لكنه برغم تنبهه لها أهدرها، ومضى في عملية النقل حتى أتمها.

أما تابعه الحميم الدكتور سلام فلم يتنبه إلى إحالة المؤلف، وسهَّل ذلك له تقليد الكعبي تقليداً أعمى، وهذا دليل على أنه كان يسرق عمل الكعبى بعجره وبجره

— ٣ —

نصحب التحقيقين في هذه الفقرة لنعطى تصوراً عنهما ونبدأ منهما بما صدر أولا وهو :

اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله

لعبد الكريم النهشلي القيرواني
تقديم وتحقيق الدكتور منجي الكعبي

جاء هذا السفر في ٦٥٤ صفحة. بيانها هو ورقتا العنوان الخارجية والداخلية، تليها مقدمة التحقيق في ثلاث صفحات، فصورة وجه الورقة الأولى من المخطوط، وصورة ظهر الورقة الأولى من المخطوط، وصورة وجه الورقه ١٨ من المخطوط.

ومع ص ١١ يبدأ النص لينتهى في ص ٥٠٠.

ومن ص ٥٠١ إلى ص ٦٥٤ تسعة فهارس هي :

١ ــ فهرس الموضوعات ٥٠٣ ــ ٥٢٠

٢ ــ فهرس الأسماء ٥٢١ ــ ٥٩٧

٣ ــ فهرس المعانى العامة ٥٩٩ ــ ٦٠٨

٤ ــ فهرس المقطوعات الشعرية ٦٠٩ ــ ٦٤٤

٥ ــ فهرس اللغة ٦٤٥ ــ ٦٤٩

٦ ــ فهرس الإشارات النحوية ص ٦٥٠

٧ ــ فهرس الآيات القرآنية ص ٦٥١

٨ ــ فهرس الأحاديث النبوية ص ٦٥٢ ــ ٦٥٣

٩ ــ فهرس الأمثال ص ٦٥٤.

وفي الكتاب ثمان صفحات بيضاء جاءت فواصل بين أشياء مختلفه هي الصفحات الاعتبارية ٢٢٨، ٢٧٨، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤١٢، ٤٥٢، ٤٦٦، ٤٩٨

وفيه كذلك سبع صفحات خالية من الهوامش هي :

٧٨، ١٤٠، ١٩١، ٣٤٤، ٣٨٦، ٣٩١، ٤١١. والصفحات [١٩١، ٣٨٦، ٣٩١] لايزيد عدد أسطر الأصل فيها عن ٤، ٥، ٦ على التوالى.

أما الصفحات ذات الهامش الواحد، وعددها خمس وعشرون صفحة فهى : ٥٦ [وهامشها الواحد عشرة أسطر]، ٨٦، ٨٨، ١٠٣، ١٦١، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٣١٢، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٥١.

* * *

وبالتحقيق صفحات، مساحة الهوامش فيها أكبر من مساحة الأصل كالصفحات : ١٢٦، ١٢٩، ٢٤٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٣٠، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٨٧، ٤٨٨.

* * *

هـذا عن التحقيق شكلاً. أما مضموناً فإن الكعبى قد وصل فيه إلى مسـتوى لابـأس به من حيث معايشة النص وفهمه. ولنفرق بين موقفين للكعبى هما :

موقفه من الكتاب الذي حققه وهو أنه اختيار الممتع. وهذا مالا أتفق معه فيه ولا أقره عليه.

وموقفه من النص المحقق. وهذا ما أنا راضٍ عنه ومقدر له. فلا يتهمنى القارىء العجلان بأننى لم أثبت على رأى في الكعبى.

هو مخطىء فيما ارتأى من رأى.

وهو موفق فيما حقق من نص.

وهذه نماذج من تحقيقه :

(أ)

نطالع في ص ١٢٥ قول أبى الطمحان القينى :

فـإنـى مـن القـوم الـذيـن هـم هـم
إذا مـات منهـم سـيـد قـام صـاحـبـه

كـواكـب مجـد كـلما غـار كـوكـب
بـدا كـوكـب تـأوى إلـيـه كـواكـبـه

أضـاءت لهـم أحـسـابهـم ووجـوهـم
دجـى اللـيـل حـتـى نـظَّـم الجزع ثـاقبـه

ومـازال منهـم حـيـث كـان مـسـود
تـسير المـنـايـا حـيـث سـارت كـتـائـبـه.

تلك كانت أبيات أبى الطمحان، وهاهو ذا هامشها :

«البحر الطويل، وبعضهم ينحل هذا الشعر للقطامى. الشعراء : ٦٩٢ وهو منسوب إليه في الكامل ١ /٤٩ وفي معانى العسكرى ١ /٢٢ أن أمدح بيت قالته العرب قول أبى الطمحان القينى، ثم ذكر الأبيات الثلاثة ألاخيرة، وأمالى المرتضى ١ /١٨٦، الحماسة البصرية : ٦٧، زهر الآداب (الرحمانية) ٢ /١٩٦، والأغانى [دار : ١١ /١٣٢، النويرى : ٣ /١٨٣، حماسة أبى تمام (بن ١٨٢٨) : ٧٠٠، خزانة البغدادى : ٣ /٣٢٦، لباب الآداب : ٣٦٧، اللآلى: ٢٣٥، ونسبه ابن قتيبة [عيون الأخبار ٤ /٢٩] إلى لقيط بن زرارة، وكذلك في الحيوان ٣ /٣، وأشباه الخالديين : ١٥٧/١.

(ب)

قال النجاشى ــ وهو شاعر يمنى اسمه قيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب ــ يمدح هند بن عاصم السلولى، وكان قد اجتاز به حين ضربه علىٌّ رضى الله عنه في شرب النبيذ، وشرب في شهر رمضان فجلده الحد، وزاده عشرين لحرمة الشهر، وأقامه للناس في مِسْح شَعر، فألقى عليه هند كساء خز أرجوان :

إذا الله حيَّا صالحاً من عباده
كريماً فحيَّا الله هند بن عاصم

وكل سلولى إذا ما لقيته
سريع إلى داعى العلا والمكارم

هم البيض ألواناً وديباج أوجه
كرام إذا مارت وجوه الألائم

ذلك كان شعر النجاشي في مدح هند بن عاصم، وهذا هو الهامش رقم (١) تعليقاً عليه.

«البحر الطويل وهذا الخبر في اللآلى : ٨٩٠، والشعراء : ٢٨٩، وخزانة الأدب للبغدادى : ٤ /٣٦٣، والبلدان : ٧ /٢٩٩.

وجميع هذه المصادر ليس فيها ذكر هند بن عاصم، ولا الأبيات التى مدحه بها النجاشي، وإنما فيها أن عليا جلده ثمانين جلدةً وزاد عشرين، فقال له : ماهذه العلاوة يا أبا الحسن؟! قال : لجرأتك على الله، وشربك في رمضان، ولأن ولداننا صيام وأنت مفطر، ووقفه للناس في تبان، فهجا أهل الكوفة فقال :

إذا سقى الله قوماً صوب غادية
فلاسقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم
والناكحين بشطي دجلة البقرا

والسارقين اذا ما جن ليلهم
والدارسين إذا ما أصبحوا السورا

وأورد الجاحظ في البيان [٣ /١٠٩] الأبيات الثلاثة التي مدح بها النجاشى هند بن عاصم، دون الإشارة إلى الخبر، والبيت الثالث عنده هو :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم
ولاينتقى المخ الذي في الجماجم[١]

(١) اختيار من كتاب الممتع. منجي الكعبي ص٢٧٦.

(جـ)

في ص ٤٣٠ نجد :

وقال عنترة :

يقول لى المهلب كل يوم
تقدم حين جدَّ بنا المراس

فمالى إن أطعتك غير نفسى
ومالى غير هذا الرأس راس

وقد علق الكعبى على ذلك بالهامش رقم (٦) وهو :

«البحر الوافر. هذان البيتان ليسا في ديوان عنترة [تحقيق عبدالمنعم شلبى – طبع المكتبة التجارية – مصر، وكذلك طبع صادر بيروت ١٩٥٨]، ولا في شعره المجموع في شعراء النصرانية، ومعنى ذلك أنهما لايعرفان له في المصادر الأدبية التي اعتمد عليها في تخريج ديوانه وجمع شعره، وورود ذكر المهلب فيهما يدل على عدم صحتهما لعنترة، مع أنهما يفقدان خصائص شعر عنترة، والبيتان في معانى العسكرى ٢ /٢٥٠ غير منسوبين، وروايته :

«....... لى الأمير بغير شك....»

«أطعتك من حياة .. ومالى بعد هذا...»

والبيتان رويا لحميد الأرقط، وقد أنشد الحجاج يوماً قصيدة يصف فيها الحرب فقال له الحجاج :

أما القول فقد أجدته، وإنى سائلك ياحميد : هل قاتلت قط؟ قال :

لا إلا في النوم. فقال له : كيف كانت وقعتك؟ قال :انتهت وأنا منهزم وقلت :

يقول لى المهلب ....[البيتين]

وفي كتاب غرر الخصائص للوطواط ص ٢٤٩ :

وقال المهلب لحبيب بن عوف، وكان من جنده في قتال الخوارج : كر على القوم وخذ مائتين صحاحا، فأومأ إلى رأسه وقال : أخاف أن يذهب رأس المال وأنشد :

يقول لى الأمير بغير نصح .‘. تقدم... إلى آخر البيتين».

* * *

وقبل أن نغادر تحقيق الكعبى نبدى الملاحظات التالية عليه

— ١ —

اكتفى الكعبى بذكر المصادر والمراجع في هوامش الصفحات، ولم يجمعها كالمعتاد في آخر الكتاب، وهذا تقصير منه، لأنه في الهوامش لايذكر رقم الطبعة ولازمانها ولا مكانها، فضلاً عما في الاكتفاء بذكرها في الهوامش من تصعيب على من يريد الرجوع إليها.

(ب)

قبل أن يطبع الكعبى مخطوطه كان قد فهرسه فهرسة كاملةً، ولعلّ هذا هو السبب في أنه عوّل في الكتاب المطبوع على أرقام المخطوط وهو يعمل فهارس الموضوعات والمعانى والألفاظ والآيات والأحاديث والأمثال وغيرها، وهذا المسلك غريب ومعيب.

في فهرس المطبوع، نجد الموضوع لكن رقمه المكتوب إزاءه ليس رقم صفحته في المطبوع، بل رقم لوحته في المخطوط بوجهها (أ) أو بظهرها (ب) ولايظن أحد أننى أشنع على الكعبى بنسبة هذا العمل الشاذ إليه، هاهو ذا يقول في ص ٥٠١ :«الأرقام تشير إلى أرقام المخطوط، والحرف(أ) يشير إلى وجه الورقة، والحرف (ب) يشير إلى ظهر الورقة، والرقم الموالى للحرف يشير إلى الفقرة» انتهى كلام الكعبى، وقد كان تنفيذه له سبباً في كون فهارسه غير مسعفة.

(جـ)

لم يخل تحقيق الكعبى من أخطاء في الضبط تؤثر على المعنى، من ذلك مانجده في ص ١١ سطر ٤.

يقول المؤلف : «فهو ــ القرآن الكريم ــ يجل عن سجع المتكلمين، ويعظم عن وزن المتكلفين من الخطباء والشاعرين وآية معجزة باقية» حق الكلمات الثلاث الأخيرة الرفع منونة :

[آيةٌ] خبر ثالث لضمير الرفع المنفصل [هو].
و[معجزةٌ] و[باقيةٌ] صفتان لـ[آية]

لم يلتفت الكعبى إلى ذلك فجعل [آية معجزة] مضافا ومضافا إليه، وهو خطأ، فالإعراب فرع المعنى، والقرآن الكريم ليس علامةَ معجزةٍ باقيةٍ، وإنما هو المعجزةُ الباقية نفسها.

* * *

ومن ذلك ضبطه كلمة [بَنِيَّ] في قول أوس بن حجر ص ١٥٤

بَنِيَّ ومالى دون عرضى وقاية
وقول كوقع المشرفى المصمم

فقد ضم الباء فصارت [بُنَّى] المسبوقة بياء النداء في قوله تعالى: «يابُنىَّ إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ....» وهو خطأ صوابه [بَنِىَّ] — بفتح الباء وكسر النون — وهي [بَنِىَّ] المسبوقة بياء النداء في قوله تعالى: «يا بَنِىَّ لا تدخلوا من باب واحد....»

وقد تكرر الضبط بتكرر البيت في ص ٣٦٥، وهذا يؤكد أنه مقصود للمحقق ولو كان الشاعر يريد ابناً واحداً لقال: [ابنى ومالى] لكنه قصد أولاده كلهم، وهو أبلغ في دلالته على اعتزازه بعرضه.

* * *

ومن الخطأ في الضبط كذلك جعل قافية البيت الثاني مرفوعة في قول أبى محجن الثقفى:

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته
وسائلى الناس ما مجدى وما خلقى

القوم أعلم أنى من سراتهم
إذا تطيش يد الرعديدة الفرق

ضبطها المحقق بالضم متصوراً أنها صفة لـ[يد] والواجب ضبطها بالكسر، لأنها صفة لـ[الرعديدة] تقول رجل رعديد ورعديدةٌ أى جبان تصيبه رعدة من خوفه أو عند خوفه، ولئلا يكون في البيت إقواء

* * *

وبسبيل مما سبق، ضبط كلمة [كلّ] بالضم في بيت المتنبى من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة:

يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كلّ شيء بعدكم عدم

وحقها النصب، فوجداننا مصدر مضاف إلى فاعله وعاملٌ النصب في مفعوله.

وضبط كلمة [معرفة] بالنصب في البيت الآتى وهو من قصيدة البيت السابق :

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة
إن المعارف في أهل النهى ذمم

والصواب [معرفةٌ] بالضم لأنها مبتدأ مؤخر[1]

* * *

ومن التصحيف والتحريف مانجده في السطر الأول من ص ١٧٢ وهاهو ذا مسبوقاً بالسطر الأخير من ص ١٧١ :

«وقالوا : واللسان البليغ، والشعر الجيد لايجتمعان إلا قليلاً، وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة القلم وبلاغة الشعر».

اللسان البليغ يعنى الخطابة، وبلاغة القلم : تعنى الكتابة. والمعنى:

إذا كان اجتماع الخطابة والشعر في الشخص الواحد قليلاً ونادراً فإن اجتماع الكتابة والشعر في الشخص الواحد أقل وأندر.

ولم يفطن الكعبى إلى ذلك فاستبدل العلم بالقلم في العبارة السابقة.

* * *

(١) تحقيق الكعبي ص٤٢٠.

ومن التصحيف والتحريف جعل [لى][بى] في قول الشاعر :

لعلهم أن ينظروا بى بنعمة
كما صاب ماء المزن في البلد المحل[1]

والأحسن أن تكون (نى) أو [لى] لا [بى] لما في تعاقب مجرورين بالباء من ثقل

* * *

ويتبلد ذهن الكعبى أحياناً فلا يفهم الواضح السهل.

في (باب دعاء بعضهم على بعض) نقرأ قول الشاعر داعياً على من كناه أبا ربيب :

تجنبك الجيوش أبا ربيب
وجاد على دياركم السحاب

وقد شرح المؤلف هذا البيت فقال : أى لا كان لك مال نعرى عليه. أى لازلت فقيراً، وجادت السحاب على ديارك لتراه حسرة، والعرب تقول : مرعى ولا أكولة، وعشب ولابعير[2]

ولأن جمهرة من حروف المخطوطة غير منقوطة، فقد عجز الكعبى عن فهم الجملة الأولى من شرح البيت، واكتفى ــ لذلك ــ برسمها كما هي، واضعاً بعدها علامة استفهام هكذا : «أى لا كان لك مال نعرى عليه (؟) ألازلت فقيراً».

---

(١) تحقيق الكعبي ص٣٨٧.

(٢) تحقيق الكعبي ص٣٨١.

وأقول له : إنها [تُغزى عليه] بالبناء للمجهول، فعل مضارع من [غزا] أو من [الغزو].

يدعو الشاعر على أبى ربيب بألا يكون له مال تغزوه الجيوش عليه أى بسببه ومن أجله

* * *

الممتع في صنعة الشعر

تأليف : عبد الكريم النهشلي القيرواني
تحقيق : الدكتور محمد زغلول سلام

يقع هذا التحقيق في ٤٤٦ صفحة بيانها هو :

صفحة العنوان وظهرها ١ ــ ٢

مقدمة التحقيق ٣ ــ ١٠

النص المحقق ١١ ــ ٣٣٥

فهرست قوافى الشعر ٣٥٧ ــ ٤٠٥

فهرست الأعلام ٤٠٧ ــ ٤٤٣

فهرست الموضوعات ٤٤٥ ــ ٤٤٦

وننبه إلى أن :

(أ) بالتحقيق ثلاث عشرة صفحة بيضاء جاءت فواصل بين أشياء مختلفة، وهذا بيانها :

٢، ٣٢، ٧٦، ٨٤، ١٠٨، ١٥٤، ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٧٨، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٥٦.

(ب) الصفحات المصمتة في التحقيق كثيرة كثرة مفرطة، فقد بلغت اثنتى عشرة ومائة صفحة.

وأعنى بالصفحات المصمتة تلك التي لايوجد أى هامش بها، وهذه أرقامها :

١١، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٩٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥.

(جـ) الصفحات ذات الهامش الواحد عددها تسع وستون صفحة هي:

١٣، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٦٠، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٨٨، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١١٢، ١٢١، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٨، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٤٧.

(د) إذا أضفنا ورقة العنوان إلى صفحات المقدمة والصفحات البيضاء، والصفحات المصمتة فإن حاصل الجمع يكون ١٣٥ خمسا وثلاثين ومائة صفحة هي بمثابة العائد العادم في عملية التحقيق، بل إن العائد العادم أفضل منها، فهو ـ لأنه عائد ـ عمل. أجل. إنه عمل عقيم، لكنه عمل على أيِّ حال. أما هنا أى في حاصل الجمع الذي معنا، فإن محققنا لم يعمل عملاً ما، وفيما عدا المقدمة لم ينبس ببنت شفة.

وبطرح ١٣٥ من ٣٥٥ تبقى ٢٢٠ صفحة هي كل ما حقق. فإذا لاحظنا أن منها [٦٩] صفحة ذات هامش واحد، وأن كثيرا من هذه الهوامش مثل [كذا بالأصل]، [ديوانه ص ٣١٠]، [ديوان الأعشى رقم ٢٦]، [ديوان جرير ص ١٢٧]، [في اللسان المزير : الشديد القلب]، [البيتان ليسا في ديوانه طبع بيروت] أدركنا هزال هذا التحقيق وقلة جدواه.

* * *

ومن الأمور الصارخة فيه وجود أبواب كاملة به لانرى فيها مايدل على قراءة المحقق لها، كباب في ذكر بيوتات العرب، وباب في ذكر اللباس والطيب.

وتتأكد عدم جدية وأكاد أقول عدم علمية الدكتور سلام في تحقيقه المكرر لما سماه [الممتع في صنعة الشعر] حين نوازن بين الصفحات البيضاء في تحقيق الدكتور الكعبى، والصفحات البيضاء في تحقيقه

فهى هناك ثمان صفحات من ٦٦٤ صفحة.
أما هنا فثلاث عشرة من ٤٤٦ صفحة.
والصفحات المصمتة هناك سبع من ٤٩٠ صفحة

أما هنا فاثنتا عشرة ومائة من ٣٣٤ صفحة

والصفحات ذات الهامش الواحد هناك خمس وعشرون صفحة من ٤٨٣ صفحة

أما هنا فهى تسع وستون من ٢٢٠ صفحة

ولا نجد عنده ما وجدناه عند الدكتور الكعبى من صفحات مساحة الهوامش فيها أكبر من مساحة الأصل.

* * *

ما سبق. كان العَرَض في تحقيق الدكتور سلام.

أما الجوهر، فقد كفانا مئونته زميله الدكتور هدارة في مقاله ذاك بعالم الكتب، وسأكتفى منه بأفكاره الرئيسية وبأقل القليل من الأمثلة، مسجلاً للدكتور هدارة ما اتصف به في أكثره من موضوعية ومن غيرة علمية، ومن مراعاة للحق والعدل، لا للهوى، ولا للعلاقات الشخصية بأنواعها المختلفة من صداقة وعداوة ومابينهما، وبما يترتب عليها من مواقف ومنافع قال : «... فإذا أتينا إلى نص الكتاب المخطوط وجدنا عجبا من العجب حتى لكأن الدكتور زغلول سلام قد أخذ على عاتقه تشويه النص بشتى الوسائل متجاوزاً عن الأوليات التي يأخذ بها المتعلم الناشىء نفسه حين يتصدى لقراءة النص بله تحقيقه، فما بالك بأستاذ جامعى كان رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة عريقة ينبغى لها أن تحاسبه على هذا العمل المشوه الذي يهز الثقة في أساتذتها.

وما من سبيل لتأكيد صدق هذا القول إلا من خلال مراجعة مواطن الخطأ في الكتاب صفحة صفحة، ويشهد الله أننى ما استطعت أن أمضى فيه ضيقاً وألما، واكتفيت بالوقوف عند نهاية ثلثه الأول، ضنا بوقتى وبوقت القارىء لهذا النقد ..

وعلى أية حال فإن ما استدركته من أخطاء، مطرد في الكتاب كله...»

* * *

بعد هذه المعاناة النفسية، ـ وهي علامة صحة ـ ينتقل الدكتور هدارة من الإجمال إلى التفصيل.

وهو يحصر عناصر تشويه النص المحقق في خمسة أمور هي :

أولا : «التحريف والتصحيف نتيجة سوء القراءة والفهم، والجهل بالمصادر اللغوية والتاريخية والأدبية وكتب التراجم» يقول الدكتور هدارة ذلك، ويسوق أمثلة كثيرة له.

وقد عددت هذه الأمثلة فوجدتها (١٧٩) تسعة وسبعين ومائة مثال. بحسبنا هنا خمسة منها هي

ص	س	الخطأ	الصواب
١٨	٢٦	إن امرأة(مكنته [من دولتها] لمنقطعة الحسن	إن امرأه سكينة مردودتها لمنقطعة الحسن
٣٥	١٨	لو طولت[لاستعربت] [سالما] عليها.	لو طولت لأشقرك هذا لجال عليها.
٦٤	١	يكافىء الأكفاء	ينكى في. أى يغلب
٨٣	١٤	كان رجل (يقول): [إننى بعشرة آلاف إنسان]	يقول الدكتور هدارة : «وما أعجب هذا التحريف، فالمحقق لم يستطع أن يقرأ الكلمة الأولى وصحتها [يعول] فأباح لنفسه تغيير بقية الألفاظ، لتتمشى مع قراءته السقيمة. وصحة العبارة«يعول اثنى عشر ألف إنسان
٨٩	٢٠	إنى لأبغض الفتاة [الكلوم]	إنى لأبغض الفتاة الكلوء. والعين الكلوء هي العين الساهرة التي لايغلبها النوم من العشق عادة.

ثانياً : «يرجع التشويه المخزى في هذا الكتاب إلى افتقاد الأمانة العلمية الواجبة فيمن يتصدى لتحقيق النصوص المخطوطة خاصة، فالمحقق ليس حرًّا في تغيير كلمة في النص مالم يكن هناك داع علمى.

ولكن الدكتور سلام أباح لنفسه التعديل والتغيير بصورة مؤسفة، وفيا يلى بيان ذلك».

هذا كلام الدكتورهدارة ، وقد بينه بسبعة وأربعين مثالاً.

نكتفى بمثالين منها هما

ص	س	الخطأ	الصواب
١٣	١٦	فقال : بديت وأبديت فأنا مبد.	يُقال : يديت عند الرجل يداً صالحة، وأيديت فأنا مود : اتخذت عنده يداً. يقول الدكتور هدارة: ومن العجيب أن الفعل الذي أخطأ فيه المحقق مشروح في العبارة نفسها، ولكنه لم يلتفت إلى المعنى ورسم العبارة رسماً خاطئا وغيَّر الألفاظ لتتفق مع خطئه.
١٧	٦	فإن [أحدثت] بعدها نكلت بك	فإن وجدتك بعدها نكلت بك

ويمضى الدكتور هدارة في المأخذ الثاني قائلاً :

«ومن الوسائل التي استخدمها الدكتور سلام في تغيير النص الذي ينقل عنه، إسقاطه بعض الألفاظ والعبارات، أوزيادته لها حيث لاموجب للإنقاص أو الزيادة، بل نجد الأمر على النقيض تماماً، إذ أحدث النقص والزيادة تشوها في النص بحيث يتعذر على القارىء إدراك معنى ما يقرأ، وسوف أضرب فيا يلى أمثلة على ذلك..».

ويفي بوعده فيضرب ثمانية عشر مثالاً، هذا واحد منها

ص	س	الخطأ	الصواب
١٩	٦	فنظر إلى فاطمة حاسراً تضرب وجهها وعرف ذلك فيها، فلما حلت أرسل يخطبها فقالت: كيف [بيمين]	فنظر إلى فاطمة حاسراً تضرب وجهها [فأرسل إليها: إن لنا في وجهك حاجة، فارفقي به، فاسترخت يدها وخمرت وجهها] وعرف ذلك فيها، فلما حلت أرسل يخطبها، فقالت : كيف [بيميني]

وللمأخذ الثاني مظهر ثالث يتمثل في قول الدكتور هدارة :«وإذا استهول القارىء تحريف الدكتور سلام في الكلام المنثور على هذه الصورة المؤسفة، فلا شك أن الدهشة سوف تستغرقه حين نبين هذا التحريف في المنظوم حتى لكأن الأستاذ المحقق يحاول رسم الكلام دون فهمه على وجهه الصحيح، وكأنه لايعرف مبادىء العروض في كثير من الأحيان».

- ويبين الدكتور هدارة تحريف الدكتور سلام للشعر بأربعة وعشرين ومائة مثال. هذان مثالان منها :

ص	س	الخطأ	الصواب
٨٠	١٠	لعسر مابين الملوك سعى بها ليجمد سياربن عمرفأسرعا	يقول الدكتور هدارة : وصحة هذا البيت الأعجوبة في تحريف اللغة والعروض بعشر مئين للملوك سعى بها ليحمد سيار بن عمر فأسرعا.
٩٠	٦	وإن كان قد[سف]الوجوه [لها]	يقول الدكتور هدارة : وصحة هذا الشطر العجيب : وإن كان قد شقَّ الوجوه لقاء

وبإضافة مظاهر التحريف في الشعر إلى مظاهر التحريف في النثر تصير جملة الأخطاء في المأخذ الثاني [١٨٩] تسعةً، وثمانين ومائة خطأ.

* * *

ثالثا : يقول الدكتور هدارة :«ومادمنا بصدد الشعر الذي ساء حظه بتحقيق الدكتور زغلول سلام، ينبغى لى أن أذكر أن المحقق كاد أن يضرب إضراباً تاماً عن تخريج هذا الشعر، بل عن كل ماورد في الكتاب من نصوص شعرية كانت أم نثرية، أما نسبة النصوص لقائليها ـ وهي من أهم ماينبغى للمحقق أن يجعله نصب عينيه ـ فلم يشغل المحقق بها نفسه، واكتفى بنسبة ما أثبته المؤلف لقائلها، وسأضرب لذلك بعض الأمثلة».

ولقد كان عدد الأمثلة التي ضربها الدكتور هدارة للمأخذ الثالث [٥٦] ستة وخمسين مثالاً. هذه خمسة منها :

١ ــ في ص٢٤ بيت لامرىء القيس لم يخرجه المحقق، وحرفه تحريفاً شنيعاً، وهو مثبت في الديوان ص ١٣٣، وفي الاشتقاق : ٢٥٨ ولسان العرب مادة [ثغر] هذا ما قاله الدكتور هدارة.

وقد جاء البيت في تحقيق الدكتور سلام هكذا :

لا حميرى قعا ولا عدس
ولا است عنز يحكها البقر.

وفي تحقيق الدكتور الكعبى ص ٣٣ هكذا :

لاحميرى قعا ولا عدس
ولا است عير يحكها الثَّفَرُ.

والأصل يحتملهما ويمكن أن يكون أحدهما.

ومن الموزانة العارضة بين المحققين أو بين التحقيقين القول بأن البيت قد جاء في صفحة مصمتة عند سلام، على حين ظفر من الكعبى بهامشين، في ثانيهما ما قاله الدكتور هدارة هنا.

٢ ـ في ص ٣٤ أبيات أحيحة بن الجلاح لم يخرجها المحقق، وهي موجودة في عيون الأخبار : ١ : ٢٤٠ والأغانى ١٥ : ٣٧، ومعجم البلدان ٤ : ٤١٢.

انتهى كلام الدكتور هدارة.

وإذا كان الدكتور سلام لم يخرج أبيات أحيحة، فإن الدكتور الكعبى قد خرجها، وشرح إحدى مفرداتها، ونص على اختلاف الرواية في بيتين منها(١) .

٣ ـ في ص ٤٦ بيتان لحسان بن ثابت، ذكر المحقق أنهما ليسا في ديوانه، وهما مثبتان في ديوانه بتحقيق سيد حنفى : ٧٣.

* * *

والبيتان المشار إليهما لم يجدهما الكعبى أيضاً في ديوان حسان طبع البرقوقى.

وسيعود الدكتور هدارة مرة أخرى إلى مؤاخذة الدكتور سلام لاعتماده في تحقيقه على الطبعات التجارية السقيمة، ومما سيمثل به لذلك رجوعه إلى ديوان حسان طبعة بيروت، وعدم رجوعه إلى طبعته بتحقيق وليد عرفات، أو طبعته بتحقيق سيد حنفى.

---

(١) تحقيق الكعبي ص٤٦ هامش رقم(٢).

٤ ــ في ص ٧١ أبيـات للفرزدق ذكر المحقق أنها غير موجودة في الديوان طبعة الصاوى مع أنها مثبتة فيه.

انظر الديوان ١ : ٣٠٨ وانظر الأغانى ٢١ : ٢٩٦.

* * *

وأقـول للدكتور هدارة : إن محققنا الفاضل الدكتور سلاماً أذكى من أن يضيع وقته، أو يتعب نفسه بالرجوع إلى ديوان الفرزدق، ولو أنه رجع إلـيه ــ كما يـدعـى ــ لـوجـد الأبيات فيه كما وجدتها أنت والمسألة أن الـدكـتـور الـكـعـبـى سـبـقـه إلـى الـقـول بـعدم وجود الأبيات في ديوان الـفـرزدق، ولـما كـان الدكتور سلام قد اعتمد الكعبى ــ في السر لافي العلن ــ مرجعاً له، فقد ردَّد وراءه ما قاله[1] .

٥ ــ وفي ص ٨٥ قول الشاعر :

إن المـهـالـبـة الـكـرام تحـمـلـوا
دفـع المـكـاره عـن ذوى المـكـروه

زانـوا قـديمـهـم بحـسـن حـديـثـهـم
وكـريم أخـلاق بحـسـن وجـوه

ولم يـنـسبهما المحـقـق، ولم يخرجـهما وهما للفرزدق، ومثبتان في البيان والتبين ٣ : ٢٣٢ وفي عيـون ألاخبار ١ : ٣٤٢، وفي الصفحة نفسها قول الشاعر :

آل المهلب قوم خولوا شرفا... الخ

---

(١) انظر تحقيق الكعبي ص٩٦ هامش رقم٣.

ولم يخرجه المحقق وهو في شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٤٧ وفي شرح مقامات الحريرى ٢ : ٢٨٧».

* * *

انتهى كلام الدكتور هدارة.

والأمر ــ بشقيه ــ كما قال، وأحسن ما نجبر به تقصير الدكتور سلام هو الهامشان ١، ٢ في ص ١١٦ من تحقيق الكعبى، وللعلم. هي من الصفحات التي مساحة الهوامش فيها أكبر من مساحة الأصل، ولو أنني لم أنص عليها فيما سبق.

والدكتور سلام غير مسامح في إقدامه على تحقيق ماسبق لغيره أن حققه دون إضافة تبرر عمله، بل دون مساواة لغيره فيما عمله.

* * *

رابعاً : «لم يبذل المحقق أى جهد في تقويم النص وإصلاح الأخطاء التي وقع فيها الناسخ حتى بدا وكأنه ينقل رسم الكتابة دون أن يفقه معناها ومدلولاتها، ولم يراجع الروايات المثبتة في النسخة الخطية في المصادر المختلفة التي رددتها ليؤكدها أو يصححها، حتى بدا وكأنه يجهل كل شيء عن المصادر التي ينبغي له الرجوع إليها في مثل هذه الروايات، وسأحاول ماوسعني الجهد أن أضرب أمثلة قليلة حتى لايطول الحديث صفحات وصفحات».

والأمثلة التي ضربها الدكتور هدارة، وحرص على أن تكون قليلة حتى لايطول الحديث صفحات وصفحات.

هذه الأمثلة القليلة قد بلغت أربعين مثالاً، هذه خمستها :

ص	س	الخطأ	الصواب
١٨	١٦، ١٧	هذان السطران يشتملان على بيت من الشعر لابن ميادة. لم يفطن الدكتور سلام لذلك وكتبه بطريقة النثر بعد أن شوهه وأفرغه من مضمونه، كتب : فقال ابن ميادة هم لهم نبرة لم يعطها الله غيرهم وكل عطاء الله فضل مقسم	يقول الدكتور هدارة في كثير من ضبط النفس «وكأن المحقق غفر الله له لم يسمع بابن ميادة ولم يعرف أنه شاعر، ولم يستطع أن يميز بين الشعر والنثر فكان هذا الخطأ الفادح بتحويل بيت من الشعر إلى جملة نثرية مليئة بالتحريف وسوء القراءة. والبيت هو : لهم سيرة لم يعطها الله غيرهم وكل عطاء الله قصد مقسم(١) .

* * *

ونوازن بين الكعبي وسلام في قاصمة الظهور هذه فنجد أن الكعبى قد نجا منها

والدكتور سلام كان يراوح بين الأخذ والترك في انتفاعه بالكعبى، ثم إنه كان محكوماً بانفتاح عقله أو بانغلاقه وهو يتعامل مع النص المحقق، وكم خدعه عقله، وأوهمه أنه فاهم، وأنه عالم، وأن ليس ثمة مشكلة، وتكون الحقيقة غير ذلك غالباً كما هنا.

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٤	٥	وألحق الله تعالى [لعسارهم] و[أعفاهم] حميد أفعالهم	وصحة هذا النص العجيب : وألحق الله تعالى بيسارهم وغناهم حميد أفعالهم.

(١) في المخطوطة [ميزة] لا[سيرة] وانظر اللوحة ١٧أ.

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٤	٤	من جاء من نساء العرب بأربعة يحل لها أن تضع خمارها عندهم كأربعتى فصرمتى!	من جاء من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع خمارها عندهم، فصرمتى لها.

هذا ما جاء في مقال الدكتور هدارة. ولا تختلف عبارة سلام عن الأصل إلا في عدم ختمها بكلمة[لها] بعد [فصرمتى] والصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

ص	س	الخطأ	الصواب
٩١	١٠	[أراد أبو الطمحان المبالغة، لأن الجزع بالليل يخفى على ناظمه]	يقول الدكتور هدارة : «والمكان الصحيح لهذه العبارة بعد الأبيات البائية مباشرة، لأنها شرح لقول الشاعر في البيت الثالث : أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه * * * ومن العجيب ألا يدرك المحقق هذا، وأن تغيب عنه نسبة الأبيات إلى أبى الطمحان القينى الذي ذكره المؤلف صراحة في هذه العبارة

انتهى كلام الدكتور هدارة.

والحق ــ هذه المرة ــ مع الدكتور سلام، فهو قد فهم أن عبارة : [أراد المبالغة لأن الجزع بالليل يخفى على ناظمه] متعلقةٌ بالبيت الثالث

من أبيات أبى الطمحان، بدليل أنه هو الذي أظهر فاعل [أراد] بعد أن كان ضميراً مستتراً.

أجل فاسم [أبو الطمحان] الموجود بين قوسين في تحقيق الدكتور سلام من عمل الدكتور سلام، وليس من عمل مؤلف الكتاب. دليل ذلك عدم وجوده في الأصل.

ولم يلتفت الدكتور هدارة إلى حكمة وضع [أبو الطمحان] بين قوسين، فقال ما قال.

وإن دل هذا على شيء،فإنما يدل على أنه قد اعتمد في نقده بعد ذكائه على تحقيقى المخطوط، وهذا طبيعى، ولابأس به. لكن لابد في نقد تحقيق ما من الرجوع إلى الأصل وهو النصُّ غير المحقق.

ص	س	الخطأ	الصواب
٩٥	١٣	لقد رأيت الملوك في مجالسها وخولها ومجامعها	لقد رأيت الملوك في مجالسها ومجامع حفلها
٩٥	١٥	عرَّض عرضه [لمن] عرَّضه	عرَّض عرضه [من] عرضه.

والنص المخطوط غير الخطأ وغير الصواب هنا. وهذا هو :

«قال أبو عبد الله النديم : لقد رأيت الملوك في مجالسها حولها ومحا معها فما رأيت آدب من الواثق. لقد خرج علينا ذات يوم، وهو يقول : لعمرى. لقد عرض عرضه لمن عرضه لقول الخزاعى....».

أما الدكتور سلام فقد اجتهد وصحح السطر (١٣) من تحقيقه، ولم يجتهد ولم يصحح السطر (١٥)، لأنه لم يتنبه إلى أن به خطأ.

وأما الدكتور هدارة، فقد وظف النقل والعقل في نقده وتصويبه :

النقل : برجوعه إلى زهر الآدب ٦٩٦/٢

والعقل : بحذفه لام الجر من فاعل [عرَّض] وهو اسم الموصول [من].

* * *

خامسا : «وقع المحقق في عدة أخطأ حين أقدم على بعض الشروح أو الترجمة للشعراء، أو حين تعرض لضبط النصوص، أضف إلى ذلك أخطاء الرسم الإملائى وعثرات الطباعة التي تآلفت مع عناصر النقص والتقصير في وسائل التحقيق وعدته، لتخرج لنا كتابا أشد مايكون التحريف والتشويه فيه، وسأضرب لذلك بعض الأمثلة» وهذا البعض من الأمثلة للمأخذ الخامس قد بلغ (٤٧) سبعة وأربعين مثالاً، وكدأبنا نذكر خمسة منها :

١ ـ عن السطر [١٧] في الصفحة [١٢] يقول الدكتور هدارة : «يشرح المحقق البيت الأول للبيد دون أن يرجع إلى رواياته المختلفه التي يجدها في اللسان مادة [ضجع]، وفي أنساب الخيل : ٩١ وفي غيرهما حتى يعرف الوجوه المختلفة لمعنى الضجوع التي وردت في البيت، ولضبطها الصحيح أيضاً.

ففى بعض المصادر أن الضجوع هو قتادة بن كعب.

وحددت مصادر أخرى أن الضُجوع ـ بضم الضاد ـ حيٌّ من بنى عامر.

ونصت معظم المصادر أن الضَجوع في البيت بفتح الضاد، وهو اسم موضع.

أهمل المحقق ذلك كله واكتفى بالقول بأن الضجوع [التي ضبطها بفتح الضاد] قبائل ضبينه بن غنى»

* * *

انتهت مؤاخذة الدكتور هدارة للدكتور سلام.

والرأى عندى أنه هنا ليس موضع مؤاخذة، فهو لم يهمل مانصت عليه معظم المصادر من أن الضَّجوع ـ بفتح الضاد ـ وعبارته هي «والضجوع قبائل ضبينة بن غنى، وقيل : اسم واد، وغارة أسراب : تجيء أسرابا».

ثم هو قد ضبط الضاد بالفتح.

والبيت موضع النقد هو :ـ

لا تسقني بيديك إن لم ألتمس
نعم الضَّجوع بغارة أسراب.

فقول الدكتور هدارة :«أهمل المحقق ذلك كله واكتفى....» غير دقيق، لأنه لم يكتف بذلك، بل أضاف إليه ما نصت معظم المصادر عليه.

* * *

٢ ـ «في صفحة (٣٣) يعرف المحقق بأبى يعقوب الخريمى تعريفاً أشدَّ مايكون سذاجة، فهو [شاعر عباسى صغدى الأصل تركى الجنس]!! ثم يجعل وفاته في أوائل القرن الرابع [سنة ٣١٤هـ]!!».

* * *

هذا كلام الدكتور هدارة.

وبالرجوع إلى كلام المحقق لم أجد فيه [أوائل القرن الرابع] التي ربما تعارضت مع [سنة ٣١٤هـ] .

فما وجه العجب إذن؟ لست أدرى.

وهذا هو نص الهامش رقم (٢) ص ٣٣ «شاعر عباسى صغدى الأصل تركى الجنس توفى سنة ٣١٤هـ . له شعر مجموع. طبع دار الكتاب الجديد. بيروت سنة ١٩٧١، والأبيات ــ يقصد البيتين ــ ص ٥٥ من هذا المجموع، وفي البيان والتبيين ١ ــ ٣٨١، والمرباع الناقة الفتية».

٣ ــ ومن الخطأ في الضبط [أسْل] بسكون السين. والصواب [أسَل] بفتحها في قول الفرزدق ص ٧١ سطر(٥)

ما فاز في بدر ويوم حنينها
إلا الفوارس من بنى العوام

أسْل من المران في أيديهم
قامت بهن دعائم الإسلام

* * *

٤ ــ ومن الخطأ في الرسم الإملائى ص ٨٧ سطر ٤ [فعفى] بالياء، والصواب [فعفا] بالألف، فالمضارع [يعفو]، والمصدر [العفو]، وتقول : عفوت عمن أساء إلىَّ.

* * *

٥ ـ ومن الخطأ المطبعى ص ١٨ سطر ١٩ [بخرسان] والصواب [بخراسان]

* * *

ونختم بإحصاء ماسبق من أخطاء على الوجه الآتى :

المأخذ رقم (١)	١٧٩ خطأ
المأخذ رقم (٢)	١٨٩ خطأ
المأخذ رقم (٣)	٥٦ خطأ
المأخذ رقم (٤)	٤٠ خطأ
المأخذ رقم (٥)	٤٧ خطأ

٥١١

أحد عشر وخمسائة خطأ في الثلث الأول من التحقيق، وهو الثلث الذي يكون المحقق فيه نشيطاً ومتحمساً للعمل بدرجة أكبر مما يكون عليه في الثلثين الباقيين.

وبعملية ضرب تقوم على مراعاة المتوسط تصل أخطاء الكتاب إلى [١٥٣٣] ثلاثة وثلاثين وخمسائة وألف خطأ، لانجد أبلغ في التعليق عليها مما علق به الدكتور هدارة في ختام المقال قال :

«ويطول بنا الأمر طولاً مابعده طول لو أننا تتبعنا كل مافي الكتاب من نقص وتشويه وتحريف، فقد اقتصرتُ على قراءة ثلثه، وتزاحمت ملاحظاتى واستدراكاتى على هوامش الصفحات بل على

السطور والألفاظ حتى صار الكتاب موطوءاً بالقلم، وأصبحت أسير خجل لا أدرى منتهاه.

فإذا كان هذا التحقيق ثمرة أستاذ جامعى متخصص يأخذ بيد الشداة ، و يعلم الأجيال الجديدة أصول نشر المخطوطات، فما شأن الهواة والجهلاء والمتعالمين والأدعياء؟!!!

وآفة الآفات أن الأستاذ المحقق ــ بعد كل ماأحدثه في الكتاب من عاهات تستحق المؤاخذة الجنائية من محكمة العلم والتار يخ ــ صنع فهارس للكتاب حافلة بالأخطاء العلمية والمطبعية سواء في فهرست قوافى الشعر من حيث الروى على وجه الخصوص، أم فهرست الأعلام من حيث الخطأ في الأسماء والترتيب ألابجدى.

* * *

أما مراجع التحقيق ومصادره، فقد أغفلها المحقق إغفالاً تاماً ولم يورد معلومات كاملة عن الذي استخدمه منها ــ على قلته وتفاهته ــ حتى نعرف الطبعات التي رجع إليها، وتبين لنا من المراجع التي أثبت المحقق طبعاتها أنه لجأ إلى مانهى طلبتنا عنه، وأعنى بذلك الطبعات التجار ية غير المحققة تحقيقاً علمياً.

* * *

وصفوة القول أن تحقيق الكتب المخطوطة يحتاج إلى منة العلماء ذوى القدم الراسخة في العلم، الذين لايبغون لغواً ولاتهريجاً، ولاتستهويهم شهوة التكثر بالنشر، فما أسهل أن يتلقف الناشرون والطابعون الكتاب، وما أيسر أن يبيعوه لطلاب الأساتذة المحققين، ولكن الصعوبة الفادحة تكمن

في تقبل العلماء، ورضى الراسخين في العلم الذين يؤمنون بقول عمرو ابن معد يكرب الزبيدى :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ماتستطيع».

أما بعد :

فلقد كان معى الحق وأنا أقرر في مدخل هذا الفصل أنه ليس بين التحقيقين ـ تحقيق الدكتور الكعبى وتحقيق الدكتور سلام ـ ولا بين المحققين ـ الدكتور الكعبى والدكتور سلام ـ

ليس بين التحقيقين، ولا بين المحققين صيغة أفعل.

* * *

وإذا كنت هناك قد سألت :

لمصلحة مَنْ؟

فإننى كنت أعرف : لمصلحة مَنْ.

وما أرجوه الآن أن يكون القارىء أيضاً قد عرف عن بينة : لمصلحة مَنْ.

الفصل الثالث

هدي كامل المبرد



مَــدخل

ليس هذا العنوان مصادرة، فالنقاش قد أفرزه، وهو نتيجة منطقية لما سبقه.

والحق أنه ليس في الجعبة شيء آخر.

فإذا بطل أن الكتاب الذي حققه الدكتور الكعبى اختيار من كتاب الممتع، كما اتضح من الباب الأول.

وبطل أن يكون ماحققه الدكتور سلام الممتع في صنعة الشعر أو شيئاً منه كما اتضح من الفصلين السابقين.

لم يبق إلا أن ماحققه الرجلان إنما هو شيء آخر.

وإنه لكذلك من أول الأمر.

أكاد أتميز من الغيظ وأنا أقرر ذلك.

لأنه إذا كانت كتابة [هذا] بالياء، ليست من الجادة الإملائية في شيء[1] .

فإن قراءة [هدي] على أنها [هذا]ليست من القراءة الجادة في شيء أيضاً.

---

(١) انظر محمود محمد شاكر في مقدمة تحقيقه لطبقات فحول الشعراء ص١٤ طبعة المدني. العباسية ــ مصر سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الأولى تنطع، والثانية تسكع، أو العكس. والعجيب أنه ليس ثمة قرينة واحدة تبرر هذا المسلك الشاذ في تلقى التراث بقراءة خاطئة، ثم التصرف بناءً على هذه القراءة الخاطئة تصرفاً لابد أن يكون هو أيضاً خاطئاً.

هو خطأ مركب إذن.

ولن يخفف من ثقل التبعة فيه تحمل اثنين له، ولعل الأمر بالعكس، فقد صار الخطأ المركب عند أحدهما ذنباً مركباً عند الآخر.

سبق الدكتور الكعبي إليه، فتمرس به من تلقاء نفسه حقيقةً وتبعه الدكتور سلام فقلده فيما فعله.

وقد مضى القول بأن الكعبي اجتهد فأخطأ.

أما سلام فقد اقترف في تحقيقه وبه سرقة أدبية صارخة، ولو كان المسروق نفيساً، أو لو كان السارق انتفع انتفاعاً أدبياً بما سرق، لكنت قد ركبت موجة الدكتور هدارة وطلبت محاكمته، إن لم يكن نصفةً، فتلبيةً لدعوة الحريرى إلى أن نغار على بنات الأفكار غيرتنا على البنات الأبكار[1] .

لكن إذا كان الكعبى قد كوفىء على عمله في غفلة من زمنه بدرجة [الماجستير]، فإن الدكتور سلاماً قد حصَّل به مثلبةً أية مثلبة.

لقد تسلل إلى الكعبى ثم غادره بماظنه غنيمة باردة، ولما ضُبط متلبساً بما أخذه، سومح فيه، لأنه لا قيمه له، وقد سولت له نفسه أننا

---

(١) مقامات الحريري ص٢٢٣ طبعة المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

سنصدقه وهو يتجاهل الكعبى جملةً، فلا هو يذكره أو يتذكره، وكأنه لم يقرأه، ولم يستبح حرمه.

* * *

وبصرف النظر عن خطأ الكعبى، وعن ذنب سلام، فإن أدخل ما في هذا المدخل هو أنه إذا كانت الفصول السابقة قد أعطت وجهة نظرى من خلال موضوعاتها، أو مع موضوعاتها فإن هذا الفصل هو مجالها:

يقولها، ويؤرخ لها، ويسوق في البرهنه عليها مالم تسعه الفصول السابقة.

* * *

في ٧ /١/١٩٧١ حللت بالجزائر العاصمة، وبعد يومين كنت في كلية الآداب جامعة قسنطينة، أستاذاً للنقد الأدبى والبلاغة بها(١).

وقد سلكت طريق التنقيب عن النقد المغربى من أول وهلة، وقلت:

أحيى تراث الناس، ليقول المغاربة للمشارقة حديثا : ما قاله المشارقة للمغاربة قديما :«هذه بضاعتنا ردت إلينا».

وكان عبدالكريم بن إبراهيم النهشلى أول ناقد وقفت عنده.

علمت أن بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة مخطوطاً اسمه [قطعة

---

(١) كان الجزائريون وقتئذ يعطون لقب أستاذ Professor لكل حاصل على الدكتوراه، ولست أدري أبقى ذلك على حاله أم تغير.

من اختيار الممتع] للنهشلى فانتظرت حتى جاء الصيف، وفي يولية من تلك السنة كنت في دار الكتب المصرية أطلب المخطوط رقم ٥٤ ش أدب وجيء لي به مع مايسمونه القارىء الكهربي؛ ذلك أن المخطوط كان صورة بالميكروفيلم في علبة صغيرة تحمل رقم ٣٣٧٢ وهو ستون ومائة لوحة لكل لوحة وجه وظهر، فمجموعه عشرون وثلثمائة صفحة، والاسم الأصلي له وهو المثبت على صدره بخط كبير [هدي كامل المبرد] هكذا قرأته، مع أنه موطوء بكلمة [خطأ] ومكتوب فوقه وتحته [إنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبدالكريم].

ولم يقتصر التغيير على أول لوحة بل تكرر في آخر لوحة :

أنهى كاتب المخطوط مخطوطه بقوله «**إلى هنا انتها كامل المبرد بعون الله ولطفه، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم**».

هكذا بالألف في [انتهى] وبدون [هدي] وعلى يسار هذه العبارة كتب من كتب : «قلت : ليس هذا بكامل المبرد وإنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم».

ولم يكن صوابا هذا العمل، فالاسم الحقيقى للكتاب هو [هدي كامل المبرد] لمن؟ لانعرف، فلا يوجد تحت العنوان اسم المؤلف، ولعل هذا كان أحد العوامل التي جعلت الشخص المجهول يخطىء ظانا أنه يصوِّب.

* * *

وما أتصوره هو أن مؤلف [هدي كامل المبرد] ــ وأرجح أنه مغربى من بيئة النهشلى ــ قد أعجب ــ على عادة المغاربة ــ بكتاب الكامل للمبرد فاستوحاه، واهتدى به في تأليف كتاب على منواله، وكان أميناً وصادقاً فسماه [هدي كامل المبرد] وقد ضمنه عشرين بابا أولها [باب

في العفو عمن أذنب] وآخرها [باب فيما قالوه في التحذير والتخويف من شر عاقبة الظلم] وهو بأبوابه البعيدة عن النقد كتاب كامل في الأدب، وليس قطعةً أو جزءاً من كتاب [الممتع] وهو كتاب في النقد.

* * *

وقد جاء اللبس من أن المؤلف اختار قطعة من كتاب الممتع ضمنها الباب الأول من كتابه.

نقرأ في اللوحة ١٧ قوله : «ومن كتاب الممتع لعبدالكريم في فضل الشعر وماتعلق به وانضاف إليه من خبر أو شعر قال :

«لما رأت العرب المنثور يند عليهم وينفلت من بين أيديهم، ولم يكن لهم كتاب متضمن أفعالهم تدبروا الأوزان والأعاريض، وأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم مستوياً ورأوه باقيا على ممر الأيام فألفوا ذلك وسموه شعراً، والشعر عندهم الفطنة، ومعنى قولهم : «ليت شعرى أى ليت فطنتى، والشعر أبلغ البيانين، وأطول اللسانين، وأدب العرب المأثور، وديوان علمها المشهور، ولموضع قدر الشعر في العرب قال رؤبة بن العجاج في الحرب التي كانت بين تميم والأزد :

يا بنى تميم. أطلقوا لسانى، أى افعلوا ما أقول فيه، وقالت بنو تميم لسلامة بن جندل : مجِّدْنا بشعرك، فقال : افعلوا حتى أقول. ويقال : إنه ارتج على النابغة أربعين سنة، ثم كانت لبنى جعدة وقعة ظهروا فيها على عدوهم، فاستخف النابغة الفرح فراض القريض فلان له ماكان استصعب عليه، فقالوا : والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسرُّ منا بالظفر بعدونا. قال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت»

هذا هو النص الذي أورده المؤلف من كتاب الممتع فجار على كتابه كله وأكله، والدليل على أن ماقبل هذا النص ليس من الممتع، أننا نجد في اللوحة رقم ١٣ تعليقاً لعله من كاتب المخطوط، فحبره من حبره، وخطه يشبه خطه، وقد أورده في صلبه على صورة عنوان لما بعده وهذا التعليق هو «من هاهنا ابتدا منتخب الممتع من أوله». وتحته :

«أفضل كلام وأعزه وأكرمه وأعظمه بركة، وأعودة بصالحة، كتاب الله العزيز الذي عجزت عنه خطباء العرب في عنفوانها، وشعراؤها في إبَّانها، فهو يجل عن سجع المتكلمين، و يعظم عن وزن المتكلفين من الخطباء والشاعرين، وآية معجزة باقية لأكرم أنبياء الله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم، ورحم وكرم ثم خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر الذي ترتاح له القلوب، وتصغى إليه الأسماع وتشحذ به الأذهان، وتحفظ به الآثار، وتقيد به الأخبار»(١) .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكلام جاء مصمتا في اللوحة رقم ١٣ بينما جاء نص النهشلى موثقاً من المؤلف في اللوحة رقم ١٧ كما رأينا، فلو كان كلام النهشلى قد بدأ في اللوحة ١٣ كما يدعى صاحب التعليق المقحم، لورد قول المؤلف : «ومن كتاب الممتع لعبد الكريم.......» في هذه اللوحة، ولما كان لوروده في اللوحة رقم ١٧ لزوم مطلقا.

وليس هذا فقط، بل إن مؤلف الهدى كرر في اللوحات : ٤٠، ٦٥، ٧٤، ما فعله في اللوحة رقم ١٧ من نسبة بعض النصوص التي أوردها إلى صاحبها وهو عبدالكريم صاحب الممتع.

---

(١) على يمين هذا النص في المخطوط تعليق يقول [فصل من إعجاز القرآن الكريم] وهو تعليق يستحق الوقوف عنده؛ فقد يكون توثيقاً له على أنه فصل أو بعض فصل من كتاب في إعجاز القرآن الكريم، ولولا العطف بـ(ثم خير كلام العرب..) لوافقنا المعلق على ماقاله دون تحفظ.

فلو كان [هدي كامل المبرد] هو القطعة المتبقية من اختيار الممتع للنهشلي، لما كان لعبارة [ومن كتاب النهشلي] في تلك اللوحات معنى، بل لماوردت أصلاً، إذ المفروض أنه كله من كتاب النهشلي.

وأنا بعد أسأل :

إذا كان اختيار الممتع يبدأ في اللوحة رقم ١٣ فمن صاحب الكلام الذي قبلها وهو أربع وعشرون صفحة وأكثر؟!!

قد يقال إنه مقدمة، فأسأل : بقلم مَنْ؟ علماً بأن الكتاب ليست له مقدمة، فهو يبدأ بالباب الأول هكذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم باب ماجاء في العفو عمن أذنب. روى أن أعرابيا كانت له ابنة عم له (كذا) ذات حسن وجمال فتزوج بها، وكان ابن أم الحكم عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان وبلغه حسنها وجمالها...»

* * *

ولنلتفت إلى أن بسم الله الرحمن الرحيم لم تجيء إلاّ هنا، وإلى أننا بها مع أول الكتاب حقيقة، وفي هذا ردٌّ بل نقض لما فعله الكعبي أولاً وسلام ثانياً من تأخير ماسبق قول الناسخ «من ها هنا ابتدأ منتخب الممتع من أوله» إلى آخر الكتاب، تصديقاً لتلك العبارة الواهمة، بل امتثالاً لها وتشبثاً بها.

* * *

وسؤال آخر هو : ما معنى منتخب الممتع؟ وإذا كان معناه «اختيار الممتع» فمن اختاره؟

لنا هنا مع الكعبى وقفة، فقد تردد في الإجابة عن هذا السؤال بين أحمد بن يوسف التيفاشى، وابن منظور الإفريقى، ثم رجح كفة ابن منظور، لأن اختصار المطولات كان دأبه، والعجيب أنه ردَّ على نفسه، أو بالأحرى ناقض نفسه في الهامش رقم (١) ص ١٧٠ من كتابه [النهشلى القيروانى]، فقد ضمنه مختصرات ابن منظور على وجه التحديد قال :

«وقد قلبت دون جدوى ــ أى في أن يجد ما يدل على أن ابن منظور اختصر الممتع ــ جميع مصادر ترجمته وأخباره، لضبط قائمة أوسع بمختصراته فلم أجد غير هذه المجموعة :

الأغانى والعقد الفريد والذخيرة واليتيمة ومفردات ابن البيطار وصفوة الصفوة ونشوار المحاضره وتاريخ ابن عساكر وتاريخ ابن الخطيب وذيل ابن النجار على تاريخ الخطيب».

وقد ذهل الكعبى عن ذكر نثار الأزهار في الليل والنهار، كما ذهل عن ذكر زهر الآداب للحصرى.

وما يهمنا هنا هو التأكيد على أن ابن منظور لم يختصر الممتع، فلم يرد في جميع مصادر ترجمته أنه اختصر الممتع. هذه واحدة.

والأخرى أن ابن منظور كان لاينتخب بل يختصر، ومامعناه منتخب لا مختصر.

ونسكت عن أن الممتع كان من المطولات أو لم يكن، فلم يصفه لنا من القدماء إلا ابن رشيق، وهو لم يصفه إلا بأنه مشهور، أما حجمه فلم يعرض له.

ونخلص مما نحن فيه إلى أن من انتخب أو اختار من الممتع مجهول، كما أن من ألف «هدي كامل المبرد» مجهول.

بل نخلص إلى أن من انتخب أو اختار من الممتع مجهول، لأنَّ من ألف هدي كامل المبرد مجهول

أريد أن أقول : إننا أمام مجهول واحد هو من ألَّف [هدي كامل المبرد] لا من اختار أو انتخب من الممتع.

فليس في تراثنا العربى شيء اسمه اختيار الممتع أو منتخب الممتع، وإذا كان فإلى الآن لم يظهر.

لكن يبدو أن عدم التثبت مرض، وقد أصابت عدواه بعض من اطلع على العمل المتسرع لهذا المصوب المخطىء، فصدَّق أن ثمة اختياراً للممتع، وأن ما بدار الكتب المصرية قطعة منه.

أما أنا فقد انتهى بى اجتهادى الشخصى إلى هذا الذي قررته، وهو أنه ليس في تراثنا العربي شيء اسمه اختيار الممتع أو منتخب الممتع.

ورجح ذلك لديَّ ما علق به أحد قراء المخطوط على تغيير في صلبه كانت اللوحة ١١٤ مسرحه.

في الأصل :

وقال الفرزدق لمالك بن المنذر بن الجارود :

يا مال هل هو مهلكى مالم أقل
ولتعرفن من القصائد قيلى

يـا مـال هـل لـك في كـبر قد أتـت
تـسـعـون فـوق يـديـه غير قـلـيـل

رخّـم الشاعـر (مالك) فحذف كافه، ولاندرى : هل احتفظ للامه بالكسر على لغة من ينتظر، أو ضمها على لغة من لاينتظر، وسواء أكان هـذا أم ذاك فالضبطان جائزان ولا يخلان بوزن الشعر، لكن جاء من ردَّ إلى [مالك] كافه بشكل يدل على جهله بالإملاء فوق جهله بالعروض، فقد ألصقها باللام هكذا : [يامالكك]

وهي بالمدة العارضة كاف في وسط الكلمة، وبالهمزة التي على مسطحها كاف تنتهى بها الكلمة.

ولأن رسم [مالك] بالكاف أو نطقها بها يكسر وزن الشعر، علق المعلق على ذلك بقوله :

«هـذا المصلح أفسد كل قواعد العرب، وأساليب كلامهم ، فإن الشاعر ــ رحمه الله ــ قال :[يامال] ليستقيم له الوزن، وينسجم له الشعر، ويسلس في اللسان، وإن كان أراد [يامالك] لكن الترخيم قاعدة مصطلح عليها، قال النبى صلى الله وسلم : [يا حار] ويريد [يا حارث] والحمد لله رب العالمين وصلعم»

* * *

ومن مظاهر التناقض والاضطراب في توثيق الكتاب، العبارة التي وردت في اللوحة رقم ١٢٨ وهي :

«نجز اختيار الأول والثاني في كتاب عبدالكريم، وهذا أول اختيار الحزو الثاني».

وقد تمحل الكعبى لهذه العبارة تمحلات شتى لا تتحملها ولا يتحملها الموقف، وصححها بأنها «نجز اختيار الجزء الأول والثاني من كتاب عبدالكريم، وهذا أول اختيار الجزء الثالث».

وفسَّرها بأن صاحب الاختيار قد اختصر ثلاثة أجزاء من كتاب النهشلى، وخمَّن أن يكون كتاب النهشلى أكثر من ثلاثة أجزاء لماذا؟

يجيب الكعبى بالآتى :

أولا : لأن الكتاب لو كان ينتهى بالجزء الثالث، لقيل كما تقتضى الدقة في التأليف أو في الاختصار : [وهذا أول الجزء الثالث والأخير].

ثانياً : لأن نهاية المخطوط مشكوك فيها لما تحمله من البيانات المضللة[1] .

والبيانات المضلِّلة هذه هي قول الناسخ [إلى هنا انتهى كامل المبرد]

وهكذا يمضى الكعبى في وهمه، وهو ماض فيه على مراحل : في المرحلة الأولى خطَّأ أو صدق من خطَّأ أن الذي انتهى هو كامل المبرد أو هدي كامل المبرد.

وها هو ذا يشكك في [انتهى] نفسها، ظاناً أن بعدها جزءاً رابعاً.

والأمر مثار دهشة حقاً، لكأن بين يديه ثلاثة أجزاء فعلاً.

فلنسلم للكعبى ذلك، ولنصدق أن اللوحة ١٢٨ هي أول الجزء الثالث، وأن أول الكتاب إنما هو بداية الجزء الأول منه. فأين نهاية الجزء الأول وماوليها واتصل بها من بداية الجزء الثاني؟

---

(١) النهشلي القيرواني ص ١٧١ ــ ١٧٢.

إن الكعبى يطحن الهواء، وإذا كان من السهل دحض الشبهات، فإن من الصعب، بل من أصعب الصعب دحض الشطحات، فالشبهات تعرض للمفكرين، أما الشطحات فتلم بغيرهم ومن في حكمهم.

والخلاصة أن صاحب عبارة «تجز اختيار الأول والثاني في كتاب عبدالكريم، وهذا أول اختيار الحزو الثاني» في اللوحة ١٢٨ هو صاحب عبارة «من ها هنا ابتدأ منتخب المتع من أوله في اللوحة رقم ١٣.

لكن ليس هو صاحب التصويب الخاطىء في أول الكتاب وفي آخره، فذلك شخص آخر، أميل مع الكعبى إلى أنه محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى، فقد كان رجلاً متسرعاً يفعل ما يعن له دون أن يزنه، ويسبق قلمه عقله، ولخفته هذه لم يطق الصبر عليه علماء الحرمين الشريفين، بل طلبوا إخراجه، فرحل إلى مصر، ونزل بنقيب أشرافها محمد توفيق البكرى، وقد رحب مضيفه به، وبالغ في إكرامه، لكن لم يلبث الشنقيطى أن غاضبه وعاداه، بل قاضاه، فجفاه البكرى وتخلى عنه، ولو ولم تسعفه عناية الله بأريحية الشيخ محمد عبده ومروءته لساءت عاقبته.

* * *

ومن مواقفه الدالة على رعونته وقلة حنكته موقفه من حكومة الآستانة على عهد السلطان عبدالحميد الثاني.

لقد كلفته بل شرفته بالسفر إلى أسبانيا للاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، وإعلامها بما لايوجد في مكتباتها بالآستانة منها، فقام بذلك، لكنه خاشن أولياء نعمته بعد عودته بطلبه المكافأة على عمله قبل تقديمه، قالوا : فأهمل وبقيت مذكراته عنده[1].

---

(١) الأعلام : خير الدين الزركلي جـ٧ الطبعة الخامسة بيروت سنة ١٩٨٠ ص٨٩ ــ ٩٠.

رجل كابي الطبع حاد المزاج بهذا الشكل وإلى هذا الحد، لانتظر منه بعد أن يقرأ العبارات الواردة في اللوحات ١٣، ١٧، ١٢٨ إلا أن يشرع قلمه و يكتب ما عنَّ له.

وهو ماكتبه فعلاً، عجلةً، وعصبيةً مغربيةً، وغيبةً لصاحب المخطوط سهلت استباحته وسوغت للرجل ــ وحاله ما عرفناه ــ أن يمارس عدم التثبت.

* * *

ولا نعدم دليلاً مادياً على مانحن بصدده، هو التمليك الذي كتبه ابن التلاميد بخطه على صدر المخطوط ونصه : «ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود بن التلاميد، ثم وقفه على عصبته بعده وقفاً مؤبداً، فمن بدّله فإثمه عليه، وكتبه محمد محمود بقسطنطينية غرة ذي الحجة عام ١٢٩١هـ».

نمعن في قلم التمليك وحبره وخطه، فنجده يشبه في ذلك كله قلم الشطب وحبره وخطه و يشبه ما كتب على أثر الشطب في أول الكتاب وفي آخره.

وعلى سبيل المثال ــ لا الحصر ــ هذه المشابه بين :

الكاف في (كرمه) و(كتاب).

والكاف في (الكريم) و(ملكه)

والواو في (محمود) و(هو)

والدال في (محمود) و(المبرد)

والطاء في (قطعة) و(قسطنطينية).

والتاء المربوطة في (قطعة) وضمير الغائب في (كتبه)

والعين في [عبد] و[على]

* * *

وإذا صح أن ابن التلاميد هو الذي غير عنوان المخطوط من [هدي كامل المبرد] إلى [قطعة من اختيار الممتع] يكون [هدي كامل المبرد] قد احتفظ باسمه الحقيقى إلى ما قبل مائة سنة تقريباً.

أجل. فقد تملكه محمد محمود سنة ١٢٩١هـ ومات سنة ١٣٢٢هـ والمسافة الواقعة بين التاريخين هي الفرصة المتاحة أمام ابن التلاميد لقراءة مخطوطه، وإحداث هذا التغيير به.

* * *

بقى أن المخطوط قد انتقل إلى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة وأخذ الرقم ٥٤ ش أدب، على الرغم من تملك محمد محمود له ووقفه على عصبته من بعده وقفاً مؤبدا [(١)].

ولابد لذلك من فترة زمنية يتغير فيها رأى محمد محمود نفسه إن كان هو الذي أدخله إلى دار الكتب المصرية، أو يتغيير فيها موقف ورثته من المخطوط الموقوف عليهم.

وسواء أكان هذا أم ذاك، فقد باء محمد محمود بن التلاميد بإثم شطب العنوان الأصلى للمخطوط وهو :[هدي كامل المبرد] وإحاطته بعبارة [إنما هو قطعة من اختيار الممتع، كتاب عبد الكريم].

ومن التنويه بكتاب الممتع، والتنبيه على فضله، وهو في الوقت نفسه دليل على سداد فكرنا وصواب رأينا، أننا لو تأملنا النصوص التي

---

(١) الشين رمز للشنقيطى، وانظر تقديم محمود شاكر لتحقيق طبقات فحول الشعراء طبعة المدنى.

وردت في [هدي كامل المبرد] منسوبة إلى النهشلي لوجدنا لها مذاقاً خاصاً، ونكهة مميزة.

بل إن موضوعات هذه النصوص لتمت بأوثق الصلات إلى الموضوع العام لكتاب كالممتع في علم الشعر وعمله، وتتآخى في دلالتها على عبد الكريم، بل في بنوتها لعبد الكريم.

والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



الخاتمة

يصعب في دراسة كهذه أن تخلو خاتمتها من أكثر ماجاء بها؛ فبناؤها ــ وهو إقناعي جدلي ــ يتعرض للنقض، إذا رحنا نوجز ونوجز لنحصل على خاتمة مناسبة.

ولما كنا قد سلكنا في إقناع غيرنا بوجهة نظرنا طريقة منطقية تأتي النتائج فيها بعد مقدماتها، لاقبلها ولابدونها، فإن من سداد الفكر، ومن صواب الرأي، بل من المنطقية نفسها أن نستقيم على الطريقة التي بدأنا بها.

لكن إذا كان هذا سهلاً نظرياً فإنه صعب عملياً؛ إذ كيف نجمل في صفحتين أو ثلاث مافصلناه في مئتين أو ثلثمائة؟!!!

الموقف حرج إذن، ولن ينفع في انفراجه إلا التركيز على رؤوس الموضوعات، والانتقال في عرض الإنجازات من الأهم إلى الأكثر أهمية.

* * *

في المقدمة :

أعطينا الهيكل العام للدراسة، وهو بابان متساويان في عدد الفصول لا في الطول :

الباب الأول : خاص بالدكتور الكعبي.

والباب الثاني : خاص بالدكتور سلام.

* * *

وفي الفصل الأول من الباب الأول، وعنوانه :

[بين الكامل للمبرد وهدي كامل المبرد].

بينا أوجه الشبه بين الكتابين، ومن وجوه الشبه هذه أخذنا دلينا على صحة رأينا بأن المخطوط ٥٤ ش أدب قد أُريد له من أول الأمر أن يكون على نسق كتاب الكامل للمبرد، وأن تسميته [هدي كامل المبرد] تسمية مقصودة ودقيقة..

والصفة البارزة في الكتابين إنما هي اشتمالها على مجموعة كبيرة من الآثار الأدبية والتاريخية، مشروحة هنا مثلما هي مشروحة هناك، ومبطنة هنا مثلما هي مبطنة هناك بذكر أصحابها مع التعريف بهم وتسليط الضوء على حياتهم في نطاق من النصوص المنسوبة إليهم، كسبب قولهم لها، والاستطراد منها إلى غيرها مما هو في معناها أو موضوعها، والمفاضلة بينها....

وصفة أخرى في الكتابين هي مجيء كل منهما في أبواب محددة ومعنونة دائماً في [هدي كامل المبرد].

أما في الكامل فغير معنوية إلى الباب ٤١ وهي بعد ذلك معنونة لكن بصفة غير دائمة.

* * *

لقد التقى الكتابان في ثمانية وأربعين موضعاً، تواردا فيها على نصوص بعينها، كلها أو بعضها، بنصها أو مع اختلاف في رواياتها، وهذا دليل على أن صاحب [هدي كامل المبرد] كان ممتلئاً بكامل المبرد.

ومن مظاهر ذلك تأليفه كتاباً على هديه، كان صادقاً مع نفسه فسماه [هدي كامل المبرد] وهو ــ كما أثبتنا في هذا الفصل ــ اسم على مسمى.

* * *

أما الفصل الثاني من الباب الثاني وعنوانه.

[بين العمدة، وما قيل عنه إنه اختيار من كتاب الممتع]

فقد جاء في قسمين :

شرحنا في القسم الأول وبه انطباق اسم العمدة على مسماه، وتحقيق مسماه لاسمه.

ووضحنا في القسم الثاني أن اسم الكتاب المحقق لا ينسجم مع مسماه، كما أن مسماه لاينسجم معه.

وقد اقتضانا الوصول إلى هذه النتيجة ــ بشقيها ــ دراسة الكتابين وفحصهما.

ومن ذلك توزيع العمدة على أربعة محاور رأينا أنها تستغرق أبوابه كلها، وهي في الوقت نفسه تعمق موضوع الكتاب وتحقق هدفه.

والمحاور الأربعة هي :

١ ــ علم الشعر وعمله وأدواته.
٢ ــ نقد الشعر.
٣ ــ ثقافة الشاعر.
٤ ــ بلاغة الأدب.

* * *

وبسبيل مما صنعناه في العمدة ما عملناه في المخطوط المحقق؛ فقد حللنا أبوابه العشرين، مفردين كل باب بفقرة مستقلة، وبرغم دراستنا العميقة لها لم نعثر بها على سطر واحد في علم الشعر وعمله، ولا على فقرة واحدة تشرح طبيعة الشعر وتعلم صنعته.

وعند هذه النتيجة توقفت، فقد توقعت أن يقول المحققان كلاهما أو أحدهما: إن ماحققناه منتخب الممتع لا الممتع، ولربما أهمل من انتخبه ما افتقدته.

وأجبت بأن ذلك لو كان صحيحاً لوجدنا ولو أقل القليل من علم

الشعر وعمله، ومن صنعته، إن لم يكن قصداً فعرضاً، لكن ذلك بكل أسف وبكل تأكيد لم يقع.

* * *

وعلى ضوء النتائج المستخلصة من الدراستين تمت الموازنة بين الكتابين وكانت المفارقة الصارخة بتطابق اسم العمدة على مسماه، وعدم تطابق اسم الممتع في علم الشعر وعمله على ما حقق ونشر.

* * *

ولما كنا قد عقدنا هذا الفصل لنتبين ذلك من عدمه، فقد اكتفينا به، وتركناه في مكانه؛ ليكون ــ مع ماسبقه، وما سيأتي بعده ــ من عوامل الإقناع والاقتناع فيما نحن بصدده، وهو أن المخطوط الذي حققه الدكتوران : الكعبي وسلام ليس اختياراً من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله، ولا الممتع في صنعة الشعر بل [هدي كامل المبرد].

* * *

ونصل إلى ذروة المناقشة في الفصل الثالث من الباب الأول، ولا عجب؛ فعنوانه هو.

[مع الدكتور الكعبي]

والدكتور الكعبي مريح ومتعب :

فهو ــ من ناحية ــ عنده مايقوله ولو كان خطأ.

وهو ــ من ناحية ــ يشْطح أكثر مما يشرح.

وقد أخذنا عليه في هذا الفصل مآخذ جمةً منها :

١ ــ تسليمه المطلق بما توهمه الشنقيطي خطأ فصوبه، والحقيقة عكس ذلك.

٢ ــ غفلته عن المذهب الإملائي لكاتب المخطوط في رسم [هذا] بالألف لا بالياء، بل أكثر من ذلك كتب:

[انتهى] بالألف، وهذا دليل عكسي.

فلو تنبه الكعبي إلى ذلك لقرأ كلمة [هدي] على حقيقتها، ولما وجدت المشكلة أصلاً.

٣ ــ تمزيقه أوصال المخطوط، وتنكيسه له.

وقد تخبط في ذلك نظرياً وعملياً :

أما نظرياً ففي كتابه [النهشلي القيرواني].

وأما عملياً ففي الكتاب المحقق.

٤ ــ خروجه عن الجادة فيما قام به من التنظير بين [العمدة] الموجود، و[الممتع] المفقود.

٥ ــ سقوط ثلاثة نصوص منه، وهو ينقل من كتاب العمدة ماجاء فيه منسوباً إلى عبد الكريم تحت عنوان :

[نقول من أدب النهشلي]

٦ ــ استنباطاته الخاطئة من النقول السابقة.

٧ ــ مشروعه الذي فشل، وفرضه الذي بطل، فهو إنما جمع النصوص التي وردت في العمدة منسوبة إلى عبد الكريم؛ مؤملاً أن يجدها كلها أو أكثرها في المخطوط الذي معه، ولو تحقق ذلك له، لاتخذه دليلاً أو شبه دليل على أنه ــ ونحن معه ــ بإزاء كتاب الممتع أو شيء من كتاب الممتع.

لكن لم يسلم له من ستة وثلاثين نصاً سوى ثلاثة نصوص ونصف نص فقط، وهو إحباط أصابه في مقتل.

٨ ــ تجاوزه الدائم مع سبق الإصرار بأن ما حققه إنما هو نسخته من كتاب الممتع، فهو في تحقيقه لم يسمه[اختيار من كتاب الممتع] إلا مرة واحدة هي مرة العنوان، وفي مئات المرات الباقية سماه [الممتع].

٩ ــ تحميله بيت النهشلي في مدح المنصور الصنهاجي مالا يحتمل باتخاذه :

«**دليلاً قاطعاً لايترك مجالاً للشك أبداً**» في إثبات نسبة المخطوط للممتع، وفي إثبات أن مؤلفه هو عبد الكريم[1] .

١٠ — ضلاله المبين فيما ذهب إليه من أن كتاب العمدة «**يعتبر مثالاً مختصراً لكتاب الممتع**»[2] .

١١ — تذبذبه بين كلمات [مختصر] و[منتخب] و[مختار] وهو يتحدث عما بين يديه من الممتع[3] .

١٢ — تعويله على النقل لا على العقل في تلقيه عبارة «من هاهنا ابتدا منتخب الممتع من أوله» في اللوحة ١٣، وعبارة «نجز اختيار الجزو الأول والثاني في كتاب عبد الكريم، وهذا أول الجزو الثاني» في اللوحة ١٢٨.

١٣ — زعمه أن ابن منظور قد اختصرالممتع مع أنه أحصى بنفسه مختصراته، ولم يجد بينها الممتع.

١٤ — ذهوله عما كان جديراً به أن ينفذ من خلاله إلى الحق الصراح في هذه القضية التراثية، وهو أن الكتاب الذي حققه لايمت بكبير صلة إلى ممتع النهشلي بل إلى كامل المبرد.

* * *

ويحسن التنبيه على أن ماذكرناه هنا ليس كل المآخذ بل أهمها، وقد ناقشناها كلها، وكشفنا عن وجه الحق فيها من خلال هذا الفصل.

* * *

ثم نصل إلى الفصل الأول من الباب الثاني وعنوانه :

---

(١) النهشلي القيرواني ص١٦٥.
(٢) النهشلي القيرواني ص١٦٠.
(٣) النهشلي القيرواني ص١٢٧ إلى آخر الكتاب.

[مع الدكتور محمد زغلول سلام]

وقد تبين لنا أن ليس للدكتور سلام وجهة نظر نناقشه فيها ونقنعه بغيرها.

كل ماعنده إنما هو تكرار لما فعله الدكتور الكعبي قبله بفارق مهم هو أن عمل الدكتور الكعبي مفسر ومعلل، أما عمل الدكتور سلام فصمت وأبكم.

وقد تساءلت في مدخل هذا الفصل عن السِّر في حرص الدكتور سلام على تحقيق كتاب سبقه إلى تحقيقه غيره، وزاد فكتب عنه وعمن ظنه صاحبه دراسة مستفيضة في كتاب قائم بنفسه.

والدكتور سلام مرجو في إجابتي عن تساؤلي علماً بأني أتكلم بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن غيري من قرائه المعجبين به وهم كثر؛ ولا غرو؛ فجامعة الإسكندرية من الجامعات ذات الكثافة الطلابية، وبخاصة قسم اللغة العربية فيها؛ لأنه متحمل طلاب جامعة بيروت العربية.

وإذا نكص الدكتور سلام عن الإجابة فإني ــ بهذه الأسطر القليلة ــ أكون قد أجبت.

* * *

وبعد مدخل هذا الفصل، وما جاء فيه من أننا قد ودعنا الخصب عند الدكتور الكعبي، واستقبلنا الجدب عند الدكتور سلام.

بدأت فناقشت المقدمة التي قدم بها الدكتور سلام تحقيقه لما سماه رأساً [الممتع في صنعة الشعر].

وقد دار النقاش حول أمور منها :

١ — تلمذة ابن رشيق للنهشلي، وقد كشفت الغموض الذي اكتنفها في المقدمة.

٢ — خطأ لغوي سبق زميله الدكتور هدارة فأخذه عليه، وآخذه به.

٣ — ذكر الدكتور سلام لمراجع لم يرجع إليها، وإنما رجع إلى من رجع إليها كما يفعل الشداة في بعض بحوثهم أو في مواطن من بحوثهم.

٤ — أخطاء تاريخية لا تدل على دقة علمية ولا على تثبت، في مواطن تجب فيها الدقة العلمية ويجب التثبت على أناس أو من أناس المفروض فيهم أنهم فحول؛ بدليل أن أصواتهم تنافس أصوات الطبول.

٥ — تطبيق الدكتور سلام مبدأ أو نظرية «تراسل الحواس» على الأشخاص، بنسبته إلى النهشلي شيئاً لم يقله ولم يفعله، بل كان ابن رشيق هو الذي قاله، وقبله كان جرير قد فعله.

٦ — ربط الدكتور سلام بين فهم النهشلي لدور الشعر عند العرب، وتوزيع المخطوط على أبوابه، وقد نفيت هذا الربط، وأثبت أن الجهة منفكة.

٧ — أعجب الدكتور سلام بفهم النهشلي لدور الشعر فوصل به إلى شاطىء المعاصرة مرة في قوله تعليقاً على بعض كلامه:

«فالشعر يقوم بدور التاريخ والصحافة وأجهزة الإعلام في الدولة العصرية»، وإلى شاطيء الأصالة أخرى في قوله عطفاً على ما سبق :

«وهو كتاب العلم والفن المتذوق، تستروح به النفوس وتتهذب، وتتأدب العقول وتتثقف».

وقد سجلت ركاكة هذا الكلام وبينت أن انشغال سلام

به، وإحلاله له محل ما ينبغي أن يقوله، وهو يقدم التراث للناس.

هذا وذاك إفلاس أيّ إفلاس.

٨ ــ أعطى الدكتور سلام ملمحاً من ملامح المبرد، ومحمدةً من محامده التي وعد بها والتزمها في كتابه [الكامل] هي أنه «إذا احتوى الشعر خبراً أو ذكراً لمعركة، أو يوم من أيام العرب، فصل الحديث عن الخبر وذاك اليوم، وعرض في تعليقه لمعاني اللفظ الغريب».

والدكتور سلام مصيب في تحديد هذه اللازمة التأليفية، لكنه مخطىء في نسبتها إلى عبد الكريم، تصديقاً منه ــ كالكعبي ــ لمن خطّأ العنوان الصحيح للكتاب المحقق.

٩ ــ مؤاخذة الدكتور سلام لتعويله على ذاكرته فيما لايصح التعويل فيه على الذاكرة قال:

«إن عنوان المخطوط هو [كتاب الكامل للمبرد] ثم ضُرب عليه، وصُحح بأنه [كتاب اختيار الممتع لعبد الكريم»].

فهذا الكلام لا أساس له من الصحة، ولو كان صحيحاً ما وُجدت المشكلة أصلاً؛ فكلمة [كتاب] في العنوان المزعوم لاتحتمل أي لبس، أما كلمة [هَديْ] فقد قُرئت [هذا] ومن هنا جاء اللبس.

١٠ ــ نَفْي أن يكون المخطوط مجموعة أوراق متناثرة لا يُتبين أولها، وأن الدكتور سلاماً هو الذي أعاده إلى أصله، ورتبه الترتيب المناسب، وتوضيح أن هذا الكلام غير صحيح، فالمخطوط مجلد وليس مجموعة أوراق متناثرة.

وتسقط بناءً على ذلك دعوى الترتيب.

١١ ــ وَعَدَ الدكتور سلام بأن يشفع تحقيقه بما نقله ابن رشيق عن عبد الكريم في العمدة، وأن يجعل تلك النقول في ملاحق الكتاب ثم لم يفعل.

وقد ذكرت ما يمكن أن يكون سبباً في خلفه لوعده.

١٢ ــ خَتَم الدكتور سلام مقدمته بأن غايته من تحقيق المخطوط إنما هي خدمة علم النقد، وتقديم ثمرة من ثماره الناضجة...

وقد بينت أن الكتاب المحقق لايشتمل على شيء من علم النقد، فضلاً عن أن يكون ثمرة من ثماره الناضجة.

وعلى فرض أنه ثمرة ناضجة أو غيرنا ضجة.

فقد سبقه الكعبي إلى تقديمها :

مطبوعة بسنتين.

ومخطوطة بثلاث عشرة سنة.

* * *

ويجيء الفصل الثاني من الباب الثاني وعنوانه :

[بين الدكتورين : الكعبي وسلام]

فأنظر في التحقيقين نظرة لاتقتصر على تخطئة المحققين فيما ذهبا إليه من أن ما حققاه إنما هو الممتع أو اختياره، بل تزيد فتزن جهد كل منهما وتوازن بينهما.

* * *

ولا أخفي أن هذه الموازنة كانت طوال الفصول السابقة ملازمة لي، تثب إلى ذهني دون قصد مني لها، بل دون ترحيب بها، ولا عجب؛ فقد

كنت مشغولاً عنها بغيرها، وهو أن هذين التحقيقين ليسا من الممتع في قليل أو كثير.

أما وقد سفرت رأيي؛ فقد كان من الاحترام لعقلي، بل من تتمة عملي أن أوازن بين التحقيقين.

وإذا كان هذا أمراً ثانوياً في الإقناع بوجهة نظري، فإنه أساسي في سبر غور العملين، وفي الحكم على الرجلين.

* * *

ولسبق الكعبي بدأت فوصفت تحقيقه شكلاً، وأثنيت عليه جملةً، مبيناً مافيه من مآخذ تتصل بالضبط وبالفهم وبالمصادر والمراجع، وبالفهارس والترقيم.

* * *

أما تحقيق الدكتور سلام فيؤسفني أن أقول :

إنه بكل المقاييس عمل غير علمي، بل غير أخلاقي بإفساده القطعة التراثية التي حققها مهما يكن اسمها، ومهما تكن هويتها، ولتضييعه وقت طلابه فيما لاينفعهم، بل يضرهم.

لقد جاء في ٤٤٦صفحة.
من ٣ ــ ١٠ مقدمة التحقيق.
ومن ١١ ــ ٣٥٣ النص المحقق.
ومن ٣٥٧ ــ ٤٤٦ فهارس.
ونقف على النص فنجده [٣٤٣] صفحة.
منها١٣ ثلاث عشرة صفحة بيضاء.

و ١١٢ بلا هوامش.
و ٦٩ ذات هامش واحد من نوع :
[ديوان جرير ص١٢٧].
[كذا بالأصل].
[ديوانه ص٣١٠].

* * *

ومن الأمور الصارخة فيه أننا لانعثر في بابين منه على مايثبت قراءة المحقق لهما ونظره فيهما وهما.

[باب في ذكر بيوتات العرب].
و[باب في ذكر اللباس والطيب].

* * *

وتتأكد عدم جدية الدكتور سلام في عمله بالموازنة بين تحقيقه وتحقيق الدكتور الكعبي.

فعدد الصفحات البيضاء عند الدكتور الكعبي ٨ ثمان صفحات. من ٦٥٤ صفحة، وهي عند الدكتور سلام ١٣ ثلاث عشرة صفحة من ٤٤٦ صفحة.

والصفحات الخالية من الهوامش عند الدكتور الكعبي ٧ سبع صفحات وهي عند الدكتور سلام (١١٢) اثنتا عشرة ومائة صفحة.

والصفحات ذات الهامش الواحد عند الدكتور الكعبي (٢٥) خمس وعشرون صفحة، وهي عند الدكتور سلام (٦٩) تسع وستون صفحة.

ولا نجد عند الدكتور سلام ماوجدناه عند الدكتور الكعبي من

صفحات كثيرة، مساحة الهوامش، بل الهامش الواحد فيها أكبر من مساحة الأصل.

كما لانجد عند الدكتور الكعبي، ما وجدنا عند الدكتور سلام، وهو خلو بابين من أي أثر للمحقق.

* * *

هذا كان العَرَضَ في تحقيق الدكتور سلام.

أما الجوهر، فقد كفانا مئونته زميله الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة بمقاله عنه في [عالم الكتب].

ولما كان الدكتور سلام من وجهة نظر الدكتور هدارة لم يحقق المخطوط، بل شوهه، فقد حصر عناصر تشويهه في خمسة أمور، ذكرتها مكتفياً في التمثيل لها بخمسة وعشرين مثالاً من أحد عشر وخمسمائة مثال هي محصلة نظر الدكتور هدارة في الثلث الأول من تحقيق الدكتور سلام.

* * *

وقد ترددتْ مواقفي من الأمثلة المذكورة في مقال الدكتور هدارة بين التسليم بها في الأكثر، ودفعها في الأقل؛ إحقاقاً للحق، وطلبا للنصفة.

* * *

أما بعـــد :

فإذا كانت الفصول السابقة قد أعطت وجهة نظري من خلال موضوعاتها أو مع موضوعاتها، فإن الفصل الأخير في هذه الدراسة هو

مجالها المخصص لها، يقولها، و يؤرخها و يسوق في البرهنة عليها مالم تسعه الفصول السابقة، وها أنذا قد قلتها في فصلها المعنون بها [هدي كامل المبرد].

وهو عنوان بليغ؛ لذاته، ولمجيئه في مكانه ووقته، وهو بعد ليس مصادرة، فالنقاش قد أفرزه نتيجةً منطقية لما سبقه.

والواقع أنه ليس في الجعبة شيء آخر.

فإذا بطل أن المخطوط الذي حققه الكعبي اختيار من الممتع.
و بطلِ أنَّ المخطوط الذي حققه سلام الممتع في صنعة الشعر.

لم يبق إلا أن ماحققه الرجلان إنما هو شيء آخر.
وإنه لكذلك من أول الأمر.

إنه هدي كامل المبرد.

* * *

وإذا كان رسم [هذا] بالياء انحرافاً عن الجادة الإملائية، فإن نطق [هدي] على أنها [هذا] انحراف من نفس النوع وبنفس الدرجة، وقد فتشت مافتشت فلم أجد قرينة واحدة تبرر هذا المسلك الشاذ في تلقي التراث بقراءة خاطئة، ثم التصرف بناءً على ذلك تصرفاً لابد أن يكون هو أيضاً خاطئاً.

* * *

ولا تتسع الخاتمة لحكايتي مع [هدي كامل المبرد]إلا بمقدار ما أقول : إنها حكاية قديمة جديدة.

أجملتها في قسنطينة سنة ١٩٧٢م.
وفصلتها في الرياض سنة ١٩٨٢م.

* * *

وإذا كنت هناك قد أخفقت في معرفة الجاني عليه فإنني هنا قد نجحت ــ والحمد لله ــ في معرفته.

إنه محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، نزيل القاهرة والمتوفي بها سنة ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م.

وقد فعل فعلته منذ مايقرب من مائة سنة.

فقد فيها المخطوط اسمه وبطاقته، وصار كمن فقد ذاكرته فادعته أسر مختلفة.

* * *

وعسى أن يأذن الله بظهور نسخة أخرى من [هدي كامل المبرد] تحمل اسمه واسم مؤلفه لتتم النعمة.

ثم عسى الله أن يأذن بظهور ممتع النهشلي حقيقةً.

أما منتخب الممتع أو اختيار من الممتع فإني أنفي وجود مخطوط بهذا الاسم.

وإذا كان فإلى الآن لم يظهر والحمد لله أولاً وآخرا.

الرياض ١٤٠٣/٤/٧هـ
١٩٨٣/١/٢١م.

عبده عبدالعزيز قلقيله

المصادر والمراجع
مرتبة على حسب الحروف الهجائية لأسماء الكتب

١ ـ ابن رشيق الشاعر الناقد :

تأليف عبد الرؤوف مخلوف ـ العدد ٤٥ من أعلام العرب. وزارة الثقافة المصرية سنة ١٩٦٥م.

٢ ـ إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان :

تأليف أحمد بن أبي الضياف ـ تونس سنة ١٩٦٣م.

٣ ـ أخطاء لغوية :

تأليف عبد الحق فاضل ـ وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٧٩م.

٤ ـ أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها:

تأليف : الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ـ إعداد الشيخ حمد الجاسر. من إصدارات النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٥ ـ الأدب المغربي :

تأليف محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاويت الطنجي ـ طبعة بيروت ١٩٦٠م.

٦ ـ أساس البلاغة :

تأليف جار الله الزمخشري طبعة سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

٧ ـ الاستبصار في عجائب الأمصار :

مجهول المؤلف ـ تحقيق : د. سعد زغلول عبد الحميد ـ طبعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨م.

٨ ــ الأعـــلام :
تأليف خير الدين الزركلي ج٧ ط٥ بيروت ١٩٨٠.
٩ ــ أعلام من طرابلس :
تـأليـف : علي مـصطفى المصراتي ــ دار مكتبة الفكر ليبيا ــ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م..
١٠ ــ اقتطاف الزهر، واجتناء الثمر :
تـأليـف : أبـو الحسن علي بن محمد بن بري ــ مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٤٠٩٤.
١١ ــ بدائع البدائه :
تـأليـف علي بـن ظـافـر الصابوني وتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ــ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧١م.
١٢ ــ بغية الوعاة :
تأليف جلال الدين السيوطي وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٦٤م.
١٣ ــ البلاط الأدبي للمعز بن باديس :
تـأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله. عمادة شئون المكتبات ــ جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٤ ــ تاريخ الأدب الأندلسي [عصر سيادة قرطبة] :
تأليف : د. إحسان عباس. الطبعة الرابعة ــ بيروت ١٩٧٥م.
١٥ ــ تاريخ الأدب الأندلسي [عصر الطوائف والمرابطين] :
تأليف : د. إحسان عباس ــ الطبعة الثالثة ــ بيروت ١٩٧٤م.
١٦ ــ تاريخ الجزائر العام :
تـأليـف : عـبـد الرحمن جيلالى ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
١٧ ــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية :
تـأليف : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي وتحقيق محمد ماضور ــ الطبعة الثانية ــ المكتبة العتيقة ــ تونس ١٩٦٦م.

١٨ ــ تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون :
تأليف محمد الهادي العامري ــ الشركة التونسية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٤م.
١٩ ــ تحقيق الدكتور محمد سلام :
لما أسماه [الممتع في صنعة الشعر] ونسبه إلى عبد الكريم النهشلي القيرواني ــ طبعة منشاة المعارف بالإسكندرية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٢٠ ــ تحقيق الدكتور منجي الكعبي :
لما أسماه [اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله] ونسبه إلى عبد الكريم النهشلي القيرواني ــ طبعة الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ــ تونس سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢١ ــ تهذيب الكامل في اللغة والأدب :
عمل : السباعي بيومي ــ الطبعة الأولى ــ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

٢٢ ــ جمهرة الأمثال البغدادية :
تأليف : عبد الرحمن التكريتي ــ الطبعة الأولى ــ مطبعة الإرشاد ــ بغداد بمساعدة المجمع العلمي العراقي.
٢٣ ــ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية :
تأليف : الأمير شكيب أرسلان ــ بيروت ــ دار مكتبة الحياة د. ت.
٢٤ ــ خريدة القصر وجريدة أهل العصر :
تأليف : العماد الأصفهاني بتحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي [قسم شعراء المغرب] النشرة الثانية ــ الدار التونسية للنشر ١٩٧٣م.
٢٥ ــ دراسات عن ابن حزم وكتابه [طوق الحمامة] :
تأليف : د. الطاهر مكي الطبعة الثانية ــ مكتبة وهبة ــ مصر سنة١٩٧٧م.
٢٦ ــ ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني :
جمع وتحقيق محمد المرزوقى ــ دار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٤م.

٢٧ ـ **ذم الهوى لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي :**

تحقيق مصطفى عبد الواحد ومراجعة محمد الغزالي ـ نشر دار الكتب الحديثة مصر ـ ط(١) سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٢٨ ـ **زهر الآداب وثمر الألباب :**

تأليف : أبو إسحاق الحصري القيرواني وتحقيق علي البجاوي ط(١) القاهرة ١٩٥٣م.

٢٩ ـ **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس :**

تأليف : أحمد بن يوسف التيفاشي، واختصار ابن منظور.

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٢٣٠١] أدب.

٣٠ ـ **شخصيات أدبية من المشرق والمغرب :**

تأليف : أبو القاسم محمد كرو وعبد الله شريط ـ دار الحياة ـ بيروت ط(٢) سنة ١٩٦٦م.

٣١ ـ **شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب :**

تحقيق : هلال ناجي ـ مطبعة المنار ـ تونس سنة ١٩٦٧م.

٣٢ ـ **شرح نهج البلاغة : تأليف :**

ابن أبي الحديد وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط(٢). عيسى البابي الحلبي مصر سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٣٣ ـ **الشرق الأوسط :**

السبت ١٤٠٣/٣/٨هـ/ ١٩٨٣/١/٢٢م.

٣٤ ـ **شعراء القيروان من أنموذج الزمان :**

تأليف : ابن رشيق القيرواني جمع وتعليق زين العابدين السنوسي ـ تونس ١٩٧١م.

٣٥ ـ **شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون :**

تأليف : محمد يوسف مقلد ـ بيروت سنة ١٩٦٢م.

٣٦ ـ **طبقات علماء أفريقية وتونس :**

تأليف : أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني. بتحقيق علي الشابي ونعيم اليافي ـ الدار التونسية للنشر سنة ١٩٦٨م.

٣٧ ـ طبقات فحول الشعراء :
تأليف : محمد بن سلام الجمحي، وتحقيق محمود محمد شاكر ط(٢) مطبعة المدني ـ العباسية مصر سنة١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٣٨ ـ طلل الأسحار على الجلنار في الهواء والنار :
تأليف : أحمد بن يوسف التيفاشي ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٢٣٠١] أدب.
٣٩ ـ عالم الكتب :
المجلد الثاني ـ العدد الرابع ربيع الثاني سنة ١٤٠٢هـ /يناير ١٩٨٢م.
ـ ـ عالم الكتب :
المجلد الثالث ـ العدد الثاني شوال ١٤٠٢هـ /يوليو ١٩٨٢م.
٤٠ ـ العقد الفريد :
تأليف : أحمد بن عبد ربه وتحقيق أحمد أمين بالاشتراك ـ القاهرة سنة ١٩٤٠م.
٤١ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :
تأليف : ابن رشيق القيرواني، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية ـ شوال ١٣٧٤هـ يونية ١٩٥٥م ـ مصر.
٤٢ ـ عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب :
تأليف : الشيخ محمد النيفر ـ الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
٤٣ ـ العين :
تأليف : الخليل بن أحمد الفراهيدي وتحقيق د. عبد الله درويش ـ مطبعة العاني ـ بغداد سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
٤٤ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال :
تأليف : أبو عبيد البكري وتحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ـ طبعة دار الأمانة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٤٥ ـ القاضي الجرجاني [علي بن عبد العزيز] :
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ـ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٤م.

٤٦ ــ القزاز القيرواني : حياته وآثاره :
تأليف :د. منجي الكعبي ــ طبعة تونس سنة ١٩٦٨م.
٤٧ ــ الكامل في اللغة والأدب :
تأليف : أبو العباس المبرد ــ طبعة دار نهضة مصر ــ بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم د.ت.
٤٨ ــ لحن العامة والتطور اللغوي :
تأليف : د. رمضان عبد التواب ط(١) سنة ١٩٦٧.
٤٩ ــ لسان العرب :
ابن منظور جـ٤ بيروت سنة١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
ــ ــ لسان العرب :
ابن منظور جـ٥ بيروت سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
٥٠ ــ لغــويات :
د. عبده عبد العزيز قلقيله ــ الأنجلو المصرية ١٩٦٧م.
٥١ ــ المؤنس في أخبار أفريقية وتونس :
تأليف : أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار بتحقيق محمد شمام ــ المكتبة العتيقة تونس ط(٣) ١٣٨٧هـ.
٥٢ ــ ما يجوز للشاعر في الضرورة :
تأليف : القزاز القيرواني ــ تحقيق وشرح الدكتورين : محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة ــ الإسكندرية منشاة المعارف سنة ١٩٧٣.
٥٣ ــ ما يجوز للشاعر في الضرورة :
تأليف : القزاز القيرواني وتحقيق د. منجي الكعبي ــ تونس ١٩٧١م.
٥٤ ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :
تأليف : ضياء الدين بن الأثير. وتحقيق الدكتورين : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ــ مصر سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
٥٥ ــ مجلة الفكر التونسية :
السنة (١٢) العدد (٤) ١٩٦٧م.

٥٦ ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار :**
تأليف : ابن فضل الله العمري ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
٥٧ ـ **مقامات الحريري :**
طبعة المطبعة الحسينية ـ مصر سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.
٥٨ ـ **المقتضب للمبرد :**
تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.
٥٩ ـ **مقدمة ابن خلدون :**
طبعة الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ القاهرة ـ د.ت. وطبعة المطبعة الشرقية ١٣٢٧هـ.
٦٠ ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب :**
تأليف : عبد الواحد المراكشي وتحقيق محمد سعيد العريان ـ القاهرة سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٦١ ـ **معجم أعلام الجزائر :**
تأليف : عادل نويهض ـ بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧١م.
٦٢ ـ **المغرب العربي :**
تاريخه وثقافته. تأليف : رابح بونار ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ١٩٦٨م.
٦٣ ـ **المناهــل :**
إصدار : وزارة الدولة للشئون الثقافية الرباط ـ المغرب ـ العدد ١٧ السنة السابعة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٦٤ ـ **من التراث الأدبي للمغرب العربي :**
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٩م.
٦٥ ـ **النبوغ المغربي في الأدب العربي :**
تأليف : عبد الله كنون. الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٦٦ ـ **نثار الأزهار في الليل والنهار :**
وهو اختصار ابن منظور للجزء الأول من «فصل الخطاب في مدارك

الحواس الخمس لأولي الألباب» تأليف : أحمد بن يوسف التيفاشي ــ طبعة القسطنطينية سنة ١٢٩٨هـ.

٦٧ ــ نصرة الثائر على المثل السائر :
تأليف : صلاح الدين الصفدي وتحقيق محمد علي سلطاني ــ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٦٨ ــ النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني :
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ــ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٦م.

٦٩ ــ النقد الأدبي في العصر المملوكي :
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ــ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢م.

٧٠ ــ النقد الأدبي في المغرب العربي :
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ــ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٣م.

٧١ ــ نقد النقد في التراث العربي :
تأليف : د. عبده عبد العزيز قلقيله ــ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥م.

٧٢ ــ النهشلي القيرواني :
تأليف : د. منجي الكعبي ــ طبعة الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ــ تونس سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٣ ــ هدي كامل المبرد :
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤ش أدب بدار الكتب المصرية.
نسخة مصورة في مكتبتي الخاصة بالقاهرة.

٧٤ ــ ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية :

تـألـيـف : حـسـن حسني عبد الوهاب ــ مكتبة المنار تونس ١٩٦٦ ــ ١٩٧٢م.

٧٥ ــ وصف أفريقيا :

تـألـيـف : جـان لـيـون الإفـريـقي ــ (الحسن بن محمد الوزان). ترجمة د.عبد الرحمٰن حميدة. سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

سورة الفاتحة ٥
الإهداء ٧
للعماد الأصفهاني ٩
ثلاث صفحات من [هدي كامل المبرد] ١١
تقديم ١٧

الباب الأول ٢١

الفصل الأول : بين الكامل للمبرد وهدي كامل المبرد ..... ٢٣ — ٤٢

الكامل للمبرد ٢٥
أبو الفرج المعافي والمبرد ٢٥
ابن خلدون والمبرد ٢٥
منهج المبرد في الكامل ٢٦
من شرح الكامل ٢٦
من عارض الكامل ومن احتذاه ٢٦
مادة [هدي] ٢٧
مشابه بين الكامل للمبرد وهدي كامل المبرد........................ ٢٨
موازنة بين الأبواب في الكتابين ٢٩
مواطن الاشتراك بين الكتابين ٣٤
ثلاثة نصوص مما تعاقب عليه الكتابان ٣٧
النص الأول ٣٧

الموضوع	الصفحة

النص الثاني ٣٩

النص الثالث ٤٠

دلالة هذه النصوص ٤٢

الفصل الثاني : بين العمدة والكتاب المحقق .... ٤٣ ـ ٦٧

مدخل ٤٥

القسم الأول : العمدة : ٤٧

تقديم ابن رشيق للعمدة ٤٧

مع ابن رشيق في مقدمة العمدة ٤٧

تقريظ ابن خلدون للعمدة ٤٨

محاور العمدة ٤٨

المحور الأول : علم الشعر وعمله وأدواته ٤٩

المحور الثاني : نقد الشعر ٥١

المحور الثالث : ثقافة الشاعر ٥٣

المحور الرابع : بلاغة الأدب ٥٥

تداخل المحاور ٥٦

نماذج من معالجة ابن رشيق لمحاور العمدة ٥٨

من باب حد الشعر وبنيته ٥٩

من باب آداب الشاعر ٦١

من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له ٦٥

القسم الثاني : الكتاب المحقق : .... ٦٩ ـ ١٣٧

أبواب الكتاب ٧٠

التعريف بأبواب الكتاب ٧٢

باب في العفو عمن أذنب ٧٢

باب والمنة لله عز وجل في هذا البيان الذي جعل اللسان دليلاً عليه ٧٨

باب في ذكر بيوتات العرب ٨٦

الموضوع | الصفحة

باب في ذكر اللباس والطيب ٨٨
باب يذكر فيه ماقيل في الجمال وحسن الوجوه ٩٠
باب ومن حكماء قريش في الجاهلية عتبة بن ربيعة ٩٣
باب في ذكر الهيبة ٩٥
باب في الجهارة وخلافها ٩٨
باب في احتمائهم بالشعر وذبهم به عن الأعراض ١٠٢
باب في الأنفة عن السؤال بالشعر ١٠٣
باب فيمن رفعه المدح وحطه الهجاء، وأنف من اللقب،
ورغب عن الاسم إلى اللقب ١٠٦
باب في النهي عن تعرض الشعراء ١٠٩
باب في ذكر المهيرات والسراري ١١٤
باب في أنفة السادات عن قول الهجاء والمناقضات ١١٧
باب والشعرا تستحسن انتصارها بألسنتها و يقيم ذلك أحدهم
مقام سيفه و يده ١٢٠
باب وفي الشعر التياط بالقلوب ومدخل لطيف إلى النفوس ١٢١
باب في دعاء بعضهم على بعض ١٢٣
باب في دفاع الشر بالشر ١٢٥
مما قيل في دفاع الشر بالشر ١٢٥
مما قيل في المكافأة بالشكر ١٢٦
مما قيل في العتاب ١٢٧
مما قيل في الحجاب ١٢٨
باب في التعيير والتوبيخ ١٣٠
باب مما قالوه في التحذير والتخويف من شر عاقبة الظلم ١٣٤
تعقيب ١٣٦
الفصل الثالث : مع الدكتور الكعبي .... ١٣٩ ــ ٢٠٧
المذهب الإملائي لكاتب المخطوط ١٤٠

الموضوع	الصفحة
نصوص من المخطوط تؤيد المذهب الإملائي لكاتبه	١٤١
نقاش مع الدكتور الكعبي حول عنوان المخطوط	١٤٤
ما تعارف عليه المؤلفون في تسمية كتبهم	١٤٥
أغلفة الكتب	١٤٧
الكعبي يمزق أوصال المخطوط	١٤٨
مع الدكتور الكعبي في كتابه [النهشلي القيرواني]	١٥٣
نقاش مع الدكتور الكعبي حول مبررات تنكيس المخطوط	١٥٤
تناقض الكعبي	١٥٥
تخبط الكعبي نظرياً في [النهشلي القيرواني]، وعملياً في الكتاب المحقق.	١٥٩
الكعبي يتخيل بدلاً من أن يتأمل	١٦١
الكعبي بين العمدة وما سماه الممتع	١٦٢
مناقشة الدكتور الكعبي فيما قام به من التنظير بين العمدة والممتع	١٦٣
ابن رشيق ولماذا لم يسم ممتع النهشلي باسمه	١٦٤
نماذج من أدب النهشلي نقلاً عن العمدة	١٦٥
النص الأول من باب فضل الشعر	١٦٥
« الثاني من باب شفاعات الشعراء وتحريضهم	١٦٥
« الثالث من باب منافع الشعر ومضاره	١٦٧
« الرابع من باب التكسب بالشعر والأنفة منه	١٦٧
« الخامس من باب (القدماء والمحدثون)	١٧٠
« السادس من باب المشاهير من الشعراء	١٧١
« السابع من باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء.	١٧١
« الثامن من باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء.	١٧٢
« التاسع من باب الشعر والشعراء	١٧٣
« العاشر من باب حد الشعر وبنيته	١٧٤
« الحادي عشر من باب اللفظ والمعنى	١٧٤

الموضوع	الصفحة

النص الثاني عشر من باب الأوزان ١٧٥
« الثالث عشر من باب القطع والطوال ١٧٦
« الرابع عشر من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له ١٧٦
« الخامس عشر من باب البلاغة ١٧٧
« السادس عشر من باب الإيجاز ١٧٨
« السابع عشر من باب الإيجاز ١٧٩
« الثامن عشر من باب التمثيل ١٧٩
« التاسع عشر من باب الإشارة ١٨٠
« العشرون من باب التصدير ١٨٠
« الحادي والعشرون من باب المقابلة ١٨١
« الثاني والعشرون من باب التقسيم ١٨٢
« الثالث والعشرون من باب المبالغة ١٨٣
« الرابع والعشرون من باب التكرار ١٨٤
« الخامس والعشرون من باب الاتساع ١٨٥
« السادس والعشرون من باب النسيب ١٨٥
« السابع والعشرون من باب النسيب ١٨٦
« الثامن والعشرون من باب المديح ١٨٦
« التاسع والعشرون من باب ذكر الوقائع والأيام ١٨٦
« الثلاثون من باب أغاليط الشعراء والرواة ١٨٧
« الحادي والثلاثون من باب السرقات وماشاكلها ١٨٧
« الثاني والثلاثون من باب الوصف ١٨٨
« الثالث والثلاثون من باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه ١٨٩
« الرابع والثلاثون من باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه ١٩٠
« الخامس والثلاثون من باب الإنشاد وما ناسبه ١٩٠
« السادس والثلاثون من باب الإنشاد وما ناسبه ١٩١

الموضوع	الصفحة

غربلة النصوص السابقة ١٩١
تعقيب الكعبي على النصوص السابقة ١٩٤
مناقشة الكعبي ١٩٤
مع الكعبي في النزع الأخير من كتابه ١٩٨
مشروع فشل وفرض بطل ١٩٨
مناقشة الكعبي فيما استنبطه من بيت للنهشلي ١٩٩
تردد الكعبي في كتابه [النهشلي القيرواني] بين كلمات
[مختصر] و [مختار] و[منتخب] ٢٠٢
رأينا في هذا التردد ٢٠٢
روافد هذا التردد ٢٠٣
الكعبي يلمح مابين الأصل وهو [الكامل للمبرد] والفرع وهو
[هدي كامل المبرد] ٢٠٥
الكعبي ينهي [النهشلي القيرواني] وهو من الحقيقة على بعد خطوة . ٢٠٦
أسف وتقدير ٢٠٧
الباب الثاني : ٢٠٩
الفصل الأول : مع الدكتور محمد زغلول سلام ..... ٢١١ — ٢٣٣
مدخل : ٢١٣
مع الدكتور سلام في مقدمة التحقيق ٢١٦
تلمذة ابن رشيق للنهشلي ٢١٧
خطأ لغوي ٢١٧
الدكتور سلام يذكر مراجع لم يرجع إليها ٢١٨
اخطاء تاريخية ٢١٨
الدكتور سلام وتملي النهشلي للطبيعة ٢٢٠
إهدار الدكتور سلام لصفحتين من مقدمة تحقيقه ٢٢١
لا صلة بين فهم النهشلي لقيمة الشعر وتوزيع المخطوط على أبوابه ٢٢٤

الموضوع	الصفحة

الدكتور سلام بين الأصالة والمعاصرة ٢٢٦
طريقة [هدي كامل المبرد] تشبه طريقة [الكامل] للمبرد ٢٢٦
الدكتور سلام يعول على ذاكرته فيما لايصح التعويل فيه على الذاكرة
فيخطيء ٢٢٩
الدكتور سلام يخلف وعده وأسباب ذلك ٢٣١
ادعاء في غير محله ٢٣٢

الفصل الثاني : بين الدكتورين منجي الكعبي ومحمد زغلول سلام ٢٣٥ ــ ٢٧٤

مدخل : ٢٣٧

الدكتوران مخطئان في اعتقادهما أن ماحققاه إنما هو الممتع
أو اختيار منه ٢٣٨
الدكتوران ملومان لجعلهما أول الكتاب آخره ٢٤٠

مع تحقيق الكعبي : ٢٤٣
حجم التحقيق وفهارسه ٢٤٣
عدد الصفحات البيضاء وأرقامها الاعتبارية ٢٤٤
عدد الصفحات الخالية من الهوامش، وأرقامها ٢٤٤
عدد الصفحات ذات الهامش الواحد وأرقامها ٢٤٤
صفحات مساحة الهوامش فيها أكبر من مساحة الأصل ٢٤٤
ما للتحقيق وما عليه ٢٤٥

مع تحقيق سلام : ٢٥٥

العَرَض في تحقيق سلام : ٢٥٥
حجم التحقيق وفهارسه ٢٥٥
عدد الصفحات البيضاء وأرقامها الاعتبارية ٢٥٥
عدد الصفحات الخالية من الهوامش وأرقامها ٢٥٦

الموضوع الصفحة

عدد الصفحات ذات الهامش الواحد، وأرقامها ٢٥٦
أبواب خالية من أي أثر للمحقق ٢٥٧

الجوهر في تحقيق سلام : ٢٥٨
مع الدكتور هدارة في تقييم تحقيق سلام ٢٥٨
عناصر تشويه سلام للنص المحقق ٢٥٩

العنصر الأول : « التحريف والتصحيف نتيجة سوء القراءة والفهم
والجهل بالمصادر اللغوية والتاريخية وكتب التراجم» ٢٥٩
أمثلة هذا المأخذ [١٧٩] تسعة وسبعون ومائة مثال ٢٥٩

خمسة أمثلة : ٢٥٩
العنصر الثاني : « افتقاد الأمانة العلمية بمظاهرها المختلفة في تحقيق سلام» ٢٦٠
أمثلة هذا المأخذ [١٨٩] تسعة وثمانون ومائة مثال ٢٦٠

خمسة أمثلة : ٢٦٠
العنصر الثالث: عدم تخريج المحقق لكثير من النصوص الأدبية شعرية ونثرية ٢٦٢
أمثلة هذا المأخذ [٥٦] ستة وخمسون مثالاً ٢٦٢

خمسة أمثلة : ٢٦٢
العنصر الرابع : « عجز المحقق عن تقويم النص المحقق، وغفلته عن
تصحيح الأخطاء التي وقع فيها الناسخ»............ ٢٦٥

أمثلة هذا المأخذ [٤٠] أربعون مثالاً ٢٦٦

خمسة أمثلة : ٢٦٦
العنصر الخامس :
أخطاء في شرح الأبيات أو في ضبطها أو في الترجمة للشعراء....... ٢٦٩
أمثلة هذا المأخذ [٤٧] سبعة وأربعون مثالاً ٢٦٩

الموضوع	الصفحة

خمسة أمثلة : ٢٦٩
ليس بين التحقيقين ولا بين المحققين صيغة أفعل ٢٧٤

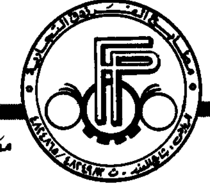
الفصل الثالث : هدي كامل المبرد .... ٢٧٥ ـ ٢٩١
مدخل : ٢٧٧

ليس هذا العنوان مصادرة ٢٧٧
كتابة [هذا] بالياء خطأ مساوٍ لقراءة [هدي] على أنها [هذا] ٢٧٧
تلقي التراث بقراءة خاطئة ليس إحياء له بل عبث به ٢٧٨
تحليل موقف كل من الكعبي وسلام من عنوان المخطوط ٢٧٨
أنا وهدي كامل المبرد ٢٧٩

ابن منظور لم يختصر الممتع ٢٨٤
لايوجد في تراثنا شيء اسمه منتخب الممتع أو اختيار من الممتع ٢٨٥
تمحلات الكعبي لعبارة «نجز اختيار الأول والثاني وهذا أول اختيار الجزء الثاني» ٢٨٧
الرد على الكعبي ٢٨٧
ترجيح أن محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي هو صاحب التصويب المخطيء في أول الكتاب وفي آخره ٢٨٨
أسباب هذا الترجيح ٢٨٨
هدي كامل المبرد يسترد اسمه بعد مائة سنة من فقده له ٢٩٠
مذاق خاص لنصوص النهشلي في هدي كامل المبرد ٢٩١
الخاتمة ٢٩٣
المصادر والمراجع ٣٠٩
الفهرس ٣١٩
كتب للمؤلف ٣٢٩

كتب للمؤلف

الكتاب	الناشر
١ ــ النقد الأدبي في العصر المملوكي	مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢م.
٢ ــ القاضي الجرجاني والنقد الأدبي	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م[نفد]
٣ ــ النقد الأدبي في المغرب العربي	مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٣م.
٤ ــ القاضي الجرجاني [علي بن عبدالعزيز]	مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٤
٥ ــ مقالات في التربية واللغة والبلاغة والنقد	مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٤م.
٦ ــ نقد النقد في التراث العربي	مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥م
٧ ــ النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني	مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م
٨ ــ خط سير الأدب العربي	مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م
٩ ــ لغويات	مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م
١٠ ــ من التراث الأدبي للمغرب العربي	مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩م
١١ ــ دراسات في النقد الأدبي والبلاغة	دار العلوم بالرياض ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م
١٢ ــ أبيات المعاني في شعر المتنبي	الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م
١٣ ــ البلاط الأدبي للمعز بن باديس	عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م
١٤ ــ المقنع في أن «هدي كامل المبرد» ليس «الممتع»	دار الرياض للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م
١٥ ــ البلاغة الاصطلاحية	تحت الطبع في دار الرياض للنشر والتوزيع
١٦ ــ التجربة الشعرية عند ابن المقرب مضمونها وبناؤها الفني	تحت الطبع في تهامة. جدة.



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض المعذر ٤٨٢٤٩٨٣/٤٨٢٤٨٦٥